الجزؤ الأول من الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية

لمؤلفها فريد العصر والأوان على الهمة عظيم الشان شيخ الاسلام

بالاقطار الحجازية ومفتى السادة الشافعية بمكة المحمية

المستمد من فيض جده سيد ولد عدنان مولان

وسيدنا الاستاذ السيد احمد بن السيد

زيني دحلان متع الله بحياته

جميع المسلمين وأدام نفعه

عليهم بجاه الأمين

آمين آمين

آمين

(ا لاولى)

لا يجوز طبع هذا الكتاب الا بدن مؤلفه

طبع فى المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية

١٣٠٢

فهرست الجزء الأول من الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

صحيفة		صحيفة	
٣	الخطابة وبعث جيش اسامة رضى الله عنه	٣٠	ذكر الوقعة ببرج الروم وفتح حمص ويعلبك وغيرهما
٣	ثبوت أهل مكة والطائف على الاسلام عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وخطبة سهيل بن عمرو بمكة	٣١	ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية
٣	ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهما ممن ادعى النبوة	٣١	ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم
٤	تجهيز ابي بكر الصديق رضى الله عنه الجيوش لقتال اهل الردة	٣٢	ذكر فتح قيسارية وحصر عره
٤	ذكر أول قتال اهل الردة	٣٣	ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين وفتح بيت المقدس
٥	مسير خالد بن الوليد لقتال الردة	٣٥	ذكر خبر حمص حين قصدها هرقل من بها من المسلمين
٧	ذكر خبر سجاح التي ادعت النبوة	٣٥	مسير عمر بن الخطاب الى حمص ورجوعه من الجابية
٨	مسير خالد بن الوليد لقتال	٣٦	ذكر فتح الجزيرة وأرمينية
١٢	مسير خالد بن الوليد الى	٣٧	ذكر اعتذار عمر بن الخطاب في عزله خالد بن الوليد
١٤	ذكر فتح ماوراء الحيرة	٣٧	ذكر وقوع الطاعون بالشام ووفاة ابي عبيدة ومعاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان بالطاعون
١٥	ذكر خبر دومة الجندل والرميل والعراض	٧	ذكر مسير عمر بن الخطاب الى الشام ورجوعه من الطريق لما سمع بالطاعون
١٦	ذكر ردة بني عامر وهوازن	٣٨	ذكر فتح مصر والاسكندرية
١٧	ذكر ردة اهل	٥٠	ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد ابن الوليد الى الشام
١٨	ذكر ردة اهل عمان والمهرة	٥٢	ذكر خبر النمارق ووقعة قس الناطف
١٩	ذكر ردة اهل اليمن	٥٣	ذكر وقعة البويب
٢١	ذكر فتوح الشام	٥٤	ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد
٢٢	ذكر أول وقعة بالشام	٥٤	ذكر الخبر الذي هيج امر القادسية
٢٣	ذكر مسيرة خالد من العراق الى الشام وعزل ابي عبيدة	٦٣	ذكر يوم ارماث
٢٧	ذكر وقعة اليرموك		
٢٧	ذكر وقعة أجنادين وفتح دمشق		
٢٨	ذكر غزوة فحل		
٢٩	ذكر فتح بلاد ساحل دمشق وبيسان وطبرية		

صحيفة

٦٥ ذكر يوم اغوان
٦٩ ذكر الوقائع بعد فتح القادسية
٧٠ ذكر فتح المدائن التي فيها ايوان كسرى
٧١ ذكر ما جمع من اهل المدائن وقسمتها
٧٣ ذكر قسمة عمر بن الخطاب الغنائم
٧٣ ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان
٧٤ ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصرا من الامصار
٧٥ ذكر فتح تكريت والموصل وماسبدان
٧٦ ذكر فتح قرقيسا وغزوة فارس وفتح الاهواز ومناذر ونهر تيرى
٧٧ ذكر فتح رامهرمز ونستر واسر الهرمزان
٧٩ ذكر فتح السوس ومصالحة جندنيسابور ومسير المسلمين الى كرمان وغيرها
٨٠ ذكر وقعة نهاوند
٨٤ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما
٨٥ ذكر فتح همذان والماهين واصبهان ورويلة وفتح همذان الثاني
٨٦ ذكر فتح قروين وزنجان والرى وقومس وجرجان وطبرستان
٨٧ ذكر فتح طرابلس الغرب والرقة واذربيجان والباب
٨٨ ذكر فتح موقان وغزو الترك
٨٩ ذكر فتح خراسان
٩١ ذكر فتح نهر زور والصامغان وغزو معاوية بلاد الروم وفتح توح
٩٢ ذكر فتح اصطخر وجور وفسا ودارا بجرد
٩٣ ذكر فتح كرمان
٩٤ ذكر فتح سجستان ومكران وبيروذ والاهواز

صحيفة

٩٥ ذكر خبر سمة بن قيس والاكراد ووفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٩٦ ذكر الفتوحات في خلافة عثمان رضى الله عنه وخلاف اهل الاسكندرية وصلح اهل ارمينية واذربيجان
٩٨ ذكر غزوة معاوية الروم وغزوة افريقية وغزوة كابل وفتح افريقية
١٠٠ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية وغزوة الاندلس وقنسرين
١٠٠ ذكر فتح قبرس في خلافة عثمان رضى الله عنه
١٠١ ذكر انتقاض اهل فارس وغزوة تان والصوارى
٢ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس
١ ذكر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وفتحها
ذكر فتح كرمان
ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما
١ ذكر غزو ضيق القسطنطينية وغزوة بلنجر
١٠٥ ذكر خروج الترك مع ملكهم فارن وغزوة حصن المرأة
١٠٦ ذكر انتقاض اهل قبرس وغزوهم
١٠٦ ذكر فتح رودس ووفاة عثمان بن عفان رضى الله عنه
١٠٦ ذكر غزوة عقبة بن نافع الى افريقية
١٠٧ ذكر غزوة السند
١٠٧ ذكر غزوة القسطنطينية
١٠٨ ذكر غزوات في افريقية وغيرها
١٠٩ ذكر غزوات ووفاة معاوية رضى الله عنه

صحيفة		صحيفة	
٢٧٦	غزوة اخرى	٢٧٩	غزوة اخرى و يتبعها امور
٢٧٧	غزوة اخرى	٢٨٢	غزوة عسلمى
٢٧٨	غزوة اخرى	٢٨٤	ذكر استخلاص جبل افتتح من النصارى
٢٧٨	ذكر وفادة الطاغية على السلطان	٢٨٤	ذكر غزوة للسلطان ابى الحسن الى الاندلس ومايتبع
٢٧٩	غزوة اخرى		
٢٧٩	غزوة اخرى		

صحيفة
٢١٨ ذكر خروج الترك من الصين وغزو بين الدولة الى الهند والافغانية
٢١٩ ذكر فتح قلعة من الهند
٢٢٠ ذكر فتح سومنات
٢٢١ ذكر غرق الاصطول بصقلية وغزو للهند
٢٢٢ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه
٢٢٢ ذكر غزو الكردى وملك الروم مدينة الرها
٢٢٣ ذكر ملك الروم قلعة اقامية وفتح قلعة سرستى وملك الروم تل بيركوى
٢٢٤ ذكر تملك مودود سبكتكين مدة من حصون الهند
٢٢٥ ذكر اخبار الروم والروسية
٢٢٥ ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم
٢٢٦ ذكر غزوة للسلجوقية وفتح أرسلان مدينة آنى
٢٢٨ ذكر خروج ملك الروم الى بلاد طوايره
٢٢٩ ذكر مقتل السلطان الب ارسلان
٢٣٠ ذكر فتوح فى بلاد الهند وفتح انطاكية واستيلاء الفرنج على صقلية
٢٣٤ اتمام الكلام على غزوات الاندلس ومايتبع ذلك
٢٤٠ ذكر غزوة من غزوات المنصور بن ابى عامر
٢٤١ خبر عجيب من اخبار المنصور
٢٤٢ ذكر غزوات من غزواته
٢٤٦ ذكر اول مدينة تملكها الطاغية وتملكه بربشتر وسرقسطة
٢٤٨ ذكر استرجاع المسلمين بربشتر وسرقسطة
٢٤٩ ذكر تملك الطاغية طليطلة
٢٥٣ ذكر غزوة الذلاقة
٢٥٥ ذكر ماكان بعد غزوة الذلاقة
٢٥٦ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين
٢٥٦ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى انه المهدى المنتظر
٢٥٨ ذكر دولة عبدالمؤمن وبنيه
٢٦٠ ذكر اول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس
٢٦٢ ذكر فتوح المهدية
٢٦٤ ذكر فتوحات يوسف بن عبدالمؤمن
٢٦٦ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف ابن عبدالمؤمن
٢٦٩ ذكر محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن
٢٧٠ ذكر دولة بنى مرين وغزواتهم بالاندلس
٢٧١ ذكر ماكان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف دولة بنى عبدالمؤمن
٢٧٣ ذكر اول تجهيز من بنى مرين لغزو النصارى بالاندلس
٢٧٤ ذكر غزوة اخرى لبنى مرين بالاندلس
٢٧٤ غزوة اخرى
٢٧٤ غزوة اخرى
٢٧٥ غزوة اخرى
٢٧٥ غزوة اخرى

صحيفة

١٥٨ ذكر نكث الديلم
١٥٨ ذكر خروج استاذسيس
١٦٠ ذكر فتح مدينة بار بد بالهند
١٦٠ ذكر غزو المهدى
١٦١ ذكر غزو هارون الرشيد الروم
١٦٢ ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام
١٦٢ ذكر غزو الروم
١٦٣ ذكر فتح هرقلة وقبرس وغيرهما
١٦٣ ذكر غزو الفرنج بالاندلس
١٦٤ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج
١٦٥ ذكر غزوة المأمون الى بلاد الروم
١٦٥ ذكر خروج الروم الى زبطرة
١٦٦ ذكر فتح عمورية وهى بروسة
١٦٧ ذكر غزوات ابن الاغلب بافريقية
١٦٧ ذكر غزوات بأفريقية
١٦٩ ذكر غزوات وفتوحات بافريقية
١٧٣ ذكر فتح قصريانة
١٧٤ ذكر مسير الروم الى ارض مصر
١٧٤ ذكر اغارة البجاة على مصر
١٧٦ ذكر غزوات وفتوحات بافريقية
١٧٧ ذكر غزوة عظمى بالاندلس
١٧٧ ذكر القتال مع صاحب الزنج
١٨٠ ذكر ملك الروم لؤلؤة
١٨١ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة
١٨٢ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار
١٨٣ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية
١٨٣ ذكر غزوات
١٨٥ ذكر حرب بين المسلمين والروم
١٨٦ ذكر دخول القرامطة مكة
١٨٧ ذكر رجوع الحجر الاسود الى مكة بعد أن أخذه القرامطة

صحيفة

١٨٧ ذكر غزوات
١٨٨ استطراد فيما كان للمقتدر من اتساع قضية الملك مع قصة قتله
١٨٩ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام
١٩٠ ذكر مسير المرزبان اليهم
١٩١ ذكر غزوة بصقلية
١٩٢ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة
١٩٢ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب
١٩٣ ذكر فتح طبرمين من صقلية
١٩٥ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان
١٩٦ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس وخروج الروم الى بلاد الاسلام
١ ذكر ملك الروم انطاكية
١٤ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها
١٩٨ ذكر ملك الروم ملاذكرد وما فعله الروم باجزيرة وانهزام الروم واسر الدمستق
١٩٩ ذكر غزوات بالهند
٢٠٠ ذكر غزوة لامير صقلية
٢٠٠ ذكر دخول الروسية فى دين النصرانية
٢٠١ استطراد فى ذكر دول الافرنج
٢١١ فائدتان تابعتان لما تقدم
٢١٢ تتميم فيه ذكر من ملك الدنيا
٢١٣ ذكر غزوة للسلطان محمود بن سبكتكين
٢١٤ ذكر غزوات له فى الهند وغير الهند
٢١٧ ذكر غزوة الى الهند وغزو قشمير وقنوج وغيرهما

صحيفة
١٠٩ ذكر غزوة عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افريقية
١١٣ ذكر صلح عبد الملك بن مروان لملك الروم
١١٤ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر
١١٤ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن الاشعث
١١٥ ذكر خلع الحجاج وعبد الملك والبيعة لعبد الرحمن بن الاشعث
١١٩ ذكر فتح قالى قلا
١٢٠ ذكر غزوة قتيبة بيكند
١٢٠ ذكر فتح طوانة من بلاد
١٢١ ذكر غزوة نومشكث وره قتيبة بخارى
١٢٢ ذكر صلح قتيبة مع اله نيزك وفتح الطالقان
١٢٤ ذكر قتل ذاهر ملك السند وفتح
١٢٥ ذكر غزوة الهند وفتحه
١٢٦ ذكر فتوحات موسى بن نصير
١٢٧ ذكر غزوة قتيبة شومان وكش ونسف
١٢٧ ذكر فتح الاندلس
١٢٨ ذكر غرق المسلمين بسبب الغلول من الغنائم
١٢٩ ذكر غزوة سجستان وصلح خوارزم شاه وفتح خام جرد
١٣٠ ذكر فتح سمرقند
١٣١ ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة
١٣٢ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر
١٣٣ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم وولاية يزيد بن المهلب خراسان

صحيفة
١٣٤ ذكر فتح جرجان وطبرستان
١٣٥ ذكر فتح جرجان الفتح الثانى
١٣٦ ذكر محاصرة القسطنطينية وغزوة الترك
١٣٧ ذكر غزوة الصغد
١٣٨ ذكر الوقعة بين الخرشى والصغد
١٣٩ ذكر غزوة الخزر .
١٤٠ ذكر فتح بلنجر
١٤٢ ذكر غزوة مسلم بن سعيد الترك
١٤٣ ذكر غزوة بالاندلس وغزة بالغور والختل
١٤٣ ذكر ماجرى لاشرس مع اهل سمرقند وغيرهما
١٤٥ ذكر غزو ماوراء النهر
١٤٦ ذكر وقعة الجنيد المرى بالشعب ومعها غزوات
١٤٩ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقى امير الاندلس
١٤٩ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان
١٥١ ذكر مقتل خاقان
١٥٢ ذكر غزوات نصر بن سيار ماوراء النهر
ذكر غزو مروان بن محمد
١٥٥ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد
١٥٥ ذكر ملك الروم ملاطية
١٥٦ ذكر غزوة كش
١٥٦ ذكر دخول عبد الرحمن الداخل الاندلس وتملكها
١٥٧ ذكر غزوة طبرستان
١٥٨ ذكر نكث الاصبهبذ

ماشاء الله كان

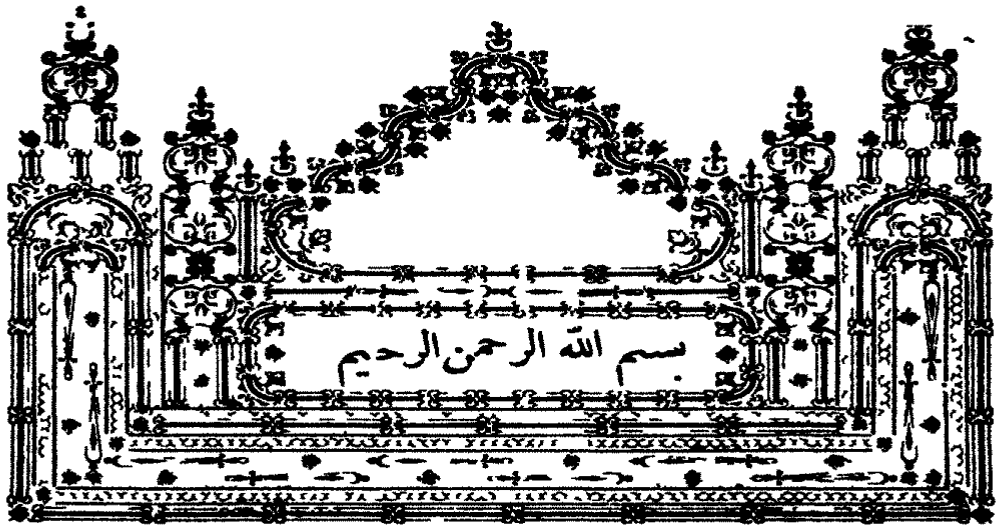

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
أما بعد فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام
المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه
والمسلمين أجمعين هذه وريقات جمعت فيها بغاية الاختصار الفتوحات الاسلامية التي
افتتحها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك فابتدأت بما
كان منها في زمن سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسميتها الفتوحات الاسلامية بعد
مضي الفتوحات النبوية فأولها بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما لأن النبي صلى
الله عليه وسلم جهزه في زمنه الذي توفي فيه وأمره ان يسير الى الموضع الذي استشهد فيه
أبوه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقا والداروم من ارض
فلسطين ومشارق الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مسير جيش أسامة فلما
استخلف ابو بكر رضي الله عنه وارتد كثير من عرب أشار عليه بعض الصحابة رضي الله عنهم
بتأخير جيش أسامة رضي الله عنه فامتنع وقال أول شئ أنفذه سير الجيش الذي جهزه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة الذي
جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار أسامة رضي الله عنه بجيشه كما أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبث الجنود في بلاد قضاعة التي ارتدت وأغار على أبني فسي وقتل
وغنم ورجع لأربعين يوما ولم يحدث ابو بكر رضي الله عنه في مغيبه شيأ وكان انفاذ جيش
أسامة من أعظم الأمور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا

الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرتد أحد منهم أما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه خطبة ابي بكر رضي الله عنه التي خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أهل المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وتلى آيات أخر ثم قال والله اني أعلم ان هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما وقال ايضا يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدين اليكم العرب وتؤدي اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزء ومصدق فكان ما رأيتم فوالله ليكونن الباقي ثم ذكر لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف ابي بكر رضي الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوي دينكم ومبلغ حجتكم على خيركم يعني ابا بكر رضي الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه الروضة هي المقام الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر وكان فصيحا بليغا يخطبهم ويحثهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله يعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا لان سهيلا كان أعلم اي مشقوق الشفة العليا والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعه يا عمر فعسى ان يقوم مقاما تحمده عليه ولا تذمه فكان ذلك المقام هذه الخطبة التي قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها أهل مكة وكان اسلام سهيل ابن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتي عشرة وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب لانه من بني عامر بن لؤي والنبي صلى الله عليه وسلم من بني كعب بن لؤي وكان سهيل رضي الله عنه من أشراف قريش وله ترجمة واسعة وأما ثقيف فثبتهم الله بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه فانه قام فيهم بمثل ما قام به سهيل بن عمرو في مكة فثبتوا وكان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور مسيلمة الكذاب ودعواه النبوة باليمامة وظهور طليحة بن خويلد الأسدي ودعواه النبوة في بني أسد وغطفان وظهور الأسود العنسي ودعواه النبوة باليمن فاما الأسود العنسي فسلط الله عليه فيروز الديلمي فقتله وأخبر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الأخبار بقتله في أول خلافة ابي بكر رضي الله عنه وأما مسيلمة وطليحة الأسدي فسيأتي الكلام عليهما ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين واشرأبت اليهودية والنصرانية وعم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية واضطرمت الارض نارا وكانت ردتهم مختلفة فمنهم من قال لو كان نبيا ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد ان محمدا رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا فقال أبو بكر رضي الله عنه ان الزكاة من الصلاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فجادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وابو عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة وغيرهم ومن مجادلتهم له قول عمر رضي الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له ابو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وانا حي والله لأجاهدنهم مهما أستمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا وقال له عمر ايضا انما شحت العرب على أموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة فأبى الا قتالهم وقال له عمر ايضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دمائهم واموالهم فقال له ابو بكر رضي الله عنه أليس قد قال الا بحقها ومن حقها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي فقال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو الا ان رأيت أن شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة في قتال اهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد قنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبي بكر أجمعنا ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال انس بن مالك رضي الله عنه كره الصحابة أولا قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على كمال شجاعته وقال ابو بكر بن عياش سمعت أباحصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من ابي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة

﴿ ذكر أول وقعة في قتال أهل الردة ﴾

كان بعض أهل الردة طمعوا في استيلائهم على المدينة واستيصال الصحابة ليرجعوا الأمر جاهلية كما كانوا فعجل جماعة من بني عبس وذبيان ونزلوا في الأبرق ونزل آخرون بذي القصة ومعهم قوم من بني اسد وكنانة وبعثوا وفدا الى ابي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون

الزكاة فأبى ابوبكر من ذلك وأخذ فى الاحتراس والتحذر منهم فجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبروا قومهم بقلة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى ابى بكر فخرج فى أهل المسجد الحاضرين فى ذلك الوقت على اللواضح فهربوا والمسلمون فى اتباعهم الى ذى خشب وكان للمرتدين كمين فى ذى حسى فنفروا أبل المسلمين بشنان نفخوها وفيها حبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسلمين الوهن وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات ابوبكر رضى الله عنه يعبى الناس وخرج على تعبيته فاطلع الفجر الاوهم والعدو على صعيد واحد فاشعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فاذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتلوا رجالا منهم وتبعهم ابوبكر رضى الله عنه ومن معه حتى نزلوا بذى القصة وكان ذلك اول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون واعتز المسلمون بوقعة ابى بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد استخلفه ابوبكر رضى الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسلمين الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الخطيئة أسيرا فطأطئت بنو عبس وبنو بكر وأقام ابوبكر بالابرق أياما وغلب على بنى ذبيان وبلادهم وحماها لارواب المسلمين وصدقاتهم ثم رجع الى المدينة ولما انهزم بنو عبس وذبيان رجعوا الى طليحة الاسدى وهو ببزاخة ثم قطع ابوبكر رضى الله عنه البعوث وعقد الالوية فعقد أحد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا وعزم ابو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا وخرج هو فى مائة من المهاجرين والانصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بذى القصة ومكث اياما ينتظر الناس وبعث الى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثر الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما يكلمان أبا بكر فى الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر أرجع ياخليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة ورداً فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق وابوبكر يظهر المسير بنفسه واخرج الدارقطنى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال لما برز أبوبكر واستوى على الراحلة اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال الى أين ياخليفة رسول الله أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنابك لايكون للاسلام نظام ابدا ولما ألحوا عليه فى الرجوع رجع بعد أن بعث الامراء فى كل ناحية لقتال أهل الردة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى بزاخة لقتال طليحة ابن خويلد الاسدى ﴾
﴿ من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ﴾

ادعى النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وزعم ان جبريل يأتيه وسجع للناس الاكاذيب والخرافات التى تمجها الاسماع كقوله والحمام واليمام ومصر والصوام قدضمن

قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وغطفان وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله مايصنع بتعفر وجوهكم وتقبيح أدباركم شيأ اذكروا الله اعبدوه قياما فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليحة ومعه كثير من المهاجرين والانصار ومعه ايضا عدي بن حاتم في ألف من طيئ وكان طليحة قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وغيرهم وارتد ايضا عيينة بن حصن الفزاري وصار مع طليحة ونزلوا جميعا بزاخة فقصدهم خالد بن الوليد بمن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليحة على فرسه واحتقب امرأته ونجا بها الى الشام روى ان طليحة قال لاصحابه لما رأى انهزامهم ويلكم مايهزمكم فقال له رجل منهم انا أخبركم انه ليس منا رجل الا وهو يحب ان صاحبه يموت قبله وانا نلقى قوما كأنهم يحب ان يموت قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال ولقاء القوم أرسل طليعة عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا وقيل ان حبال أخو طليحة أسر فأرادوا ارساله الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اضربوا عنقي ولا ترونى محمديكم هذا ولما وقع القتال من طليحة وقومه كان خالد رضي الله عنه يحرض المؤمنين ويقول يامعشر الانصار الله الله واقتحم وسط القوم وكر على اصحاب طليحة فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم واشتد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع طليحة قتالا شديدا وكذا قومه وكان معه منهم سبعمائة ولما انهزم القوم أسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيري وأرسلا الى ابي بكر رضي الله عنه فرجعا للاسلام فقبله منهما واما طليحة فانه لما انهزم الناس فر وبقي نحو الشام عند بني غسان الى ان توفي ابو بكر رضي الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم في الاسلام أسلم طليحة وحسن اسلامه ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه وقال له عمر رضي الله عنه انت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك ابدا فقال يا أمير المؤمنين مايهمك من رجلين اكرمهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بايديهما ثم كان لطليحة آثار جيلة في قتال الفرس لما فتح العراق وكان من الشجعان المشهورين استشهد رضي الله عنه بنهاوند سنة ثمان عشرة ولما أوقع الله ببني أسد ما أوقع وانهزموا بث خالد السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه فجعلت العرب تسير الى خالد راغبة في الاسلام او خائفة من السيف ومنهم من مضى الى ابي بكر ولم يأت خالدا ولما فرغ خالد من بني اسد سار الى ارض بني تميم فلما وصل الى البطاح من ارض تميم لم يجد بها جمعا فرق السرايا في نواحيها فلقوا اثنى عشر رجلا فيهم مالك بن نويرة التميمي وكانوا ممن ارتدوا ومنعوا الزكاة فأخذوهم وجاؤا بهم خالدا واختلف الذين أخذوهم في مالك بن نويرة ومن معه فقال قوم انهم أسلموا فخالفنا عليهم من سبيل وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسبيهم حلال وكان ذلك رأى خالد فيهم فامر بهم خالد فقتلوا وقتل معهم مالك وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالدا سمع من مالك كلاما استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبكم قد توفي فلم خالد أنه أراد

انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن ردته فقتله بعد ان تكرر من مالك قوله فعل صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك وقيل انه لما قدم مالك بن نويرة ومعه الأسرى على خالد حبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة مطيرة فنادى مناديه ان أدفئوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله امرا أصابه ولما قدم خالد على ابي بكر رضي الله عنه سأله عن قتل مالك بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل عذره وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه يقتل خالدا قصاصا في مالك بن نويرة فقال ابو بكر ياعمر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ودفع ابو بكر رضي الله عنه ديات لأولياء مالك بن نويرة ومن قتل معه وكان مالك بن نويرة أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم عليه فجعله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه فجمعها فلما بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان من أمره ماتقدم وكان خالد رضي الله عنه بعد وقعة مالك بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بابي بكر رضي الله عنه واعتذر مما كان في أمر مالك بن نويرة فقبل عذره وأمره بالسير الى قتال مسيلمة فسار خالد ومن معه لقتال أهل اليمامة التابعين لمسيلمة ولنذكر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

﴿ ذكر خبر سجاح ﴾

لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومها وقوم من بني تغلب وكانوا أخوالها وسجعت لهم أسجاع طليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو بجمو عها ابا بكر رضي الله عنه بالمدينة ثم أثنوا عليها بغزو مسيلمة باليمامة فخرجت بمن معها تريد اليمامة وقالت عليكم باليمامة دفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيلمة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأمن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة وأرسل لها أبعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فجمرها وأكثر فيها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها في تلك القبة فقالت له ماأوحى اليك ربك فقال ألم ترى الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا ايضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلاجا وتخرجها اذا شاءت اخراجا فينتجن لهن سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبي قال هل لك ان أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم قال

* ألا قومي الى النيك * فقد هيئ لك المضجع * فان شئت ففي البيت *
* وان شئت ففي المخدع * وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع *
* وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع * قالت بل به أجمع

فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقام لك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخيرة فانصرفت معها أصحابها فقال بعض منهم

* أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا *

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثاني تترك عنده من يأخذه فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركت عنده من يأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء خالد اليهم فارفضوا قيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها ذكر وقيل انها أسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب ﴾ ﴿ بن حبيب الحنفي ﴾

كان ابو بكر رضي الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه في عسكر الى مسيلمة وأتبعه بشرحبيل بن حسنة التميمي وقيل الكندي وكان حليفا لبني زهرة رضي الله عنه فعجل عكرمة فواقاهم فنكبوه فانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة لأبي بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر ان لا ترجع فتوهن الناس امض الى قتال أهل عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حذيفة بن محصن وعرفجة ابن هرثمة فأمر عكرمة باللحاق بهما ثم لما جاء خالد الى نجد بعد قصة مالك بن نويرة أمره بالمسير الى اليمامة لقتال مسيلمة بن حبيب ومسيلمة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وكان مسيلمة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل له الأمر بعده وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سعف النخل فقال لمسيلمة لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه فلما رجع الى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال اني أشركت في الامر مع محمد فاتبعه بنو حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه أتشهدان أني رسول الله قالا نعم قال أتشهدان ان مسيلمة رسول الله قالا نعم اشترك معك في الأمر فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد اهلكت اهل الحجر ابادك الله ومن صوت معك فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفاه وكتب عن رسول الله كتابا زعم انه وصله بثبوت الشركة بينهما واخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتتنوا بذلك وكان ذلك في آخر السنة العاشرة من الهجرة قال الزمخشري في ربيع الابرار قال الجاحظ كان مسيلمة قبل ادعاء النبوة يدور في الاسواق التي بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات واحتيالات اصحاب الرقى والنجوم ومما تعلمه من الحيل انه صب على بيضة من خل حاذق قاطع فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى النبوة فامن به جماعة ووضع الصلاة عن قومه واحل الخمر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنو حنيفة الا افرادا منهم من ذوي عقولهم ومن اراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سجعات يزعم انه يعارض بها القرآن وهي ركيكة ضحكة للعقلا منها قوله الفيل مالفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لقليل ومنها قوله ياضفدع كم تنقين اعلاك من الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وروى ياضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكثي في الارض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولما سمع اللعين والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا فالحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطابحات طبخا والحافرات حفرا والخابزات خبزا فالثاردات ثردا فاللاقمات لقما والآكلات اكلا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وله غير ذلك مما يدل على سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأة اتت مسيلمة فقالت ادع الله لنا ولنخلنا ولمائنا فان محمدا دعا لقومه فجاشت آبارهم وكثر ماؤها قال كيف صنع قالت دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومج فيه فافرغوه في تلك الآبار ففعل مسيلمة كذلك فغارت تلك المياه ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عين علي رضي الله عنه وكان ارمد فبرء تفل في عين بصير فعمي ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها وحفرة بنو حنيفة بيرا فاعذبوها متياحا فجاؤا الى مسيلمة وطلبوا منه ان يأتيها وان يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت اجاجا وتوضأ مسيلمة في حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت وقال له رجل بارك على ولدي فان محمدا يبارك على اولاد اصحابه فلم يؤت بصبي فمسح مسيلمة رأسه او حنكه الاقرع اولثغ وجاءه رجل فقال يا ابا ثمامه اني ذو مال وليس لي مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن عشرين ولي مولود ولد امس احب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب

قال في القاموس والنيرنج بالكسر اخذ كالسحر ولس به اهـ

لك الذى ظلت فجعل عمر المولود ار بعين سنة فرجع الرجل الى اهله مسرورا فتردى الاكبر فى بير ووجد الصغير ينزع فى الموت فلم يمس من ذ لك اليوم حتى ما تا جميعا فقالت امهما فلا والله مالا بى ثمامه عند الهه مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيلمة قبيح الخلقة وذميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم ان جبريل يأتيه بالوحى وكان اسمه هارون ابن حبيب وكنيته ابو ثمامه ولقبه مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامه قيل انه كان يقول ان الذى يأتيه اسمه رحمن وقيل انه من باب تعنتهم فى الكفر هم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضى عنه ابو بكر رضى الله عنه بعثه الى مسيلمة فتعجل الى البطاح وامده ابو بكر رضى الله عنه بالرجال فانتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامه وكان جيشه ار بعة آلاف وكان اهل اليمامة ار بعون الف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى الله عنه خرجوا وعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم واقبل خالد وجعل على مقدمته شرحبيل بن حسنه فهجم عليه من اصحاب مسيلمة ليلة سر يه ار بعون اوستون قبض المسلمون عليهم وقتلوهم ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حر با مثلها قط وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافر ين ثم انزل الله نصره على المسلمين حتى الجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها فدخلها المسلمون عليهم وقاتلوهم اشد القتال فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ورجل من الانصار اما وحشى فدفع عليه جر بته فوقعت بين ثدييه وضر به الانصارى بسيفه واختلف فى هذا الانصارى فقيل هو ابو دجانه وقيل هو عبدالله بن ز يد قال ابن عمر فصرخ رجل وقال قتله العبد الاسود وقالت جا رية على ظهر بيت وآمير المؤمنين قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله مهزومة واخذهم السيف من كل جانب ثم بقى منهم جماعة بالحصون فصالحهم خالد على كل شئ دون النفوس وفى رواية فصالحهم على الصفرا والبيضا والحلقة والكراع ونصف السبى وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يعنى حمزة ومسيلمه وفى تاريخ ابن الوردى لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة حين قتله وحشى بأحد قال بعضهم ويل لوحشى من النار فقال صلى الله عليه وسلم اما حمزة فاجله قد انقضى واما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا كيف يا رسول الله قال هو يقتل مسيلمة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم واستشهد فى هذه الوقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة يطول الكلام بتعداد اسمائهم وجملة من قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمايه رجل ومن بقية المسلمين ستمائه فجملة من استشهد من المسلمين الف ومائتان وقيل الف وثمانمأة ومن المشركين نحو عشرين الف قتل منهم فى الحديقة فقط سبعة عشر الفا كما فى تاريخ بن خلدون وكانت هذه الوقعة فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة من الهجرة كذا فى تاريخ الخميس والذى يقتضه تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن

خلدون انها كانت فى اواخر السنة الحادية عشر لأنهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق
فى اول سنة ثنتى عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال اهل اليمامة وكان القتال يوما
كاملا من بكرة النهار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد فى ذلك اليوم قتالا شديدا وكان
يقول شهدت عشرين زحفا فلم ار قوما اصبر لوقع السيوف ولا اضرب بها ولا اثبت
اقداما من بنى حنيفة يوم اليمامه وقال ابو برزة الاسلمى لقد اقتحم خالد حتى اعذر وصبر
حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنا ونحن اربعة آلاف فانتهينا الى اليمامة فننتهى الى
قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم اولى بأس شديد ثم ان الله بمنه وكرمه
وفضله رزقنا عليهم الظفر وكان مع المسلمين امرأة وهى ام عماره نسيبه بنت كعب الانصاريه
وهى والدة عبدالله بن زيد الذى قتل مسيلمة مع وحشى وشهدت امه ذلك اليوم وقطعت
يدها فى ذلك القتال وكانت ام عماره هذه جاءت الى ابى بكر رضى الله عنه لما تجهز القوم
للخروج واستأذنته فى الخروج فقال لها ابو بكر رضى الله عنه ما مثلك يحال بينه وبين
الخروج قد عرفناك وعرفنا جرآءتك فى الحرب فاخرجى على اسم الله وكان مسيلمة قبل
خروجهم قد ظفر بابن لها وهو حبيب ابن زيد وكان مقبلا من عمان يريد المدينه فسمع به مسيلمة
فارسل من قبض عليه وجئ به اسرا فقال له مسيلمة اتشهد انى رسول الله فقال لا اسمع
فقال له اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقتل وكان كلما قال اتشهد انى رسول الله
قال لا اسمع فاذا قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه
من المنكبين ورجليه من الوركين ثم احرقه بالنار وهو فى كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع
عما بدأ به حتى مات فى النار فخرجت امه مع القوم لتأخذ بثار ابنها فلما انتهوا الى اليمامه فكانت
تقاتل مع المسلمين قالت فلما انتهينا الى الحديقة ازدحمنا على الباب فاقتحمنا فضاربناهم ساعة وجعلت
اقصد عدو الله مسيلمة لان اراه ولقد عاهدت الله لئن رأيته لاكذب عنه او اقتل دونه
وجعلت الرجال تختلط والسيوف بيدهم تختلف وخرس القوم فلا صوت الا وقع السيوف
حتى بصرت بعدو الله فشددت عليه وعرض لى منهم رجل فضرب يدى فقطعها فوالله
ما عرجت عليها حتى انتهيت الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابنى عبدالله وفى رواية وابنى
يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته قال نعم يا امه فسجدت شكرا لله تعالى وقطع الله دابرهم فلما
انقطعت الحرب ورجعت الى منزلى جاءنى خالد ابن الوليد بطبيب من العرب فداوانى بالزيت
المقلى وكان والله اشد على من القطع وكان خالد كثير التعاهد لى حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا
ويحفظ فينا وصية نبينا وعن محمد بن يحيى بن حبان قال جرحت ام عماره يوم اليمامه احد
عشر جرحا بين ضربة سيف اورمية بسهم اوطعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك ولما قدمت
المدينة كان ابو بكر رضى الله عنه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة وممن استشهد يوم
اليمامه ثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به
وفود العرب اذا قدموا عليه يفتخرون بفصاحة خطبائهم وكان يوم اليمامة معه راية الانصار
ولما استشهد ودفنه المسلمون سمعوه حين ادخلوه فى قبره يقول محمد رسول الله ابو بكر
الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك القاضى عياض فى الشفا

وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين فى منامه يقول له انى موصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت بالامس جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعى فاخذها واتى بها منزله فاكفا عليها برمته وجعل على البرمة رحلا وخباه فى اقصى العسكر الى جنب خبائه فرس ابلق يسن فى طوله فأت خالد بن الوليد فاخبره فليبعث الى درعى فليأخذها واذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان على من الدين كذا ولى من الدين كذا وسعد ومبارك غلاماى حران فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه فلما اصبح الرجل اتى خالد رضى الله عنه فاخبره فبعث خالد الى الدرع فوجدها كما قال واخبره بوصيته فاجازها ولا نعلم ان احدا من المسلمين اجيزة وصيته بعد موته الا ثابت ابن قيس بن شماس وقد روى ان بلال بن الحارث رضى الله عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض اهل اليمامة وسألهم عن اجتماع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ماخرج من إل ولا بر فاين يذهب بكم عن احلامكم وقال ابو بكر رضى الله عنه فى حق اهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم فى بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى وقصة يوم اليمامة طويلة وقع فيها عجائب من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم وكلها مذكورة فى التواريخ وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم والكلام على بقية اهل الردة الذين قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتى الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام على غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق ﴾

ولما فرغ خالد بن الوليد من امر اليمامه بعث اليه ابو بكر رضى الله عنه فى المحرم من سنة ثنتى عشرة فامره بالمسير الى العراق فسار من اليمامه وقيل قدم على ابى بكر رضى الله عنه ثم سار من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية عليهم ثم سار الى الحيره وخرج اليه اشرافها مع اياس ابن قبيصه الطائى الامير عليها بعد النعمان ابن المنذر فدعاهم الى الاسلام او الجزية او مناجزة الحرب فاختاروا الجزية فصالحوه على تسعين الف درهم ثم سار الى الابله وكان معه عشرة الاف وامده ابو بكر رضى الله عنه بالمثنى بن حارثة الشيبانى ومعه ثمانية الاف وكان قبل مجئ خالد استأذن ابا بكر رضى الله عنه ان يغزوا بالعراق فلما قدم خالد امر ابو بكر المثنى ان يكون مع خالد ونازلوا الحفير وكان ذلك الفرج اعظم فروج فارس واشدها شوكة وكان صاحبه اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر ويحارب الهند فى البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى كسرى اذدشير الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقترن قومه بالسلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد وكانوا سبقوه فى النزول على الماء فنزل خالد على غير ماء فقال له اصحابه فى ذلك فقال لهم لعمرى ليصيرن الماء لاصبر الفريقين فحطوا اثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فارسل الله سحابة فاغدرت وراصف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وتواطأ مع اصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز ايضا

وتضاربا

وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل اصحاب هرمز الذين تواطأ معهم فاشغل ذلك خالدا عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو عليهم فازاحهم وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون وقتل خالد هرمز واخذ سلبه وكانت قلنسوته بمائة الف وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة الف و بعث خالد بالفتح والاخماس الى ابى بكر وسميت هذه الوقعة ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان البصرة و بعث المثنى بن حارثة فى اثار العدو فحاصر حصن المرأة وفتحه فاسلمت وتزوجها وكان كسرى اذ دشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد امده بجيش فلقية المنهزمون فرجعوا ونزلوا الثنى وهو النهر وتعرف هذه الوقعة بوقعة الثنى وسار اليهم خالد واقتتلوا وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفا سوى من غرق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة واخذ الجزية من الفلاحين وصالحوا فى ذمة وكان فى السبى والد الحسن البصرى وكان نصرانيا ولما جاء الخبر الى كسرى بعث جيشا عظيما وعسكروا بالدجلة فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم و بلغ عدد قتلاهم سبعين الفا ثم سار الى امغيشيا فغزا اهلها واعجلهم ان ينقلوا اموالهم فغنم جميع مافيها وخربها فلما بلغ ذلك ابابكر رضى الله عنه قال عجزت النساء ان يلدن مثل خالد ثم سار الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيره فعسكر عند العريين وارسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله وجميع من معه ثم سار خالد الى ابيه فى الحيره فهرب من غير قتال وحاصر خالد قصور الحيره وافتتحها واكثر القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبد المسيح ابن بقيله وكان معمرا فقال له خالد كم اتى عليك قال مئوسنين قيل ان عمره كان اربعمائه سنة قال فما اعجب مارأيت قال رأيت القرى منظومة مابين دمشق والحيره تخرج المرأة فلا تتزود الا رغيفا وكان معه خادم معه كيس فسأله خالد ما فى هذا الكيس قال فيه سم ساعه فاخذه خالد ونثره فى يده وقال لم تستصحب هذا معك قال خشيت ان يكون على غير مارأيت فيكون الموت احب الى من مكروه ادخله على قومى فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على اجلها ثم قال خالد بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ وابتلع السم فقال ابن عبد المسيح والله لتبلغن ماارد تم مادام احد منكم هكذا واباخالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح لصحابى اسمه شويل كما فى تاريخ ابن الاثير وقيل شريك كما فى تاريخ ابن خلدون وكرامه بنت عبد المسيح قيل اسمها الشيما وسبب اشتراط تسليمها له ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيره سأله ذلك الصحابى ان يعطى كرامة بنت عبد المسيح قال ابن الاثير وكان راها شابه فمالت اليها فوعده النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيره طلبها وشهد له شهود بوعد النبى صلى الله عليه وسلم فسلموها لخالد وسلمها خالد له وقالوا عد النبى صلى الله عليه وسلم اياه فاشتروها منه بألف درهم وصالحهم خالد على مايتى الف وتسعين الفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى ابى بكر رضى الله عنه فقبلها ابو بكر من الجزية

وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية وقصة بنت عبد المسيح ذكرها الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة البغله فقال روى الطبرانى وابو نعيم من طرق صححه عن خزيمة ابن اوس قال ها جرت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعته يقول هذه الحيره قد رفعت اليكم ستفتحونها وهذه الشيما بنت بقيله الازديه على بغلة شهبا معتجرة لخمار اسود فقلت يارسول الله ان نحن دخلنا الحيره فوجدناها على هذه الصفه فهى لى قال عليه الصلاة والسلام هى لك فاقبلنا مع خالد ابن الوليد نريد الحيره فلما دخلناها كان اول من تلقانا الشيما بنت بقيله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغله شهبا معتجره بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فاتيته بها فسلمها لى ونزل الينا اخوها عبد المسيح فقال اتبعيها فقلت نعم فقال احتكم ماشئت فقلت والله لا انقصها عن الف درهم فدفع لى الف درهم فقيل لى لو قلت مائة الف درهم لدفعها لك فقلت لا احسب مالا اكثر من الف درهم قال الطبرانى وبلغنى ان الشاهدين كان محمدا بن مسلمة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم انتهى وفى اسد الغابه ان اسم الصحابى المذكور حزيم ابن اوس الطائى وان المرأة اسمها الشيما وان الشاهدين محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمرو وقيل محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير فمن قال ان الصحابى شويل او شريك فلعله يلقب بذلك وكذلك من قال ان اسم المرأة كرامه فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته والحيره مدينة بارض الكوفه على ساحل البحر كان بها ملك النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمال الكسرى ملك الفرس والآن لا اثر للمدينة المذكوره ومكان المدينة دجله

﴿ ذكر فتح ماور الحيره ﴾

كان الدهاقين يتربصون بخالد مايصنع باهل الحيره فلما طالعهم واستقاموا له جائته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلى الحيره من الفلاليج على الفى الف وبث السرايا فى الثغور وامرهم بالغاره فخروا السواد كله الى شاطى دجله وكتب الى ملوك فارس يدعوهم الى الاسلام او اداء الجزية واقام بالحيره سنة يصوب ويصعد والفرس حايرون فيمن يملكونه لان ملكهم مات فحصل اضطراب بينهم ثم سار خالد الى الانبار فحاصرهم وامر الرماة ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فاصابوا الف عين فسميت تلك الوقعه ذات العيون فادسلوا يطلبون الصلح على اقل لم يرضه خالد فرد الرسل ونحر من ابل العسكر كل ضعيف والقاه فى خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فبذلوا لخالد ماراد وعقدوا الصلح معه والحقهم بماء منهم ليس معهم شئ غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار واهل كلواذا

﴿ ذكر فتح عين التمر ﴾

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين التمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن اعلم بقتال العرب فدعونا وخالدا فقالوا صدقتم

فتقدم العرب لقتال خالد فاسر امیرهم ثم قتله وهزمهم واسر کثیرا منهم فانهزم العجم وترکوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبی فنزلوا علی حکمه فاخذهم اسری ثم قتلهم اجمعین وسبی کل من فی الحصن وغنم مافیه ووجد فی بیعتهم اربعین غلاما یتعلمون الانجیل فاخذهم فقسمهم علی اهل البلاد منهم سیرین والد محمد بن سیرین ونصیر ولد موسی بن نصیر وحمران مولی عثمان رضی الله عنه وارسل الی ابی بکر بالخبر والخمس

﴿ ذکر خبر دومة الجندل ﴾

لما فرغ خالد من عین التمر جاءه کتاب من عیاض بن غنم رضی الله عنه وکان امیرا علی جیش لقتال نصاری العرب الذین بدومة الجندل فکتب لخالد یستمده علی من بأزائه من نصاری العرب وکانوا قبایل کثیرة فسار الیه خالد فنزل دومه وعیاض علیها من الجهة الاخری فقاتلوا نصاری العرب من الجهتین فانهزموا الی الحصن فحاصروهم وافتتحوا الحصن عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذریة واقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم فی الحیرة وکثرت جموعهم بالحصید ومعهم کثیر من نصاری العرب وکان خالد جعل علی الحیرة القعقاع ابن عمرو فقاتلهم بالحصید وقتل من العجم مقتلة عظیمة وهزمهم وغنم المسلمون غنایم کثیرة ثم اجتمع الاعاجم بمضیخ بنی البرشاء وکثرت جموعهم فبلغ الخبر خالدا فکتب الی القعقاع ومن معه من الامراء ووعدهم ساعة ولیلة یجتمعون فیها الی المضیخ وخرج خالد قاصدا الیهم فلما کانت تلک الساعة من لیلة الوعد اتفقوا جمیعا فاغاروا علیهم وهم نایمون من ثلاثة اوجه فقتلوا کثیرا منهم وکان معهم عبد الغری ابن ابی رهم ولبید بن جریر وکانا قد اسلما ومعهما کتاب من ابی بکر رضی الله عنه باسلامهما فقتلا فی المعرکة فوداهما ابو بکر واوصی باولادهما وکان عمر رضی الله عنه یعتد بقتلهما وقتل مالک بن نویره علی خالد فیقول ابو بکر کذلک یلقی من نازل اهل الشرک

﴿ ذکر وقعة الثنی والزمیل ﴾

کان ربیعة بن بجیر التغلبی بالثنی والزمیل وهما شرقی الرصافة ومعه جموع یریدها قتال خالد رضی الله فلما اصاب خالدا اهل المضیخ امر القعقاع والامرا بالمسیر لیغیروا علیهم وسار خالد من المضیخ واجتمع بالثنی فبیتوا القوم واغاروا علیهم من ثلاثة اوجه وجردوا فیهم السیوف فلم یفلت منهم مخبر وغنم وسبی ولما انهزم من کانوا بالمضیخ کان فیهم الهذیل بن عمران فلحق بجند لهم کان بالبشر فی عسکر ضخم فبیتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم قتلة عظیمة وقسم الغنائم وبعث الخمس الی ابی بکر رضی الله عنه ثم سار خالد الی الرضاب وبها جمع من نصاری العرب فهربوا وتفرقوا لما سمعوا بمسیر خالد فوصل الیها خالد ولم یلق کیدا

﴿ ذکر وقعة الغراض ﴾

ثم سار خالد من الرضاب الی الغراض وهی تخوم الشام والعراق والجزیرة وافطربها

رمضان لاتصال الغزوات وجيت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس فاعانوهم واجتمع معهم من العراب تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا بالغراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وامر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم السيف فقتل فى المعركة وفى الطلب مائة الف واقام خالد بالغراض عشرا ثم اذن بالرجوع الى الحيره لخمس بقيت من ذى القعدة وخرج هو من الغراض حاجا سرا ومعه عدة من اصحابه يعسف البلاد فاتى مكه وحج ورجع فما توافى جنده بالحيره حتى وافاهم ولم يعلم بحجه الا من اعلمه ولم يعلم بذلك ابو بكر رضى الله عنه الا بعد رجوعه فعتب عليه فى ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق مدا جموع المسلمين باليرموك وكانت غزواته هذه كلها فى اقل من سنة لانه توجه الى العراق فى المحرم سنة ثنتى عشرة كما تقدم ولنذكر بقية الكلام على قتال اهل الردة الذى جر امن الامرا غير خالد بن الوليد ثم نرجع لما كان فى فتوح الشام

قتل فى المعركة مائة الف

﴿ ذكر ردة بنى عامر وهوازن وسليم ﴾

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتوخر اخرى وتنظر امر طليحة وما تصنع بنو اسد وغطفان حتى احيط بهم واوقع بهم خالد بن الوليد وكان رؤسا بنى عامر قرة بن هبيره وعلقمة ابن علاثه وكان علقمة اسلم ثم ارتد فى زمن النبى صلى عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب فبلغ ذلك ابا بكر رضى الله عنه فبعث اليه سرية عليها القعقاع ابن عمرو فاغار على الماء الذى عليه علقمه وكان لا يبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم واسلم اهله وولده فاخذهم القعقاع وقدم بهم على ابى بكر رضى الله عنه فجعدوا ان يكونوا على ما كان عليه علقمة ولم يبلغ ابابكر رضى الله عنه انهم فارقوا دارهم وقالوا له ماذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم علقمة فقبل ذلك منه واقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخه يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله واتوا خالد بن الوليد فبايعهم على ما بايع اهل بزاخه واعطوه بايديهم على الاسلام ولم يقبل من احد من اسد وغطفان وطى وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام فى حال ردتهم فأتوه بهم فقتل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الابار وارسل الى ابى بكر رضى الله عنه يعلمه واما قرة بن هبيره فكان قد لقى عمرو بن العاص رضى الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمرو تركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالا تاوه فغضب عمرو واسمعه كلاما وابلغ مقالته ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قرة بن هبيره وبعث به الى ابى بكر فاسلم واعتذر فقبل ذلك منه ابو بكر وحقن دمه ثم اجتمع قبائل من غطفان وهوازن وطى واسد الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر فى الجوب وبلغ ذلك خالدا بعد فراغه من اهل بزاخه فقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا واما بنو سليم فكان الفجاءة ابن عبد ياليل قدم على ابى بكر رضى الله عنه يستعينه مدعيا اسلامه ويضمن له قتال

اهل

اهل الردة فاعطاه وامره فخرج الى الجون وارتد و بعث نجبة بن ابى المثنى من بنى الشريد وامره بشن الغاره على المسلمين فى سليم وهوازن فبعث ابو بكر الى طريفة ابن حاجر وعبدالله بن قيس الحاسي فنهضا اليه ولقياه فقتل نجبه وهرب الفجاه فلحقه طريفه فاسره وجاء به الى ابى بكر رضى الله عنه فاوقدله فى مصلى المدينة حطبا ثم رمى به فى النار مقموطا وفات بنو سليم كلهم ودخلوا فى الاسلام وكان منهم ابو شجره بن عبدالعزى السلمى وهو ابن الخنسا وكان قدارتد وقال شعرا منه قوله

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

يعنى عمر بن الخطاب فلما اسلم قبل ابو بكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأ عمر يقسم مالا فى المساكين فقال اعطنى فانى ذوحاجة فقال ومن انت فقال ابو شجره بن عبدالعزى السلمى قال اى عدو الله لا والله الست الذى تقول

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

وجعل عمر يعلوه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال ابياتا منها قوله

* ضن علينا ابو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق *

﴿ ذكر ردة اهل البحرين ﴾

كانت عبدالقيس وبكر بن وائل وغيرهم من احياء ربيعة قدارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فاما عبدالقيس فردهم الجارود ابن المعلى الى الاسلام وكان قداسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام فاسلموا فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لوكان نبيا مامات فقال لهم الجارود تعلمون ان الله انبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون انهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قدمات وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس ابن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع واستغوى من بهما وبعث بعثا الى وارين والى جواثا فحصر المسلمين واشتد الحصر على من بهما فبعث ابو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه لقتال اهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى الجارود ان ينازل بعبدالقيس الحطم بن ضبيعة وخندق العلاء والمسلمون على انفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يترا وجون القتال و يرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا وسمعوا فى بعض الليالى ضوضأة شديدة اى جلبة وصياحا فى المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاء هم بان القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هرابا واقتحموا الخندق فمن بين متردد وناج ومقتول ومأسور وابادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلا الناس الى دارين وقال لهم قدأراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا

وكان بينهم وبين دارين البحر فاقتحموا البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا ارحم الراحمين يا كريم يا حليم يا احد يا صمد يا حي يا محي الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا الله انت ربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ما يغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون وا كثر المسلمون فيهم القتل فاتركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجرانه فيها وكتب العلا الى ابى بكر رضى الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم ابن ضبيعه ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل الفان وكان مع المسلمين راهب من اهل هجر فاسلم فقيل له ما حملك على الاسلام قال ثلاثة اشياء خشيت ان يمسخني الله بعدها فيض في الرمال وتمهيد ثبج البحر ودعاء سمعته في عسكرهم في الهوا سحرا اللهم انت الرحمن الرحيم لا اله غيرك البديع فليس قبلك شئ والدائم غير الغافل الحي الذى لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم انت في شان علمت كل شئ بغير معلم فعلمت ان القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد وا العلاء بن الحضرمي صحابي مشهور توفى سنة اربع عشرة من الهجرة وكان مجاب الدعوه واصله من حضرموت ونزل جده مكه وكان حليفا لحرب بن اميه وكان له في هذه الغزوة اثار محموده وكرامات كثيره منها انهم سلكوا مفازه وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كانها جناح طائر فقعقعت عليهم وامطرت حتى ملؤا الآنية وسقوا الركاب قال الراوى ثم انطلقنا حتى اتينا دارين والبحر بيننا و بينهم وفي رواية اتينا على خليج من البحر ماخيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا وكان المرتدون قد احرقوا السفن فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اجزنا ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزا باسم الله قال ابو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة آلاف وقال ابراهيم بن ابى حبيبة حبس لهم البحر حتى حاضوا اليهم وجاوزه العلا واصحابه مشيا على ارجلهم وكانت تجرى فيه السفن قبل

العلاء من الحضرمي صحابي
اصله من حضرموت

﴿ ذكر ردة اهل عمان والمهره ﴾

كان على اهل عمان والمهره عاملان للنبي صلى الله عليه وسلم جيفر وعياذ ابناء الجلندى فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم قام بعمان رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدى فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين فبعث جيفره الى ابى بكر بالخبر فبعث ابو بكر رضى الله عنه حذيفه بن محصن الحميرى الى عمان وعرفجة البارقى الى المهره وامرهما ان يكاتبا جيفرا ويأخذا برأيه وكان قد بعث عكرمة بن ابى جهل الى اليمامه ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر فامره بالمسير الى حذيفه وعرفجة ليقاتل معهما عمان والمهره ويتوجه اذا فرغ من ذلك الى اليمن فمضى عكرمة فلحق بهما قبل ان يصلا عمان وقد عهد اليهم ابو بكر ان ينتهوا

الى رأى عكرمه فراسلوا جيفرا وعياذا وبلغ لقيطا المتغلب مجئ الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعياذ بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤسا الذين تقدموا بجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط واصحابه فقاتلوهم وقد اقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجيه وعليهم الحريث بن راشد من بني عبد القيس وسيحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف وسبوا الذراري والنسا وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمس الى ابي بكر رضي الله عنه وكان الخمس ثمانمائة راس واقام حذيفة بعمان وسار عكرمه الى المهره فهزمهم وقتل رئيسهم واصابوا منهم الفي نجيبه واجاب اهل تلك النواحي الى الاسلام وبعث الى ابي بكر رضي الله عنه بالفتح ثم سار عوا الى اليمن

﴿ ذكر ردة اهل اليمن ﴾

لما ظهر الاسود العنسي وادعا النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من اهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمي الاسود العنسي رجع كثير منهم الى الاسلام فلما جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان ابو بكر رضي الله عنه اقام فيروز الديلمي اميرا على صنعا فكان يقاتل كل من قدر على قتاله وكان باليمن عمال للنبي صلى الله عليه وسلم اقامهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم على نجران للصلاه ومعه ابو سفيان ابن حرب على الصدقات وعلى مابين زمع وزبيد ونجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني وعلى الجند يعلى بن اميه وعلى مارب ابو موسى الاشعري وعلى وعك الطاهر بن ابي هاله وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشه بن ثور الغوثي وعلى كنده المهاجر ابن ابي امية المخزومي وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن ينتقل على هؤلاء وهؤلاء في اعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد واما المهاجر ابن ابي اميه فانه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على كنده مرض ولم يصل اليها واقام زياد ابن لبيد ينوب عنه وكان ابو بكر رضي الله عنه قد حارب اهل الردة اولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتد وابتدا بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر امور الناس لا يستعين بمرتد فكتب الى عتاب بن اسيد بمكة وعثمان ابن ابي العاص بالطايف بركوب من لم يرتد على من ارتد وكان قد اجتمع بتهامه او باش من مدلج وخزاعه فبعث عتاب اليهم فغرقهم وقتلهم واجتمع بشنؤة جمع من الازد وخثعم وبجيله فبعث اليهم عثمان بن ابي العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من تهامه جموع من عك والاشعريين فسار اليهم الطاهر بن ابي هاله ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلوهم واقام بالاجناد ينتظر امر ابي بكر ومعه مسروق العكي وبعث ابو بكر رضي الله عنه الى نجران وكتب ابو بكر الى عثمان بن ابي العاص ان يضرب البعوث على مخاليف اهل الطائف فضرب على كل مخلاف عشرين وامر عليهم اخاه عبد الرحمن وكتب الى عتاب بن اسيد ان يضرب على مكة وعملها خمسمائة ففعل وامر عليهم اخاه خالد بن اسيد واقاموا ينتظرون امر ابي بكر رضي الله

عنه فامر المهاجر بن ابى امية المخزومى ان يسير الى اليمن ليصلح من امره ثم يسير الى عمله الذى ولاه النبى صلى الله عليه وسلم وامره بقتال من بين بخران واقصى اليمن ففعل ذلك ومر بمكة والطايف فسار معه خالد بن اسيد وعبدالرحمن بن ابى العاص بمن معهما ومر بجرير بن عبدالرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما اليه وكان عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكتوم ممن ارتدا فظفر بهما المهاجر فاوثقهما و بعث بهما الى ابى بكر فتابا فقبل توبتهما وردهما وسار المهاجر وقتل كل من ظفر به من المرتدين وقاتل من قاتله وقبل توبة من يتوب الى ان وصل الى صنعا وكتب الى ابى بكر بدخوله صنعا فجاء الجواب ان يسير الى كنده مع عكرمة بن ابى جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهره والازد وناجية وعبدالقيس وغيرهم فسار وامع المهاجر الى كنده وكتب زياد النائب على كنده الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمغارة بين مارب وحضر موت فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل الى زياد وشدوا الى كنده وكانوا قد ارتد كثير منهم وارتد الاشعث بن قيس السكسكى فجعلوه اميرا عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم وقتل كثيرا منهم وفروا الى البحير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه فحاصروهم وسدوا عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد ولحق عكرمه المهاجر وهم محاصرون القوم ثم استأمن الاشعث الى عكرمه فخرج اليه فجاء به الى المهاجر فامنه فى اهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر اكتبوا ماشئتم وهلموا الكتاب حتى اختمه واشترطوا على انفسهم ان يفتحوا لهم باب الحصن ففعلوا فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذريه والنسا فكان فى السبى الف امرأة وكان الاشعث بن قيس لما كتب الصحيفة ختم عليها المهاجر كتب التسعة ونسى ان يكتب نفسه فلما فرغوا من القتل والسبى طلب المهاجر الصحيفة التى كتبوها والتى ختم عليها فاذا الاشعث ليس مكتوبا معهم فقال المهاجر الحمد لله الذى اخطأنك يا اشعث ياعدو الله قد كنت اشتهى ان يخزيك الله وشده كتافا فقيل له اخره و سيره الى ابى بكر فهو اعلم بالحكم فيه فسيره الى ابى بكر مع السبى فكان المسلمون يلعنونه و يلعنه سبايا قومه وسماه نسا قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له ابو بكر ما ترانى اصنع بك قال لا اعلم قال فانى اقتلك قال فانا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى قال ابو بكر فاوجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشى القتل قال اوتحتسب فى خيرا فتطلق الاسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت بامثالى وترد على زوجتى وقد كان خطب ام فروة اخت ابى بكر لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم و آخرها الى ان يقدم الثانية فتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدنى خير اهل بلادى لدين الله فحقن دمه وزوجه اخته وحسن اسلامه واقام بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسيه واليرموك وكان مع على رضى الله عنه فى قتال صفين وتوفى بالكوفة سنة اثنين واربعين من الهجرة وقيل بعد على رضى الله عنه بار بعين يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله عنهما قال بن الاثير قد اختلف فى تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال بن اسحاق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين و بعث الجنود الى

اصلاح

الشام سنة ثنتى عشرة وقال ابو معشر و يزيد بن عياض وابو عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة احدى عشرة وكان مسير خالد الى العراق فى اول سنة ثنتى عشرة الى ذى القعده منها وهذا القول هو الذى يدل عليه سياق تلك الوقايع

﴿ ذكر فتوح الشام ﴾

لما فرغ ابو بكر رضى الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه احد فبينما هو كذلك اذ رأى شر حبيل بن حسنه فى المنام صورة غزو الشام و بعث الجند فجاءه شرحبيل وجلس اليه فقال ياخليفة رسول الله احدثت نفسك بالغزو وان تبعث الى الشام جندا قال نعم حدثت نفسى بذلك ولم يطلع عليه احد وما سألتنى الا لشئ فاخبره شر حبيل بما رأى فاوله ابو بكر ببعثه جندا الى الشام وفتحها عليهم ثم انه بعد ذلك امر الامرا و بعث الى الشام البعوث وعن عبدالله بن ابى اوفى الخزاعى رضى الله عنه قال لما اراد ابو بكر رضى الله عنه ان يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وابا عبيدة ابن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى ابى بكر رضى الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأى فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لا نخالف امرك وعلى رضى الله عنه فى القوم لا يتكلم فقال له ابو بكر ماذا ترى يا ابا الحسن فقال ارى انك مبارك الامر ميمون النقيبه فانك ان سرت اليهم بنفسك او بعثت عليهم نصرت ان شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه حتى تقوم الساعه واهله ظاهرون فقال ابو بكر سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتنى سرك الله فى الدنيا والآخره ثم انه قام فى الناس خطيبا ورغب الناس فى الجهاد ثم امر بلالا فاذن فى الناس انفروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع فى بعث الجيوش وكان ذلك فى افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل فى اول السنة التى قبلها حين بعث خالد بن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى اهل مكة والطايف واليمن وغيرها فكتب لهم جميعا بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان اوجهكم الى ناحيه بلاد الشام لتأخذوها من ايدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليباد رالى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر قدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن انس بن مالك رضى الله عنه فما مرت الايام حتى قدم انس رضى الله عنه يبشره بقدوم اهل اليمن وقال ياخليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على احد الا بادر لطاعة الله ورسوله واجابوا دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد والنضيد وقد اقبلت اليك ياخليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال فسر ابو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما ثم عقد الالوية وامر الامرا وبعثهم الى الشام

افواجا يتبع بعضهم بعضا كلما اجتمع جماعة امرهم بالتوجه فمن الامرا الذين عقدلهم الالوية ابو عبيدة بن الجراح و يزيد بن ابى سفيان وربيعة ابن عامر وشرحبيل بن حسنه وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص وغيرهم وجعل كل واحد امير اعلى جماعة وامره بالتوجه الى الموضع الذى عينه له وجعل اباعبيده امير اعلى الجميع وكلما توجه امير يودعه ابو بكر رضى الله عنه و يوصيه فكان يوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات فى اوقاتها جماعة وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم وان يقللوا البثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شئ من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الامير هو المتولى لكلامهم وان يكثروا الحرس و يفرقوهم فى العسكر وان يكثروا مفاجاتهم فى محارسهم بغير علم منهم فمن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وان يعاقب بينهم فى الليل و يجعل النوبة الاولى اطول من الاخيره فانها ايسرهما لقرب الاخيره من النهار وان لا يغفلوا عن العسكر فيفسدوا ولا يحسوا عليهم فيفضحوهم ولا يكشفوا عن الناس اسرارهم بل يكتفوا بعلانيتهم وان يكثروا من مجالسة اهل الصدق والوفا وان يشاوروهم وان لا يجبنوا فيجبن الناس وان يجتنبوا الغلول فان الغلول يقرب الفقر و يدفع النصر وقال ستجدون اقواما حبسوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له الى غير ذلك مما اوصاهم به وكان ابو بكر رضى الله عنه يدعو لهم اذا خرجوا من دعائه اللهم احفظهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم واحطط اوزارهم واعظم اجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش المسلمين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرضهم على القتال عن دينهم وبلادهم ثم اتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم اتى حمص ففعل مثل ذلك ثم اتى انطاكيه فاقام بها وبعث الى الروم فحشدهم فجاء منهم مالا يحصى ولما دنى ابو عبيدة من الجابيه اتاه آت فاخبره ان هرقل بانطاكيه وانه جمع من الجموع مالم يجمعه احد كان قبله من اباءه فكتب الى ابى بكر رضى الله عنه بذلك فجائه الجواب يعده بالنصر ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه ممده بالرجال ثم امدهم بخمسة مع هاشم بن عتبه بن ابى وقاص وسعيد ابن عامر و بخمسة مع معاوية مددا لاخيه يزيد وكان الناس اقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان ابو بكر رضى الله عنه كلما اجتمع اناس بعثهم مددا لمن سبقهم

هرقل يمسكن حرقل فلسطين والجابيه دمشق وحمص وانطاكيه والروم امام انطاكيه

﴿ ذكر اول وقعه بالشام ﴾

اول وقعة بالشام كانت بالعربه من ارض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قايد خمسمائه فكانوا ثلاثة الاف فبعث اليهم يزيد بن ابى سفيان ابا امامه الباهلى فى خمسمائه فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقائدا من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنه فساروا اليهم فهزموهم وزحفت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فعند ذلك فزع الروم وارسلوا الى ملكهم فامدهم بجموع كثيرة نحو تسعين الفا فنزلوا بثنيه جلق باعلا فلسطين وعليهم اخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بحمص وكان فى جهة فلسطين عمرو بن العاص بمن معه من المسلمين وبعث هرقل ستين الفا نحو ابى عبيدة بالجابيه وبعث جيشا قريبا من

ذلك نحو يزيد بن ابى سفيان وكان نازلا بالبلقا وجيشا نحو شرحبيل بن حسنه وكان نازلا ببصرى فراى المسلمون ان الاجتماع اليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم ايضا واجتمعوا باليرموك وصار الوادى خندقالهم واقام الجميع شهر صفر وشهرى ربيع لايقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولايخرج الروم خرجة الا اخذهم المسلمون واديلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات فى تلك المده ولماراى المسلمون مطاولة الروم استمدوا ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد ابن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير اليهم وان يأخذ نصف الناس الذين عنده و يستخلف على النصف الاخر المثنى بن حارثة الشيبانى فسار خالد من العراق فى تسعة الاف وقيل فى ستة واغار فى طريقه على كثير من المشركين واخذهم وناله مشقة كثيره فى مسيره هذا وسار فى مفا وزليس فيها ماء فامر صاحب كل جماعه ان يعطشوا بعض الابل المسنه ثم يسقوها الماء عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا اذان الابل و يشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ساروا يوما وليله وشقوا بطون عشرة من الابل فزجوا ما فى كرشها من الماء بما كان من الالبان وسقوا ذلك للخيل ففعلوا ذلك اربعة ايام ولما وصل ثنية العقاب وهى من ارض الشام ناشرا رأيته وهى رأية سودا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب اغار على غسان وهم من نصارى العرب الذين بالشام فصبحهم وقتل وسبى وارسل سرية الى كنيسة بالغوطه فقتلوا الرجال وسبوا النسا وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فكانت بصرى اول مدينة فتحت بالشام على يد خالد واهل العراق وقيل ان فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار خالد فطلع على المسلمين فى ربيع الاخر وكان ابوبكر رضى الله عنه كتب لخالد ان يسير من العراق الى الشام و يلقى اباعبيدة ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فانت امير الجماعه والسلام فكتب خالد كتابا لابى عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل الازدى وفيه امابعد فانى اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف والعصمة فى دار الدنيا من كل سوء وقد اتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى بالمسير الى الشام و بالقيام على جندها والتولى لامرها والله ماطلبت ذلك قط ولا اردته اذ وليته فانت على حالك التى كنت عليه لا نعصيك ولانخالفك ولا نقطع دونك امرا فانت سيد المسلمين لا ننكر فضلك ولانستغنى عن رأيك تمم الله بنا و بك من احسان ورحمنا واياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله و بركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رأى وحيا الله خالدا وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لابى عبيدة رضى الله عنه امابعد فانى قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلا تخالفه واسمع له واطع فانى لم ابعثه عليك ان لا تكون عندى خيرا منه ولكننى ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك اراد الله بنا و بك خيرا والسلام

﴿ ذكر وقعة اليرموك ﴾

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين الفا سوى

ستة الاف مع عكرمة ابن ابي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين الفاسوى من كان مع عكرمه فيكونون جميعا ار بعين الفا وكان فيهم الف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم في ما ئتي الف وار بعين الفا مقاتل منهم ثمانون الف مقيد وار بعون الف مسلسل للموت وار بعون الف مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون الف راجل وكان قتال المسلمين لهم على التساند كل امير على اصحابه لم يجمعهم احد حتى قدم خالد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذى لم يكن بعده قتال في جمادى الاخرة فلما احس المسلمون بخروجهم ارادو الخروج متساندين كما كانوا قبل ذلك فمنعهم خالد وسار فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من ايام الله لاينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له مابعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبيه وانتم متساندون فان ذلك لايحل ولاينبغي وان من ورآءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون انه رأى قالوا هات فالرأى قال ان ابابكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا ستتيا سر ولو علم بالذى كان لما جمعكم ان الذى انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه ان دان من الامرا ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لاينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا وان هذا يوم له مابعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعده فهلموا فلنتناوب الامارة فليكن بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني اتأمر اليوم فامروه وهم يرون انها كخرجاتهم فخرجت الروم في تعبية لم ير الراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا فجعل القلب كراديس واقام فيه ابا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه وجعل الميسره كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل القعقاع بن عمرو على كردوس وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي ابو الدردا والقاص ابو سفيان ابن حرب وعلى الطلايع قباث بن اشيم وعلى الاقباض عبد الله ابن مسعود وقال رجل لخالد ما اكثر الروم واقل المسلمين فقال خالد ما اكثر المسلمين واقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان والله لوددت ان الاشقر يعني فرسه برآ من توجيه وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره فامر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع ابن عمرو فانشبا القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا فاذهم على ذلك قدم البريد من المدينه واسمه مخمية بن زنيم فسألوه الخبر فاخبرهم بسلامة وامداد مع انه انما جاء بخبر وفاة ابي بكر رضي الله عنه واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية ابي عبيدة فبلغه خالدا وابا عبيدة سرا وبقاهم كذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له جرجة الى بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه وامن كل منهما صاحبه فقال جرجه ياخالد اخبرني واصدقني ولاتكذبني فان الحر لايكذب ولاتخادعين فان الكريم لايخادع المسترسل هل انزل الله على نبيكم سيفا من

السماء

السماء فاعطاكه فلاتسله على قوم الاهزمتهم قال لا قال فغيم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هدانى فتابعته فقال انت سيف الله سله الله على المشركين ودعا لى بالنصر قال فاخبرنى الى م تدعو قال خالد الى الاسلام او الجزية او الحرب قال فما منزلة الذى يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وافضل لانا اتبعنا نبينا وهو حى يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وانتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فمن دخل منكم بنية وصدق كان افضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد واسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة ازالوا المسلمين عن مواقفهم الى المخاميه وعليهم عكرمه ابن ابى جهل وعمه الحارث بن هشام رضى الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الازور فى اربعمن وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا فمنهم من برى ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند اخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعضع الروم وحمل خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجاله ولما راى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب افرجوا لها فتفرقت وقتل الرجاله واقتحموا فى خندقهم فاقتحموه عليهم وهوى فيه المقترنون وغيرهم ثمانون الفا من المقترنين واربعون الفا مطلق سوى من قتل فى المعركة وتجلل الفيقار وجماعة من اشراف الروم برانيسهم وجلسوا فقتلوا مترملين ودخل خالد الخندق ثم نزل فى خيمة تذارق اخى هرقل فلما اصبحوا اتى خالد بعكرمه بن ابى جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وكان مع المسلمين كثير امن النسا فقاتلن فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وفى السيره الحلبيه وكان ابو سفيان بن حرب فى ذلك اليوم يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله واصيبت احدى عينيه فى ذلك اليوم فصار اعمى لانه اصيبت عينه الاخرى فى غزوة الطايف فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يدعو الله ويردها له فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خير امنها فى الجنة فرمى بها وقال خير منها فى الجنة قال انس بن مالك رضى الله عنه رأيته فى خلافه عثمان رضى الله عنه وهو اعمى يقوده قايد فيدخل به على عثمان رضى الله عنه ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وامر عليها اميرا كما امر على دمشق وكان من اصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وعمه الحارث ابن هشام وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد والطفيل بن عمرو وطليب ابن عمير وهشام بن العاص اخو عمرو بن العاص وعياش بن ابى ربيعه وسعيد بن الحارث ابن قيس بن عدى السهمى ونعيم بن النحام والنضير ابن الحارث العبدرى اخو النضر بن الحارث الذى قتل كافرا يوم بدر وابو الروم بن عمير العبدرى اخو مصعب بن عمير وقيل قتلوا يوم اجنادين اخرج ابن عساكر عن الزهرى ان عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه كان يوم اليرموك

اعظم الناس بلاء وانه كان يركب الاسنة ويقاتل قتالا شديدا حتى جرحت الاسنة صدره ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت انا وابي من اشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اقاتل عن اللات والعزى فابذل نفسي لها فكيف استبقيها الآن عن الله ورسوله لا والله ابدا قال فلم يزدد الا اقداما حتى مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية واخرج ابن المبارك والبيهقي ان عكرمة بن جهل ترجل يوم كذا يقاتل فقال خالد بن الوليد لا تفعل فان قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عني يا خالد فانه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة واني وابي كنا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحشي وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام الغزالي في كتاب اداب تلاوة القرآن من احياء علوم الدين ان عكرمة المذكور كان اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي وروى ابو نعيم وابن منده وابن عبد البر عن حبيب بن ابي ثابت ان الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة ابن ابي جهل وعياش بن ابي ربيعة اخو الحارث بن هشام لامه جرحوا يوم اليرموك فلما اثبتوا ادعى للحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة فقال ادفعه الى عكرمة فلما اخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فما وصل الى عياش حتى مات ولا وصل الى واحد منهم حتى ماتوا رضي الله عنهم وهذا شأنهم كلهم في هذا الايثار ومما يدل على ذلك ان مثل هذه القصة بعينها قد تكررت من كثير منهم فقد روى ابن المبارك عن ابي جهم ابن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك اطلب بن عم لي ومعي شنة من ماء وآناء فقلت ان كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فاذا انا به ينئن فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطق اليه فاذا هو هشام بن العاص اخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأتيته فقلت اسقيك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فاتيت ابن عمي فاذا هو قد مات رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وهذا الذي ذكرناه في وقعة اليرموك هو اصح الاقوال وكذا كونها في سنة ثلاث عشرة هو اصح الاقوال وانها قبل فتح الشام وقيل انها بعد وقعة اجنادين وبعد فتح الشام وان وقعة اليرموك واجنادين كانا سنة خمس عشرة وقيل في وقعة اليرموك ان جيش الروم كان ستمائة الف وقيل الف الف وكان مع الروم من العرب المتنصرة ستون الفا من غسان ولخم وجذام وان القتال كان بين المسلمين ومتنصرة العرب فلما هزموا زحف الروم بحيوشهم ودام الحرب اياما كثيرة الى ان تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لا يحصى عددهم وقيل كانوا مائة الف وخمسة آلاف والاسرى كانوا اربعين الفا وان قتلى المسلمين اربعة آلاف ولما قسمت الغنائم اصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة واتبع خالد ابن الوليد المنهزمين من الروم الى قريب دمشق الشام ومعه كثير من المسلمين يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من اعظم وقايع الاسلام ومن المعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

* *
*

﴿ ذكر وقعة اجنادين ﴾

الاكثرون على انها بعد اليرموك وقيل انما كانت قبل اليرموك وحاصلها ان الروم اجتمع كثير من جنودهم قيل انهم كانوا تسعين الفا باجنادين فسار لهم جيوش المسلمين وناز لوهم وكان على الروم تذارق اخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القيقلان واجنادين يروى بكسر الدال وفتحها بين الرمله و بيت جرين من ارض فلسطين ولما نزلت الروم باجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا عليهم بعث القيقلان رجلا غريبا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم واقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ماوراك قال وجدت قوما رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجوه لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتنى لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين المسلمين والروم وكان قتالا شديدا قتل فيه من المتركين فى المعركة ثلاثة آلاف وقيل ان قتلاهم بلغوا خمسين الفا وقتلى المسلمين اربعمائة وخمسه وسبعون واتبعهم المسلمون يأسرون و يقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم فى المدائن العظام كدمشق وحمص وايليا وقيساريه واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل بن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه وضرار ابن الخطاب الفهرى وآخرون رحمهم الله ورضى عنهم وقتل تذارق اخو هرقل فى وقعة اجنادين وقيل فى وقعة اليرموك

﴿ ذكر فتح دمشق ﴾

لما انهزم الروم جاء الخبر لابى عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو موضع بناحية الشام واتاه الخبر ايضا بان اهل دمشق جاءهم مدد من حمص فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فجاءه الجواب يأمره فيه بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام و بيت ملكهم وان يشغل اهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل ابن حسنه وعمرو ابن العاص بالاردن وفلسطين فامتثل ابو عبيدة امر عمر رضى الله عنه فارسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوقريبا منها وثبق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين و بعث ابو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص ودمشق وارسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار ابو عبيده وخالد فقدموا على دمشق وعليها فسطاس فنزل ابو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو بن العاص على ناحية و يزيد ابن ابى سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التى عند حمص فخذل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون واتخذ خالد بن الوليد حبالا كهيئة السلالم وادهاقا والدهق الحبل يرمى فى انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور واثبتوا الحبال بالشرف وكان ذلك الموضع احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم انحدر خالد واصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فاتاهم المسلمون الى الباب و الى الحبال وانتهى

قوله دهقا ٢ حين الدهق شبه يوضع في العنق فتوخذ به الدابة والانسان

خالد الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة لايدرون ما الحال وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا الجهة الاخرى التى فيها ابو عبيدة وقصدوا ابا عبيدة و بذلوا الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب الذى من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من اهل ذلك الجانب ولم يعلم ابو عبيدة بما صنع خالد ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذى دخل منه اصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وابو عبيدة فى وسط المدينة هذا قتلا وفيها وهذا صفحا وتسكينا فامر ابو عبيدة خالدا ان يكف وقال انى صالحت القوم فقال خالد انى دخلتها عنوة فتنازعا فى ذلك ثم اجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة وقسموا معهم للجنود التى عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رده للمسلمين هذا هو الصحيح فى كيفية دخول خالد وابى عبيده وقيل ان خالدا ومن معه نقبوا جانبا من السور ودخلوا معه و يمكن ان جماعة منهم دخلوا بالحبال التى صنعها وجماعة آخرون نقبوا جانبا من السور واما ابو عبيدة و بقية الامراء فانهم دخلوا بالصلح الذى عقد مع ابى عبيده وقد تقدم ان خبر وفاة ابى بكر واستخلاف عمر وعزل خالد وتولية ابى عبيدة جاءهم وهم فى قتال اليرموك سنه ثلاث عشرة وفتح دمشق كان فى رجب سنة اربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة ابى بكر بعد فتح دمشق سنه ثلاث عشره و ان وفاة ابى بكر رضى الله عنه كان فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بان خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق وانها سنة خمس عشرة والقول الاول اصح وانما عزل عمر رضى الله عنه خالدا لانه كان ينقم عليه قتل مالك بن نويره وقال ايضا ان خالدا فيه تبذير للمال يعطى الشاعر اذا مدحه و يعطى للمجاهد والفارس بين يديه فوق مايستحق ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ وكان ذلك اجتهادا من عمر وماوقع من خالد كان ايضا باجتهاد وكل منهما ماجور ولا يريد الا الحق ولما جاء امر عمر رضى الله عنه بعزله امتثل امره وما زال ابو عبيدة يستشيره ولا يعمل الا برأيه ومشورته وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وماخص به من الفضايل رضى الله عنهم ولما فتحت دمشق ارسل ابو عبيده لعمر رضى الله عنهما بالفتح فكان لعمر واهل المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر ان يرسل الجند الذى جاؤا من العراق مع خالد فارسلهم الى العراق وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابن وقاص و بقى خالد مع ابى عبيده وسيأتى ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

﴿ ذكر غزوة فحل ﴾

بكسر الفاء و بالحاء المهملة لما فتحت دمشق سار ابو عبيده الى ﴿ فحل ﴾ واستخلف على دمشق يزيد ابن ابى سفيان و بعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنه وكان على المجنبتين ابو عبيده وعمرو ابن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال

عياض بن غنم وتقدم ان الروم بقوا الماحول فحل فوحلت الارض فنازل المسلمون اهل فحل و بينهم و بين الروم تلك المياه والاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضى الله عنه واقاموا ينتظرون الجواب فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار ابن الخارق فاتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنه لايبيت ولا يصبح الاعلى تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا اشد القتال ليلتهم و يومهم واظلم الليل عليهم فانهزم الروم وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار والذى يليه تسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فاخذوهم بحيث انهم صاروا لايمنعون يدلامس فزحزحوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغ فاصيب الروم وهم ثمانون الفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع بالمسلمين خيرا وهم كارهون كرهو البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم وغنموا اموالهم واقتسموها ثم سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما الى الى حمص وسيأتى ذكر ذلك

﴿ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق ﴾

لما استخلف ابو عبيدة يزيد ابن سفيان على دمشق وسار الى فحل بعث يزيد دحية الكلبي الى تدمر وا بالازاهر القشيرى الى حوران فصالحوهما ووليا عليهما وسار يزيد الى مدينة صيدا وعرقه وجبيل و بيروت وهى سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثير من اهلها وتولى فتح عرق معاوية بنفسه فى ولاية اخيه يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول ولاية عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتله واعطاهم القطائع ولما ولى عثمان الخلافة جمع لمعاوية الشام كله فوجه معاوية سفيان ابن نجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى فى مرج على اميال منها حصنا يسمى حصن سفيان قطع المادة عن اهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى احد الحصون الثلاثه وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدهم او يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما اصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه الميناء اليوم ثم بناه عبد الملك ابن مروان وحصنه ثم نقض اهله ايام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

﴿ ذكر فتح بيسان وطبريه ﴾

لما قصد ابو عبيدة حمص من فحل ارسل شرحبيل بن حسنه ومن معه الى بيسان فقاتلوا اهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان ابو عبيدة قد بعث ابا الاعور السلمى الى طبريه يحاصرهم فصالحه اهلها على مثل صلح دمشق ايضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر رضى الله عنه ولقرب الزمن فى تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا فى تقدم بعضها على

بعض والامر فى ذلك سهل

﴿ ذكر الوقعة بمرج الروم ﴾

لما سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما من فحل قاصدين حمص بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم توزر البطريق فنزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل ابو عبيده ايضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شغش الرومى فى مثل جيش توز رمدد التوزر وعونا لاهل حمص فلما نزل اصبحت الارض من توزر بلاقع وكان خالد بازائه وابو عبيدة بازاء شغش وسار توزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خلفه فى جمع ممن معه وبلغ يزيد بن ابى سفيان فعل توزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون مامعهم فقسمه يزيد فى اصحابه واصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى ابى عبيدة وقد قتل توزر وقاتل ابو عبيدة شغش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شغش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك امر بطريق حمص بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار ابو عبيدة الى حمص

﴿ ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما ﴾

لما فرغ امر مرج الروم سار ابو عبيدة والمسلمون الى حمص فنازلوها وقاتلوا اهلها فكانوا يفادونهم القتال ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا ولقى الروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد ارسل الى حمص يعدهم المدد وامر اهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن ابى وقاص من العراق السرايا الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسا فتفرق اهل الجزيرة وعادوا عن نجدة اهل حمص فكان اهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم فكانت اقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتا قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام اخر فلم يجيبوه فناجرهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص * وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم اعظم من ذلك فخرج اهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فاجابوهم وصالحوهم على مثل صلح دمشق وانزلها ابو عبيدة السمط بن الاسود الكندى فى بنى معاوية والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد فى بلى وانزلها غيرهم ايضا وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى ابى عبيدة ان اقم بمدينتك وادع اهل القوة من عرب الشام فانى غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة ابن الصامت وسار الى جاء فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم ابو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم ومضى نحو شيزر فخرج اليه اهلها يسألونه الصلح على ماصالح عليه اهل حماه فصالحهم وسار الى معرة حمص وهى معرة النعمان نسبت معره الى النعمان بن بشير الانصارى رضى الله عنه فاذا عنوله بالصلح على ماصالح اليه اهل حمص ثم اتى اللاذقيه فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على

بعد منها ثم امر فحفر حفاير عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم اظهروا انهم عابرون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا فى تلك الحفاير واصبح اهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمون قد انصرفوا عنهم فاخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يودونه قلوا او كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية بها مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا اهل جبله من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن الرومى وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة ابن الصامت انطرسوس وكان حصنا فجلا عنه اهله فبنى معاوية مدينة انطرسوس ومصرها واقطع بها القطائع المقاتلة وكذلك فعل بباباس وفتح سليه ايضا

﴿ ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطنية ﴾

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من اعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا وقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فاتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال المسلمون لهم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم الينا فنظروا فى امرهم ورأوا ما لقى اهل حمص فصالحوهم على مثل صلح حمص فابى خالد الا على خراب المدينة فاخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطنية وسببه ان خالد اوعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمر وابن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسا وادرب عبد الله ابن المعتمر من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطنية فلما بلغ عمر صنيع خالد قال امر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما ولما سار هرقل الى القسطنطنية خرج من الرها فنزل بشمشاط ثم ادرب منها الى القسطنطنية فلما اراد المسير من شمشاط علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك يا سور سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى ابدا الا خائفا حتى يولد المولود المشئوم وياليته لم يولد فالحلى فعله وامر فتيته على الروم ثم سار فدخل القسطنطنية واخذ اهل الحصون التى بين اسكندرونه وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكيه وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها احدا وربما كن عندها الروم فاصابوا من المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

﴿ ذكر فتح حلب وانطاكيه وغيرهما من العواصم ﴾

لما فرغ ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان اهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه فى جيشه وجعل بقيته فى المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع

اصنافا من العرب المتنصرة فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك واتى حلب فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنايسهم وحصرهم فاعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار ابو عبيدة الى انطاكيه وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها من جميع الجوانب ثم انهم صالحوه على الجلا او الجزية فجلا بعض واقام بعض فامنهم ثم نقضوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول وكانت انطاكيه عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابي عبيدة ان رتب بانطاكيه جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطه ولا تحبس عنهم العطا و بلغ ابا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقه وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومه وسرمين و تيزين وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكيه ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد التاث اهلها فلم يزل لهم حتى ازعنوا وفتحوا المدينة وسار ابو عبيدة يريد قورس فلقيه راهب من رهبانها بهم يسأله الصالح فصالحه على مثل صلح انطاكيه و بث خيله فغلب على جميع ارض قورس وفتح تل عزاز ثم سار الى منبج وصالحه اهلها على مثل صلح انطاكيه وسير عياض بن غنم الى ناحية دلوك وعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفه وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب ابن مسلمه الى قاصرين فصالحهم اهلها على الجزية او الجلاء فجلى اكثرهم الى بلد الروم وارض الجزيره وقرية جسر منبج واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجومه واهلها يقال لهم الجراجمه فسار اليهم حبيب بن مسلمه من انطاكيه فافتتحها صلحا على ان يكونوا عونا للمسلمين وسير ابو عبيدة جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراسي من اعمال انطاكيه الى بلاد الروم فلقي جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشتر النخعي مددا من قبل ابي عبيده وهو بانطاكيه فسلموه وعادوا وسير ابو عبيدة جيشا اخر الى مرعش مع خالد ابن الوليد ففتحها على جلا اهلها بالامان واخربها وسير جيشا اخر مع حبيب بن مسلمه الى حصن الحدث فملكه وكل هذه الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضا في ازمان متقاربة وكان فيها ايضا فتح قيساريه وحصر غزة

﴿ ذكر فتح قيساريه وحصر غزه ﴾

في سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى يزيد ابن ابي سفيان ان يرسل معاوية الى قيساريه وكتب عمر ايضا الى معاوية يامره بذلك فسار معاوية اليها فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم و يردهم الى حصنهم ثم زاحفوه اخر ذلك

مستميتين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين الفا وكلها فى هزيمتهم مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزه وجعل يراسله فلم يشفه احد بما يريد فاتاه كأنه رسول علقمه فامر القيقار رجلا ان يقعد له فى الطريق اذا رجع فاذا مر به قتله فغطن علقمه فقال للقيقار ان معى نفرا يشركوننى فى الرأى فأنطلق فاتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لا يعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد فكان فعله هذا كما فعل عمرو بن العاص بالارطبون كما سيأتى ومجزز بجيم وزايين

﴿ ذكر فتح بيسان ووقعة اجنادين ﴾

لما انصرف ابو عبيدة وخالد رضى الله عنهما الى حمص نزل عمرو ابن العاص وشرحبيل رضى الله عنهما على اهل بيسان ففتحاها وصالحا اهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزه واجنادين و بيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وكان الارطبون باجنادين واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمى وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا وكان قد وضع جندا عظيما بايليا وجندا عظيما بالرمله فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب يعنى عمرو بن العاص فانظروا عم تنفرج وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسى ومسروق العكى على قتال ايليا فشغلوا من به عنه وجعل ايضا ابا ايوب المالكى على من بالرمله من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو واقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كانه رسول فغطن به الارطبون وقال لاشك ان هذا هو الامير او من يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد على طريقه اذا رجع ليقتله وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع لك منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فأتيك بهم الآن فان راوا الذى عرضت على الآن فقد رأه الامير واهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذى امره بقتله فخرج عمرو من عنده ثم علم الرومى انها خدعة اختدعه بها فقال هذا ادهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لله در عمرو وعرف عمرو مأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايليا ونزل عمرو اجنادين وافرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل بيت المقدس

﴿ ذكر فتح بيت المقدس ﴾

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سنة ست عشرة فى ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو بن العاص غزة ثم فتح سبطية وفيها قبر يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبق وعمواس و بيت جبرين ويافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع

مايقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فقال ارطبون لايفتح والله عمرو شيأ من فلسطين بعداجنادين فقالوا له من اين علمت هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرجع الرسول الى عمرو بن العاص واخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول له انى اعالج عدوا شدا وبلادا قدادخرت لك فرأيك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الاشيأ سمعه فسار عمر من المدينة وقيل ان الروم الذين كانوا ببيت المقدس طلبوا من المسلمين ان يروهم اميرهم فاروهم ابا عبيدة وخالد ابن الوليد فقالوا لانسلم احدا من هذين مدينة بيت المقدس ولو حصرتمونا عشرة سنين وانما نسلمها لرجل صفته كذا وكذا وذكروا صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب ابو عبيدة و بقية الامرا بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان ابو عبيدة رضى الله عنه لما حصر بيت المقدس اراد ان يصالحهم على مثل صلح اهل مدن الشام فقالوا لانصالحهم الاان يكون المتولى لعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واتى بيت المقدس وفى تاريخ بن الوردى وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدقال لعمر رضى الله عنه انك ستفتح بيت المقدس بلاقتال فكان فى مجيئه اظهار معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فى اخباره بالغيب فصحها بلاسيف كما اخبره به النبى صلى الله عليه وسلم ولما سار عمر من المدينة استخلف عليها على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال له على اين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضى الله عنه انكم لوفقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه فانتقض الناس وسار عمر رضى الله عنه من المدينة وهو على بعيره وعليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد ومعه جماعة من الصحابه وكان اذا نزلوا منزلا لايبرح به حتى يصلى الصبح ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها و يقرب للمسلمين و يقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون ثم يرحل فلم يزل كذلك فى مسيره حتى قدم الشام وقيل انه لما قدم الجابيه كان على فرس وكان قدومه الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لاجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابيه ليوم سماه ويستخلفوا على اعمالهم فكان اول من لقيه يزيد بن سفيان وابو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ماسرع مارجعتم من رأيكم تستقبلونى فى هذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لوفعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا ياامير المؤمنين انها يلامعه وان علينا السلاح قال فتم اذن واليلامع من السلاح مابرق فلما دخل الجابيه جاءه اهل بيت المقدس وقد هرب عنهم ارطبون الى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له و يروى ان الروم امتنعوا من فتح باب السور حتى يروا عمر و يجدوا فيه الصفة التى يجدونها فى كتبهم فامر عمر ببعيره فقدم اليه فاستوى الى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعه عباة قطوانيه وقد عصب بها رأسه وليس معه غير ابى عبيده رضى الله عنهما سائرا بين يديه حتى قرب من السور ووقف

بازاء السور فنظر اليه البطريق وهو خلف السور وزعق باعلى صوته هذا والله الذى نجد نعته وصفته فى كتبنا وهو الذى يكون فتح بلادنا على يديه بلا محاله ثم قال لاهل بيت المقدس و يحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمه ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزيه فخر ساجدا لله على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم العهد والذمة اذ سألتمونا واقررتم بالجزية فرجع القوم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى معسكره وبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعه المسلمون وعقد الجزيه ايضا لاهل الرملة وجعل علقمه بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمه بن مجزز على نصفها الاخر واسكنه بيت المقدس وضم اليه عمرو بن العاص وشرحبيل ولقياه بالجابيه راكبا فقبل ركبته وضم كل واحد منهما محنضنها ثم سار الى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى فيه عرجا فنزل عنه فأتى ببرذون فركبه فجعل يتجهل به فنزل وضرب وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الحيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وبقى ارطبون بمصر فلما ملك المسلمون مصر قتل ولما دخل عمر بيت المقدس كشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد عليها واقام عشرة ايام ثم رجع الى المدينة وكان فى هذه السنة والتى بعدها كثير من الفتوحات بالعراق وسنذكرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوحات الشام ومصر

﴿ ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين ﴾

فى سنة سبع عشره قصد الروم اباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان الهيج للروم اهل الجزيره فانهم ارسلوا الى ملك الروم وحثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم عسكروا بفناء مدينة حمص واقبل خالد من قنسرين اليهم فأستشارهم ابو عبيدة فى المناجزة والتحصين الى مجئ الغيات فاشار خالد بالمناجزة واشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فاطاعهم وكتب الى عمر ذلك فكتب عمر الى امراء الاجناد بالعراق ان يبعثوا جند الاعانة ابى عبيدة وكان عمر رضى الله عنه قد اتخذ فى كل مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضول اموال المسلمين عدة يكون ان كان بالكوفة من ذلك اربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعه الباهلى ونفر من اهل الكوفة وفى كل مصر من الامصار على قدره فان تأتهم اتية ركب الناس وساروا الى ان يتجهز بقية الناس فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد بن ابى وقاص بالعراق ان انتدب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم فان اباعبيدة قد احيط به وكتب اليه ايضا سرح سهيل بن عدى الى الرقه وهى بلدة على الفرات بتشديد الراء والقاف المفتوحتين فان اهل الجزيره هم الذين استنار والروم على اهل حمص وامره ان يسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد حران وارها وان يسرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيره من ربيعة وتنوخ وان يكون عياض ابن غنم على امراء الجزيره ان كانت حرب فمضى القعقاع من يومه على اربعة آلاف الى حمص وسار عياض بن غنم وامراء الجزيره كل امير الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة يريد حمص مغيثا لابى عبيدة ولما بلغ اهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على اهل

حمص خبر الجنود الاسلامية فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف ابو عبيدة الى الروم فانهزموا وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث فكتبوا الى عمر بالفتح و بقدوم المدد اليهم فكتب اليهم ان اشركوهم فى الغنيمة فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزا الله اهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم و يمدون اهل الامصار فلما فرغوا رجعوا و بلغ عمر فى مسيره هذا الى الجابيه فوافاه خبر انهزام الروم فكتب الجواب لابى عبيدة ورجع من الجابيه واصحب معه خالد بن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدى على الرقه سرح الوليد بن عقبة الى عرب الجزيره فقبض اهل الرقه عن هرقل وساروا مع سهيل بن عدى الى اياد ابن نزار فانهم ادخلوه ارض الروم فكتب عمر الى هرقل بلغنى ان حيا من احيا العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم او لتخرجن النصارى اليك فاخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة آلاف فيما يلى الشام والجزيره

﴿ ذكر فتح الجزيرة وارمينيه ﴾

الجزيره بلاد تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعه بين دجلة والفرات اليها ينسب الامام الجزرى وارمينيه كورة كانت للروم لما ارسل سعد العساكر الى الجزيره ارفض به اهل الجزيره عن الروم وساروا الى كورهم حين سمعوا بارسال العساكر من الكوفة فنزل عليهم سهيل ابن عدى وحاصرهم حتى صالحوه ونازل عبدالله بن عتبان الموصل ونصيبين فصالحوه كصنع اهل الرقه وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيره فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر فكتب عمر الى هرقل كما تقدم ولما اخذوا الرقه ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبدالله بن عتبان وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزيرة فقبل منهم ثم ان عياضا سرح سهيلا وعبدالله الى الرها فاجابوهما الى الجزية واجروا كل ما اخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمه فكانت الجزيره اسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبدالله الى الكوفة وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله ان يضم اليه عياض بن غنم اذ أخذ خالد بن الوليد معه الى المدينه فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيره وحربها والوليد بن عقبه على عربها وابى الوليد بن عقبة ان يقبل من تغلب الجزيه وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لايقبل منهم الا الاسلام فدعهم على ان لاينصروا وليدا ولايمنعوا احدا منهم من الاسلام وكان فى تغلب عن وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطوا عليهم فعزله و آمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمر الحلبى والصحيح الذى عليه الاكثر ان فتح الجزيرة معدود من فتح اهل الشام وانه سنة سبع عشرة وقيل انه من فتح العراق وانه سنة تسع عشرة وانما اخذ عمر خالدا معه وعزله عن امارة الاجناد لانه رأى منه تبذيرا وسرفا فى الاموال اعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف وله عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شكا خالد عمر على الناس وقال له انك فى امرى غير مجمل فقال له عمر من اين

هـذا الثرا فقال من الغنايم والسهمان مازاد على ستين الفا فهولك فقوم عمر ماله فزاد عشرين الفا فجعلها فى بيت المال ثم قال ياخالد والله انك على لكريم وانك الى حبيب وكتب الى الامصار انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة وعوضه عما اخذه منه وكان خالدا بن خال عمر رضى الله عنهما لان ام عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيره وخالد بن الوليد ابن المغيره وكان فى قلنسوة خالد التى يقاتل فيها شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها و ببركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا وكان يقول اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس الى شعره فسبقت الى الناصية فاخذتها فاتخذت قلنسوه فجعلتها فى مقدم القلنسوه فما واجهته فى وجه الا وفتح له وسماه النبى صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله يوم غزوه موته لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمدينة بما وقع فى تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر لهم استشهاد زيد بن حارثه وجعفر ابن ابى طالب وعبدالله بن رواحه وقال ثم اخذ الرأية سيفا من سيوف الله خالد ابن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجة واسعة توفى رضى الله عنه فى خلافة عمر رضى الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة اوطعنة اورمية وهاانا اموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومامن عمل عندى ارجى من لااله الاالله وانا امتترس بها وفى سنة ثمانية عشر وقع بالشام الطاعون المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون الفا ومات فيه ابو عبيدة واستخلف معاذ ابن جبل فطعن ايضا فيه ومات فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه يزيد بن ابى سفيان فاستعمل عمر بن الخطاب اخاه معاوية ابن ابى سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنه على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك الطاعون قام ابو عبيدة خطيبا فى الناس فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان اباعبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذا يسال الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبدالرحمن فمات ثم قال فدعا به لنفسه فطعن فى راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ماأحب ان لى بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم وكان الناس قد اصابهم من الموت مالم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك الطاعون فانه مكث شهورا وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم الى الشام فى مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ وهو موضع قرب الشام بين المغيثه وتبوك لقيه امرا الاجناد فيهم ابو عبيدة بن الجراح فاخبروه بالوبا وشدته وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا ترى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا

توفى ٢١ هجرية فخلافة عمر وحضر ما تزحف

استخلاف معاوية على الشام

ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه واشاروا بالعود فنادى عمر فى الناس انى مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا اباعبيدة اى لانتقمت منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر منه وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف غائبا فحضر فاخبر انه سمع من النبى صلى الله عليه وسلم حديثا فى ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم بهذا الوبا ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث موافقا لما رأه عمر رضى الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة ومات فى ذلك الطاعون كثير من الصحابة منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما ولما فرغ الطاعون كتب امرآء الاجناد الى عمر رضى الله عنه بما فى ايديهم من المواريث فسار عمر الى الشام واستخلف على المدينة على بن ابى طالب رضى الله عنه فلما قدم الشام قسم المواريث والارزاق وسد فروج الشام ومصالحها واخذ يدورها ورجع الى المدينة فى ذى القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فأذن فامره فاذن فما بقى احد ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وبلالا يؤذن الا بكى حتى بل لحيته وعمر اشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر فتح مصر والاسكندرية ﴾

كان ابتداء الامر وانتهاؤه فى ذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة عشرين وقيل ان فتوح مصر كان فى سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضى الله عنه حمل الطعام لاهل المدينة عام الرماده التى اشتد القحط فيه فى بحر القلزم من مصر الى المدينة وعام الرماده كان سنه ثمانية عشر وقال الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهره لما كانت سنة ثمان عشرة وقدم عمر بن الخطاب الجابيه قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى ان اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا واعجزهم عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم امرها عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر بن الخطاب لذلك فاذن له فى المسير وسبب قوة رجاء عمرو بن العاص فى ان الله يفتح مصر على يديه قصة وقعت له فى الجاهلية ذكرها السيوطى ايضا فى حسن المحاضرة ولنذكرها وان كان فيها طول تتميما للفائدة قال اخرج بن عبد الحكم عن خالد بن يزيد انه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة فى نفر من قريش واذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قد قام للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو بن العاص يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربته فشرب حتى روى

ثم

ثم نام الشماس فى مكانه وكان الى جانب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها سهما فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد نجاه الله منها فقال لعمرو ماهذه فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد احيا نى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحيه فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لى نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو ان تصيب من تجارتك قال رجائى ان اصيب ماشترى به بعيرا فانى لااملك الا بعيرين فأملى ان اصيب بعيرا اخر فيكون لى ثلاثة ابعره فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل نحن اصحاب دنانير قال عمرو تكون الف دينار فقال له الشماس انى رجل غريب فى هذه البلاد وانما قدمت اصلى فى كنيسة بيت المقدس وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك ان تتبعنى الى بلادى ولك عهد الله وميثاقه ان اعطيك دينين لان الله تعالى احيانى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو تفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال الشماس نعم لك الله على بالعهد والميثاق انى افى لك واردك الى اصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على ان احفظك ذاهبا وابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انتظرنى حتى اشاور اصحابى فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لا تخرجوا واقيموا حتى ارجع اليكم ولكم على العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبنى منكم رجل أنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما اعجبه ذلك وقال مارأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الاموال ونظر الى الاسكندريه وعمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها وما بها من الاموال فازداد تعجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيها ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكلله يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اخبروا عن تلك الاكره على ماوضعها من مضى منهم ان من وقعت الاكره فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالاكره وهم يتلقونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكره قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابى يملكنا هذا لايكون ابدا وان ذلك الشماس مشى فى اهل الاسكندريه واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفى دينار وسألهم ان يجمعوا له ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع هو ومن معه الى اصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ماعلم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه

دفع اليهم فيمابينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو فكان ذلك المال اول مال ثالثته فلما اكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من ارض الشام مالت نفسه الى فتح مصر ورجا ان يتحقق له وقوع الاكره فى كمه مع ماصح من قول النبى صلى الله عليه وسلم لتفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة فرغب عمر بن الخطاب فى ان يسيره اليها حتى وافقه على ذلك فعقد له على اربعة الاف رجل كلهم من عك ويقال على ثلاثة الاف وخمسمائة فقال عمر سر وانا مستخير الله فى مسيرك وسيأتى كتابى اليك سريعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيأ من ارضها فانصرف وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو ابن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على المسلمين فى وجههم فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف بمن معه من المسلمين فادرك الكتاب عمرا وهو برفح فتخوف عمرو بن العاص ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو انتم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان امير المؤمنين عهد الى وامرنى ان لحقنى كتابه ولم ادخل مصر ان ارجع وان لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا ارض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن العاص فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو توجه الى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية اسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواحر فنزل ومن معه فقال بعض القبط لبعض الا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جوع الروم وانما هم فى قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا آخرهم فتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وابطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم بالقصر الذى يقال له باب اليون حينا وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل وكتب اليه انى قد امددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم انه صار معك اثنا عشر الفا ولا تغلب اثنا عشر الفا من قلة وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق ابوابا وجعلوا سكك الحديد موتدة بأفنية الابواب فلما قدم المدد الى عمرو ابن العاص اتى الى القصر ووضع

عليه

عليه المنجنيق وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج والياعليه وكان تحت يد المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كأنه رسول فتناظر معه فى شئ مما هم فيه فقال اخرج واستشير اصحابى وكان صاحب الحصن اوصى الذى كان على الباب اذا مر به عمرو راجعا ان يلقى عليه صخرة فيقتله فرعمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال انى اريد ان اتيك بنفر من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الى من قتل واحد فارسل الى الذى امره بقتل عمرو ان لا يتعرض له رجاء ان يأتى بأصحابه فيقتلهم وخرج عمرو فلما ابطأ عليه الفتح قال الزبير انى اهب نفسى لله ارجو ان يفتح الله ذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوا جميعا فاشعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتجامع الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا ان ينكسر فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون من خارج لم يشك اهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه فحينئذ طلب الصلح من عمرو ابن العاص على ان يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر وقال بن عبد الحكم شهرا قال ان المسلمين لما حصروا باب اليون شهرا كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فلما راوا حرص المسلمين على فتح الحصن ورغبتهم فيه حافوا ان يظهروا فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيره وامروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج فى الحصن بعد المقوقس فلما خاف فتح الحصن ركب هو واهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس فى الجزيره فارسل المقوقس الى عمرو ابن العاص انكم قوم ولجتم فى بلادنا والحمتم على قتالنا وطال مقامكم فى ارضنا وانما انتم عصبة يسيره وقد اظلكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا فارسلوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به عن شئ فلما اتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم يستحلون ذلك فى دينهم وانما فعل عمرو ذلك لاجل ان يرى احوال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم

من الرفعة ليس لاحدهم رغبة فى الدنيا ولا نهمة وانما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم وامیرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقدروا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ان ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم وتتداعى نحن وهم الى ماعسى ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وهو احد الشجعان المشهورين والفصحا المتكلمين وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث فان امير المؤمنين امرنى ان لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة ابن الصامت رضى الله عنه اسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا ان هذا الاسود افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانا نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد امره الامير دوننا بالامره به فقال المقوقس لعبادة تقدم ياأسود وكلمنى برفق فانى اهاب سوادك وان اشتد على كلامك ازددت لك هيبة فتقدم اليه عباده فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابى الف رجل اسود وكلهم اشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منى وانا قد وليت وادبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى ولو استقبلونى جميعا وكذلك اصحابى وذلك لاننا انما رغبتنا وبعيتنا الجهاد فى الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا من حارب الله رغبة فى الدنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله قد احل لنا ذلك وجعل ماغنمنا من ذلك حلالا وما بالى احدنا اكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاها ليس برخا انما النعيم والرخا فى الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامر به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضا ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندى من منظره وان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب البلاد وما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال ايها الرجل قد سمعت مقالتك وماذكرته عنك وعن اصحابك ولعمرى مابلغتم مابلغتم الا بماذكرته ولا ظهرتم على ماظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجد الينا لقتا لكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالى احدهم من لقى ولا من قاتل وانا نعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا شهرا وانتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة مابأيديكم ونحن نطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم

الف دينار

الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالاقوة لكم به فقال عبادة ان الصامت رضى الله عنه ياهذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفوننا به من رجوع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لاقوى عليهم فلعمرى ماهذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ان كان ماقلتم حقا فذلك والله ارغب مايكون فى قتالهم واشد حرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا لان ذلك امكن لنا فى رضوانه وجنته ومامن شئ قر لاعيننا ولا احب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانها لاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله تعالى قال لنا فى كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومامن رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وانما همنا ما امامنا واما انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا لانفسنا منها اكثر مما نحن فيه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت ولا تعامع نفسك فى الباطل بذلك امرنى الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا من قبل اما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخا فى دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التضرع لكم وان ابيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون نعاملكم على شئ نرضى به نحن وانتم فى كل عام ابدا مابقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوا كم وعرضنا لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب منكم ما نريد هذا ديننا الذى ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال له المقوقس هذا مما لا يكون ابدا ما تريدون الا ان تأخذونا لكم عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذاك فاختر ماشئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السما ورب هذه الارض ورب كل شئ مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القول فما تقولون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون ابدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل فى دين لا نعرفه واما ما ارادوا من ان يسبونا ويجعلونا عبيدا ابدا فالموت ايسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان اهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد ابى القوم فما ترى فراجع صاحبك على ان نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك اطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله

مالكم بهم طاقة وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبونهم الى ماهو اعظم منها كارهين فقالوا اى خصلة تجيبهم اليها قال أذن اخبركم اما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثلاث قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطنين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهلوكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجزيره و بالقصر من الروم والقبط جمع كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى ظفروا بهم وامكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيره وصار المسلمون قد احدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على ان ينفذوا ويتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المداين والقرى والمقوقس يقول لاصحابه الم اعلمكم هذا واخافه عليكم ما تنظرون فوالله لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبونهم الى ماهو اعظم منه كرها فاطيعونى قبل ان تندموا فلما رأوا منهم ما رؤا وقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يوفونه وارسل المقوقس الى عمرو بن العاص رضى الله عنه انى لم ازل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى ارسلت الى بها فأبى ذلك من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى ان افتات عليهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فاعطنى اماناً اجتمع انا وانت فى نفر من اصحابى ونفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك لنا جميعا وان ابيتم رجعنا الى ماكنا عليه فاستشار عمرو اصحابه فى ذلك السؤال فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فيئا لنا وغنيمة كما صار القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ماعهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ماقد حال من الماء بيننا و بين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط دينار بن دينار بن عن كل نفس شر يفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى ان للمسلمين عليهم منزلا لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام وان لهم ارضهم واموالهم لا يعرض لهم فى شئ منها فشرط هذا كله على القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصه من بلغ منهم الجزية افرض عليهم الدينار بن رفع ذلك عرفا وهم بالأيمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر فيما احصوا وكتبوا اكثر من ستة آلاف الف وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر الف الف دينار اى اثنا عشر مليونا من الدنانير كل سنة وقيل بلغت غلتهم ثمانية آلاف الف وشرط المقوقس للروم ان يخيروا فمن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على هذا لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج على ان للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه مافعل

فان قيل

فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه و يرد عليه ما فعل و يقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا و بمصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم و بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذ لا تقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على كثرتنا وقوتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب اليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل و يتمنى ان لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده و يرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا منا و يقولون انهم ان قتلوا ادخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله انى لا اخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه و انى لا علم انكم سترجعون غدا الى قولى ورأيى وتمنون ان لو كنتم اطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه و يحكم ما يرضى احدكم ان يكون امنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم اقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزنى وكتب الى والى جماعة الروم ان لا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطانى على نفسى ومن اطاعنى وقد تم الصلح فيما بينك و بينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسى. والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم واما الروم فانا منهم برئ وانا اطلب منك ان تعطينى ثلاث خصال قال له عمرو وما هن قال لا تنقضن بالقبط وادخلنى معهم والزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك فهم متمون لك على ما تحب واما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا فانهم اهل لذلك فانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت اليهم فاتهمونى واما الثالثة فاطلب اليك ان انا مت ان تأمرهم ان يدفنونى فى ابى حنش بالاسكندرية فأنم له عمرو بن العاص و اجابه الى ما طلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعا و يقيموا له الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما جاء فى الحديث واستعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من ارض الروم جمع عظيم ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكربون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ ورد ان

مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندريه فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون مابين حلوه الى قصر فارس الى ماورا ذلك ومعهم روساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفه ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندريه ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه اعطاما لها وامر ان لايتخلف احد من الروم وقال مابقي للروم بعد الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته وكفى الله المسلمين مؤنته وكان موته سنة تسع عشرة وقال الليث بن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير ممن قد توجه الى الاسكندريه وانتشرت العرب عند ذلك واحتث القتال على اهل الاسكندريه فقاتلوهم قتالا شديدا وحاصروا الاسكندريه تسعة اشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة شهر المحرم سنة عشرين وقال بن عبد الحكم اقام عمرو بن العاص محاصرا الاسكندرية اشهرا ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابطأ بفتحها الا لما احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص اما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنتين وماذاك الا لما احدثتم واحببتم من الدنيا مااحب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لاينصر قوما الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكون غيرهم ماغيرهم فاذا اتاك كتابي فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وامر الناس جميعا ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة فيها ووقت الاجابه وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا ففتح الله عليهم قال بن عبد الحكم حدثني ابي قال لما ابطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندريه استلقى على ظهره ثم جلس فقال اني فكرت في هذا الامر فانه لايصلح اخره الا من اصلح اوله يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك ثم روى ابن عبد الحكم عن الامام مالك ان ذلك كان سنة عشرين ولما هزم الله الروم وفتحت الاسكندرية وهرب الروم في البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى عمرو ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر ورجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره ان لا يجاوزها ويقبح رأيه في اتباعه من هرب والذي قتلوا من المسلمين من حين حصار الاسكندرية الى ان فتحت عنوة اثنان

وعشرون رجلا ولما فتحت بعث عمرو بن العاص معاوية ابن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب مبشرا له بالفتح فقال معاوية ابن خديج لعمرو بن العاص الا تكتب معى كتابا فقال عمرو وما تصنع بالكتاب الست رجلا عربيا تبلغ الرساله وما رأيت وما حضرت فلما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه واخبره بفتح الاسكندرية خر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب وقال فيه اما بعد فانى فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير انى اصبت فيها اربعة الاف متنه وهى المكان الصلب المرتفع بار بعة الاف حمام وار بعين الف يهودى وار بعمايه ملهى للملوك قال بن عبد الحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندريه وجد فيها اثنى عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر ورحل منها سبعون الف يهودى فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو بن العاص قيل ان سبب فتح الاسكندرية ان رجلا كان يقال له ابن بسامه كان بوابا فسأل عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب فاجابه عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مايه مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون الفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل و بقى من بقى من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصى يومئذ ستمائة الف سوى النسا والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمتهم وكان اكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لا اقدر اقسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو واحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينار ين دينار ين على كل رجل لا يزاد على كل واحد فى جزية اكثر من دينار ين الا نه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة واخرج بن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب قال كانت قرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس وقرطس وفرق سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة واخرج عن يحى ابن ايوب ان اهل سلطيس وحصيل و بلهيت ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فى مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان يجعل الاسكندريه وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين و يضربون عليهم الخراج و يكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فيئا ولا عبيدا ففعلوا ذلك واخرج ابن عبد الحكم عن هشام ابن ابى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرسا ذكروا لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فانكر وجد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه

هل ليسمعونه يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فارسل عمرو
الى بطرس فنزع خاتمه من يده فكتب عمرو الى ذلك الراهب ان ابعث الي بما عندك وختمه بخاتم
بطرس فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوبا
فيها مالكم تحت القاسقية الكبيرة فارسل عمروا الى القاسقية فحبس عنها الماء ثم قلع منها
البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مضروبة فضرب عمرو راس بطرس
عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقة ان يسعى على احد منهم فيقتل قتل بطرس
ثم ذكر الجلال السيوطي في حسن المحاضره اختلاف العلماء في ان مصر فتحت صلحا او عنوة
فنقل عن الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية
فانها فتحت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقريات من مصر منهن ام دنين عهد
واخرج عن يحيى بن ايوب وخالد بن حميد قال فتح الله ارض مصر كلها بصلح غير
الاسكندريه وثلاث قريات ظاهروا الروم على المسلمين سلطيس وهصيل وبلهيت ونقل عن
ابن هبيره ان مصر فتحت عنوة واخرج عن عبد الرحمن بن زياد قال سمعت اشياخنا يقولون
ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج عن ابي العاليه انه سمع عمرو بن العاص
رضي الله عنه يقول لقد قعدت مقعدي هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل
انطابلس فان لهم عهدا يوفى لهم به وزاد في رواية عن ابن لهيعه ان عمرا قال ان شئت قتلت
وان شئت خمست وان شئت بعت وفي رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن
الخطاب حبس درها وصرها ان يخرج منه شيء نظرا للاسلام واهله واخرج عن زيد
ابن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه و بين احد ممن عاهده فلم يوجد
فيه لاهل مصر عهد واخرج عن الصلت بن ابي عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز
الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج نحو ذلك عن ابي سلمة
ابن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله بن عمر واخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن
الربيع الجيزي من طرق عن سفيان بن وهب الخولاني قال لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير
ابن العوام فقال يا عمرو اقسمها فقال عمرو بن العاص لا اقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها
كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم اكن لاحدث حدثا حتى اكتب
بذلك الى امير المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب اقرها حتى يفذوا منها حبل الحبله يعني ولد
الولد وروى بن عبد الحكم عن بن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة و بعضها
عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميعا ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم
الى اليوم قال القضاعي ان فتح مصر كان يوم الجمعة في شهر محرم سنة عشرين وانهم ساروا
الى الاسكندريه في شهر ربيع الاول سنة عشرين وقيل في جمادى الاخرة وان عمرو بن
العاص رضي الله عنه قفل من الاسكندريه بعد فتحها والمقام بها في ذي القعدة سنة
عشرين وقال الليث بن سعد اقام عمرو بالاسكندريه في حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل
الى الفسطاط فاتخذها دارا واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن
العاص لما فتح الاسكندرية وراى بيوتها و بناءها هم ان يسكنها فكتب الى عمر بن

الخطاب

الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى و بين المسلمين ماء قال نعم يا امير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندريه الى الفسطاط واخرج بن عبد الحكم ايضا عن يزيد بن ابى حبيب ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابى وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصره والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندريه ان لا تجعلوا بينى و بينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتى حتى اقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى الى الكوفه وتحول صاحب البصره من المكان الذى كان فيه فنزل البصره وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال بن عبد الحكم ان عمرو ابن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما اراد التوجه الى الاسكندريه امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال لقد تحرم بنا فامر به فاقره كما هو حتى يطير الفراخ واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندريه قالوا اين ننزل قال الفسطاط يعنى فسطاطه الذى خلفه وكان مضروبا فى موضع الدار الذى يعرف اليوم بدار الحصا فلذلك سميت مصر الفسطاط قال القضاعى لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندريه ونزل موضع الفسطاط انضمت القبايل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عليهم امرآء فكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبايل وقال بن قتيبه ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله فى المسالك مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط بناه عمر وموضع فسطاطه وما جاوره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبنى عمرو بن العاص دار العمر بن الخطاب وكتب له انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب الى عمر أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال بن لهيعة هى دار البركه فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبنى حارجة بن حذافه غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغنى ان خارجة ابن حذافه بنى غرفه واراد ان يطلع على عورات جيرانه فاذا اتاك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاءه الكتاب هدمها وسأل المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك فكتب فى ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما اعطاك وهى لا تزرع وهى لا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا نجد صفتها فى الكتب ان فيها غراس الجنة وفى رواية انا نجد فى كتابنا ان ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفى رواية انا لا نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان اول من دفن فيها رجل من مغافر يقال له عامر فقيل عمرت وروى عمرو بن العاص عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر رضى الله عنه ولم يا رسول الله قال لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة ثم قال عمرو بن العاص فاحمدوا الله

معاشر المسلمين على ماولاكم ولما فتح عمرو مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤنه من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الابها فقال لهم وماذاك قالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل مايكون ثم القيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فاقاموا بؤنه وابيب ومسرى لايجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ماكان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فالقها فى داخل النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم الكتاب على عمر وفتح البطاقة فاذا فيها من عبدالله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن اهل مصر وعن يزيد بن ابى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلا حتى طلبوا موسى ان يدعو الله رجا ان يؤمنوا فدعا الله فاصبحوا وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

﴿ ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام ﴾

لما اراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بامر ابى بكر رضى الله عنه اخذ معه بعض الجند كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثنى بن حارثة الشيبانى وهو صحابى من نسل ذهل بن شيبان وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار وفد المثنى على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه وسيره ابوبكر الصديق رضى الله عنه فى صدر خلافته الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذى اطمع ابابكر والمسلمين فى الفرس وهون امر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبه حسن الراى ابلى فى قتال الفرس بلاء لم يبلغه احد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بامر من ابى بكر رضى الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند اقام بالحيره وذلك سنة ثلاث عشرة وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى كما تقدم ثم استقام امرهم على تملك شهر زان ابن ازدشير ابن شهريا بن سابور فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمز جاذويه فخرج المثنى من الحيره نحوه فأقام ببابل فاقبل هرمز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذى ملكوه عليهم الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش اهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست اقاتلكم الا بهم فكتب اليه المثنى انما انت احد رجلين اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين عند الله فضيحة وعند الناس الملوك واما الذى يدلنا عليه الراى فانكم انما اضررتم بهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه

ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم كسرى شهر زان لما انهزم هرمز واختلف الفرس وبقي مادون دجله بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس وملكوا دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذلها امر فخلعوها وملكوا سابور بن شهر زان وقام بتدبير امره الفراخزاد ابن لينذوان فقتل وثارت بينهم فتنة وحصروا الملك سابور ثم قتلوه وملكوا ازرميد اخت بنت كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر ابى بكر رضى الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصيه وهو صحابى من نسل سدوس ابن شيبان والخصاصية جدته نسب اليها وهى من الازد وابوه يزيد ابن سعيد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زحما فسماه النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا وكان سير المثنى الى ابى بكر رضى الله عنهما ليخبره خبر المشركين ويستأذنه فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم انشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وابوبكر رضى الله عنه مريض قداشفى فاخبره الخبر فاستدعى عمر وقال انى لارجوا ان اموت يومى هذا فاذا انامت فلاتمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن امر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماصنعت وماصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام فاردد اهل العراق الى العراق فانهم اهله وولاة امره واهل الجرأة عليهم ومات ابوبكر رضى الله عنه ليلا فدفنه عمر رضى الله عنه وندب الناس مع المثنى وكان الانتداب الى فارس اثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وقوة شوكتهم وقهرهم الامم فكان عمر رضى الله عنه يبايع الناس ثلاثة ايام وفى الرابع ندب الناس الى العراق فكان اول منتدبه ابو عبيد ابن مسعود الثقفى وهو صحابى اسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار وانتدب ايضا سعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس الانصارى وكانا ممن شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى فقال ايها الناس لايعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شق السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاالله مابعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا افعل وانما رفعهم الله بسبقهم ومسارعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع اولى بالرياسه فهم والله لا أومر عليهم الا اولهم انتدابا ثم دعا اباعبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بها مالكما من السابقه فامر اباعبيد وقال له اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولايمنعنى ان أومر سليطا الا سرعته الى الحرب وفى التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لايصلحها الا الرجل المكيث وواصاه بجنده فكان بعث ابى عبيد اول جيش سيره عمر رضى الله عنه ثم بعده سير يعلى بن اميه الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لايجتمع بجزيرة العرب دينان واعتذر عمر فى عزله المثنى عن الامارة بقوله انى لم اعزله وخالد بن الوليد عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة

﴿ ذكر خبر الثمارق ﴾

فسار ابو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان ومن معهم والمثنى ابن حارثة وامره عمر بالتقدم الى ان يقوم عليه اصحابه و امرهم باستنفار من حسن اسلامه من اهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيره وكان الفرس تشاغلوا عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط ان تملك رستم بن الفرخزاد عشر سنين ثم يكون الملك فى الكسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففى نسائهم فدعت بوران مرازبة فارس وامرتهم ان يسمعوا لرستم و يطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم ابى عبيد ثم قدم المثنى الى الحيره فى عشر وقدم بعده ابو عبيد بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يؤثروا بالمسلمين و بعث فى كل رستاق رجلا يؤثر باهله ووعدهم يوما و بعث جند المصادمة المثنى و بلغ المثنى الخبر فعجل فخرج من الحيره ونزل خفان ونزل جيش الفرس الثمارق فسار اليه ابو عبيد واقتتلوا بالثمارق قتالا شديدا فهزم الله اهل فارس واسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون كسكر و بها نرسى بن خالة الملك فسار اليهم ابو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسى وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعث الجالينوس بجيش فنزل بباقشيا ثا فسار اليه ابو عبيد فهزمه وهرب الجالينوس وغلب ابو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيره وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابى عبيد انك تقدم على ارض المكر والخديعه والخيانه والجبريه تقدم على قوم تجروا على الشر فعلوه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون و احذر لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر مايضبطه متحصن لايؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان ابو عبيد شديد الحذر والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما اوصاه به عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر وقعه قس الناطف و يقال لها الجسر واستشهاد ابى عبيد رضى الله عنه ﴾

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم اى العجم اشد على العرب قالوا بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب فوجهه ومعه فيله ورد الجالينوس معه وقال لبهمن ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه فنزل بقس الناطف واقبل ابو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومه امرأة ابى عبيد فى منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها ابا عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى امر الذين شربوا من الاناء وكلهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثنى بن حارثة ثم عبر على الجسر بجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهمن وجيوشه واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بالمسلمين فترجل ابو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيله لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى ابو عبيد احتوشوا الفيله وقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذى

عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا اصحابه و اهوى الفيل لابى عبيد فضربه ابو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت انفس بعضهم ثم اخذ اللوا الذى امر به بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن ابى عبيد فاخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذى بعد ابى عبيد وتتابع سبعة انفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء و يقاتل حتى يموت ثم اخذ اللوا المثنى بن حارثة فهرب عنه الناس فلما رأ عبدالله بن مرشد الثقفى ما لقى ابو عبيد وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال ايها الناس موتوا على ما مات عليه امراء كم اوتعلفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر واسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وقاتل عروة ابن زيد الخيل وابو محجن الثقفى قتالا شديدا وقاتل ابوزبيد الطائى قتالا شديدا حمية للعرب وكان نصرانيا قدم الحيره لبعض امر ونادى المثنى من عبر فحا وامر بعقد الجسر فعبر الناس وكان اخر من قتل سليط بن قيس وعبر المثنى فلما عبر ارفض عنه اهل المدينة و بقى المثنى فى قلة وكان قد حرح وابت فيه حلق من درعه وكان جملة من مات من المسلمين اربعة الاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس ستة الاف واراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فاتاه الخبر باختلاف الفرس وانهم قد ناروبرستم ونقضوا الذى بينهم و بينه وانهم صاروا فريقين الفهلوح على رستم واهل فارس على الفيرزان فرجع بهمن الى المداين

﴿ ذكر وقعت البويب ﴾

لما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقعة ابى عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان ممن ندب بجيله وامرهم الى جرير بن عبدالله البجلى فاجتمع كثير منهم فامرهم عمر بالتوجه الى العراق فابوا الا الشام فعزم عليهم عمر التوجه الى العراق و يسفلهم ربع الخمس فاجابوا وسيرهم الى المثنى وكتب الى اهل الردة فلم يأته احد الا بعثه الى المثنى و بعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه فى جمع عظيم وجاءه انس بن هلال النمرى فى جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا و بلغ الخبر رستم والفيرزان فجمعوا جموعهم من وراء الفرات واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمدانى فارسل الى المثنى يقول اما ان تعبر الينا واما ان نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطى الفرات وعبى المثنى اصحابه وكان فى رمضان فامرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فافطروا واقبل الفرس فى ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ولهم زجل فقال المثنى لاصحابه ان الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى فى صفوفه يحرضهم وقال انى مكبر ثلاث فتهيؤا ثم احملوا فى الرابعه فلما كبر اول تكبيره اعجلتهم فارس وخالطوهم فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرء عربى وان لم تكن على دينا فاذا حملت على مهران فاحمل معى فاجابه فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل

فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون ان يفزعوا لنصر اميرهم لا المسلمون ولا المشركون وافنى المثنى قلب المشركين فلما راوه قد زال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتى المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على ادبارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر واخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين واخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة الف وسمى ذلك اليوم الاعشار احصى مائه رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وغنم المسلمون غنائم كثيرة واعطى بجيله ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ﴾

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مداين كسرى والسواد وقضاعه وربيعه يخفرونهم فركب المثنى واغار على الخنافس يوم سوقها فانتهب السوق ومافيها وسلب الخضرا ثم رجع الى الانبار فتحصن اهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه واتوه بالاغلاق والزاد واخذ منهم الادلاء على سوق بغداد وهو موضع المدينة التى اختطها المنصور فيما بعد وصبحهم فى اسواقهم فوضع السيف فيهم واخذ ما شاء ثم رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول اصحابه على الاطراف وبعث خيلا على احياء تغلب بصفين فاغاروا عليهم وقتلوا المقاتله وسبوا الذريه واستاقوا الاموال واغاروا على قوم من تغلب والنمر بشاطى دجله فقروا وادركوهم بتكريت فاصابوا ماشاؤا من النعم

﴿ ذكر الخبر الذى هيج امر القادسيه وتملك يزدجر ﴾

لما رأى اهل فارس مايفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على اهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما اهل فارس واطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من امركما ان تفركا على هذا الرأى وان تعرضاها للهلكه مابعد بغداد وساباط وتكريت الا المداين والله لتجتمعان او لتبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما ولم يبق أمن ولد كسرى من الذكور الا غلام عمره احد وعشرون سنة يدعى يزدجر فملكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المراز به فى طاعته ومعونته فجندوا جنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر ابن الخطاب ثم بلغهم ان اهل السواد كفروا وصار من له عهد كمن لا عهد له فلما وصل الكتاب الى عمر رضى الله عنه قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رأسا ولا ذا رأى وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا ورماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمره بالخروج من بين العجم والتفرق فى المياه التى تلى العجم وان لايدعوا فى ربيعة ومضر وحلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا احضروه اما طوعا او كرها ففعلوا ذلك وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشره وارسل عمر فى الحجه عند مخرجه الى الحج الى عماله على العرب ان لايدعوا من له نجدة او فرس او سلاح او رأى الا وجهوه اليه فاما من كان على النصف مابين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج واما من كان

اقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمرو لما اجتمع الناس استخلف على المدينة عليا رضى الله عنه وخرج من المدينة حتى نزل على ما يدعى ضرار فعسكر به فى ابتدا سنة اربع عشرة ولا يدرى الناس ماذا يريد ا يسير ام يقيم فسأله عثمان عن سبب حركته فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجى رأى هو امثل من هذا ثم جمع وجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل يطلب حضور على رضى الله عنه من المدينة فحضر فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف ثم استشارهم فاتفقوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث اخر ففى ذلك غبن العدو فجمع عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم وقد رأيت انى اقيم وابعث رجلا فاشيروا على برجل وكان سعد بن ابى وقاص بعثه لصدقات هوازن وكتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح فجاه كتابه وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول سعد فى كتابه قد انتخبت لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيطة يحفظ حريم قومه اليهم انتهت احسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا لله قد وجدته يا امير المؤمنين قال من هو قالوا سعد بن مالك وهو سعد بن ابى وقاص فانتهى الى قولهم فارسل اليه وطلبه واقره على حرب العراق واوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم اربعة الاف ثم امده بالفين من اهل اليمن والفين من اهل نجد وكان المثنى فى ثمانية الاف وكان سعد بن ابى وقاص من بنى زهرة ابن كلاب وهم رهط آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فهو سعد بن مالك ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وآمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب فيلتقى نسبه مع آمنة فى عبد مناف بن زهرة ومع النبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب ابن مره وكان سعد رضى الله عنه من السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن النجعان المشهورين وهو اول من اراق دما فى سبيل الله واول من رمى بسهم فى سبيل الله شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابلى يوم احد بلاء عظيما وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وشهد له بالجنة ودعا له ان الله يجيب دعوته فكان مجاب الدعوة ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى المستحقين للخلافة ومما اوصاه به عمر رضى الله عنه لما جعله اميرا على جيوش العراق انه قال له لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو بالسيئ السيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن وليس بين الله و بين احد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله سوا الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافيه و يذكرون ما عندهم بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله

وصار ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما وصل سعد رتب الجيوش ولم يزل عمر رضى الله عنه يمده بالرجال حتى استكمل عنده ستة وثلاثون الفا واوصى المثنى قبل موته اخاه المعنى بن حارثة ان يبلغ سعدا اذا قدم ان يقاتلوا الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلوهم فى عقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا اعلم بسبيلهم واجرأ على ارضهم الى ان يرد الله الكره عليهم فلما بلغ سعد ذلك ترحم على المثنى ومن معه وكان مع سعد تسعة وتسعون من اهل بدر وثلثمائة و بضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى مافوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد وافتتح مكة وسبعمائة من ابناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى روى الطبرانى ان عمر رضى الله عنه كتب الى سعد بن ابى وقاص قد وجهت اليك او امددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد فشاورهما فى الحرب ولا تولهما وانما قال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الاقدام بالعسكر وعدم التأنى وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهما وشدتهما وسيأتى ذكر شئ مما كان منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالحيره قبيصه بن اياس الطائى فلما سمع بمجئ سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان الاسدى فاخبره ان سعدا رجل من قريش فقال قبيصه والله لاحاد به القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفين فغضب عبد الله بن سنان من قوله وامهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد فاسلم وسار سعد بالجيوش حتى نزل القادسيه وهى قريب من موضع الكوفه وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضى الله عنهما انكم اذا لقيتم العدو وهزمتموهم فلا تتبعوا لاعب احد منكم احدا من العجم بامان او باشارة او بلسان كان عندهم امانا فاجروا لهم ذلك مجرى الامان والوفا فان الخطا بالوفا بقية وان الخطا بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد جعل على مقدمة جيشه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية التميمى وهو صحابى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم واسلم فلما نزل زهره فى المقدمة وامسى بعث سرية فى ثلاثين معروفين بالنجده وامرهم بالغارة على الحيره فلما جاوزوا السليحين سمعوا جلبه فمكثوا حتى حاذوهم واذا اخت ازادمردا بن ازاد به مرز بان الحيره تزف الى صاحب الصنين وهو من اشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله اللبثى امير السريه على شيرزاد بن ازادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها واخذوا الاثقال واتية ازادبه فى ثلاثين امراه من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم مالا يدرى قيمته فاستاق ذلك ورجع به واتى به سعدا فقسم ذلك على المسلمين ومكث سعد بالقادسيه شهرا لم يأته احد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى بغنائم كثيرة حتى اخصب المسلمون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد الذين كانوا معه فى الجيش للحجاج ابن يوسف بقوله مارأينا قط ازهد فى دنيا منهم ولا اشد بغضا لها وكانوا ابرارا اتقيا ليس فيهم جبان ولا غدار فاستغاث اهل السواد الى يزدجر واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسيه ولا يبقى على فعلهم شئ وقد اخربوا مابينهم و بين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمه وان ابطا الغياث اعطيناهم بايدينا وكتب له بذلك الذى لهم الضياع وهيجوه على ارسال الجنود

فارسل

فارسل يزدجرد الى رستم وقال له انى اريد ان اوجهك فى هذا الوجه فانت رحل فارس اليوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم مالم تضر بهم بى ولعل الدولة ان تثبت بى اذا لم احضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد اصبنا المكيدة والرأى فى الحرب انفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش امثل من هزيمة بمرة واشد على عدونا فابى عليه واعاد رستم كلامه وقال قد اضطر فى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو اجد من ذلك بدا لم اتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك ودعنى اقم بعسكرى واسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقدوهناهم ونحن حامون فانى لا ازال مرجوا فى اهل فارس مالم اهزم فابى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وعلى مقدمته الجالينوس فى اربعين الفا وخرج هو فى ستين الفا وفى ساقته عشرون الفا وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من اهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه الى الله فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا ممن هم كذلك وامرهم ان ياتوا يزدجرد فخرجوا من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد فاذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط واحضر الترجمان وقال له سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا من اجل اننا شاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان ابن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء أثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وباعد عنه منها فرقة ثم امرنا ان نبتدأ الى من حالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطامع فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان نبتدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزية فان ابيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلعنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد وقال انى لا اعلم امة فى الارض كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا امركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدى وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به اجابوك عنه فجاوبنى لاكون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك فاما ما ذكرت من سوء الحال فهى على ما وصفت واشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبى صلى الله عليه وسلم

اليهم نحو قول النعمان وقتال من حالفهم او الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك فقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ثم قال لرسل سعد ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم بأشد مما نالكم من سابور فقام عاصم ابن عمرو الكناني الليثي ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم انا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فاخذ التراب وركبها وقال لسعد لما جاءه ابشر لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت ارى ان في العرب مثل هؤلاء ما انتم باحسن جوابا منهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا امرا ليدركنه او ليموتن عليه على اني وجدت افضلهم احقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم ايها الملك انه اعقلهم وتطير الى ذلك وانصرفها دون اصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث في اثر الوفد وقال لئقته ان ادركهم للرسول تلافينا ارضنا وان اعجزوه سلبكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بارضكم من غير مثال وكان منجما كاهنا واغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد الى يزدجرد على النجاف والقراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور واوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ويسمون ذلك اليوم يوم الحيتان وبعث سعد سرية اخرى فاصابوا ابلا لبني تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها في الناس فاخصبوا واغار عمرو ابن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في اهلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المال ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى اخيه البندوان اما بعد فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن ارضكم وابنائكم وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان اشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اولا سيرن بنفسي ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فشكا اليه وقال له الا ترى ما ارى فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فاتى برجل من العرب فقال ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك ارضكم وابنائكم ان ابيتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن في ايديكم فقال اعمالكم وضعتكم فاسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تجاول الانس وانما تجاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب اصحابه الناس ابناءهم واموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج اهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدق العربي والله ما اسلمنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حزب احسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء

والاحسان

والاحسان فاذا تغيرتم فلا اري الله الامغيرا مابكم وما انا يا من من ان ينزع الله سلطانه منكم واتى بعض من يشكى منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا اهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لاتجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن انفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى فى منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وعمر فاخذ الملك سلاح اهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى عمر فاصبح رستم حزينا وارسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسليحين فطافت فى السواد فبعث سوادا وحيضة فى مائة فاغاروا على النهرين وبلغ رسيم الخبر فارسل اليهم رستم خيلا وسمع سعد ان خيله قد وغلت فارسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما ايديهم فلما رأته العرس هربوا وجمع المسلمون الغنائم وارسل سعد عمرو بن معدى كرب وطليحة الاسدى طليعة فساروا فى عشرة فلم يسيروا الا فرسخا او بعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطعوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه واتى طليحة الا ان تقدم فقالوا له انت رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فاخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسمه فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل ما آخر ذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا فى طلبه فاصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما اسا عمه فاردادفلحق طليحة فكر عليه طليحة واسره ولحق الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلا واسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فاحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسى واخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسى عن ذلك فطلب الامان فامنه سعد فقال اخبرك عن صاحبكم هذا قبل ان اخبرك عمن قلى باشرت الحروب منذ احتلام الى الآن وسمعت بالابطال ولم اسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكريه سبعون الفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركه اثر قتل الاول وهو يعد تألف فارس ثم الثانى وهو نصيره ثم ادركته انا وخلفت من بعدى من يعدلى وانا بالثالث بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم اخبره عن الفرس واسلم وانضم طليحة وكان من اهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وبهمن ذو الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة بن الحوية ونزل ذو الحاجب بطرناباذ ونزل رستم بالحيرة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية اربعة اشهر لايقدم لاجل ان يطاول المسلمين رجاء ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا وكان قصده ان يطاولهم اكثر من ذلك لولا ان الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة ايضا فاستعد للمطاولة ولم يتضرر بها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه تجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا وفى الميمنة خمسة عشر فيلا

فلما اصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وارسل الى زهرة فواقفه فاداره على ان يصالحه و يجعل له جعلا على ان ينصرف عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم و يخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس امرنا امر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فاجبناه فقال الله لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه احد الا ذل ولا يعتصم به احد الا عز فقال له رستم ماهو قال اما عموده الذى لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واى شئ ايضا قال و اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وام قال ما احسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون امركم اترجعون قال إى والله قال صدقتنى اما ان اهل فارس منذ ولى اردشير لم يدعوا احدا يخرج من مملكه من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم فقال له ربعى ابن عامر متى تأمرهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فارسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب و بسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب واقبل ربعى على فرسه وسيفه فى حرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما و ادخل الحبل فيهما فلم ينهوه واروه التهاون وعليه درع واخذ عباة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم لأضع سلاحى بأمركم انتم دعوتمونى فاخبروا رستم فقال ائذنوا له فاقبل متوكأ على رمحه و يقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه برمحه فلما دنى من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ماحملك على هذا قال انا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم ماجاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فارسلنا بدينه الى خلقه من قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ومن ابى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم و ان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك او المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا انا كفيل بذلك عن

اصحابى قال اسيدهم ابت قال لالكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير ادناهم على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط اعز واوضح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذالله ان نميل الى دين هذا الكلب اما ترى الى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس وتصون الاحساب ليسوا ملككم فلما كان من الغد ارسل رستم الى سعد ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل فى نحو من ذلك الزى ولم يزل على فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لا افعل فقال له ماجاء بك ولم يجئ الاول قال له ان اميرنا يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخا وهذه نوبتى فقال ماجاء بكم فاجابه مثل الاول فقال رستم المواعدة الى يوم ماقال نعم بلا بد من امس فرده واقبل على اصحابه وقال ويحكم اما ترون ماارى جاء الاول بالامس فعلنا على ارضنا وحقر مانعظم واقام فرسه على رجليه وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى بين الطاير يقوم على ارضنا دوننا فلما كان الغد ارسل الى سعد ابعث الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فاقبل اليهم وعليهم التجان والبرد المسوحة بالذهب وبسطهم على خيولهم لايوصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فاقبل المغيرة حتى جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه واتراوه ومعكوه فقال قد حكمت لعمر عليكم الاحلام ولا ارى قوما اسعد منكم يا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا قط انكم تواسون قومكم حكما تتواسى وكان احسن من الذى صنعتم ان تخبرونى ان بعضكم ارباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد وانى لم آتكم ولكن سمعتموني اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملككم لايقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السقلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لاتزال عيدنا يرجعون اليه قال الله اولئك اصحاب كانوا يصرعون امر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم امرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء اسرافا فى الامم فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا نصر على عليهم ولاينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للحروب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا رد الينا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم امة اصغر عندنا امرا منكم كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة لا نرى كشيأ وكنتم تقصدوننا اذا قحطت بلادكم فأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ماصنعتم الا الجهد فى بلادكم فأما الامر لاميركم بكسوة وبعل والف درهم وآمر لكل واحد منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فأنى لست اشتهى ان اقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه قال ان الله خالق كل شئ وبارقه فما صنع شيأ فانما هو بصنعه واما الذى ذكرت به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفه والله صنعه بكم ووضعه فيكم وهوله دونكم واما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ونسأله و لله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل اهل السداد يتوقعون الرخا حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخا يتوقعون الشدايد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما اوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلانا به اهلا لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا

رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذن تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم باهل فارس وقال اين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فاقوم ابلغ لما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فايقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فارسل رستم رسوله خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه أن عينه تنفقأ غدا فاعلمه الرسول بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن اجاهد بعد هذا اليوم اشباهكم من المشركين لتمنيت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فاخبره فقال اطيعوني يا اهل فارس اني لا أرى فيكم نهمة لا تستطيعون ردها ثم ارسل اليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا وكانوا ثلاثة فقالوا لرستم ان امير نا يدعوك الى ماهو خير لنا ولك والعافية ان تقبل مادعاك اليه ونرجع الى ارضنا وترجع الى ارضك ودارك لكم وامركم فيكم وما اصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عونا لكم على احد ان اردتم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يديك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال اوضح من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نسئ جوارك وكنا غيرك ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ووعدتموهم ثم اتيتمونا واغا مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم الثقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن غيركم لاني لا اشتهي ان أقتلكم ومثلكم ايضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهم ان فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله اربعة دراهم وقال ايضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فاتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فاراد سدها فقالوا له لا تفعل اذن تخرقه ولكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ماخرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها احد الا قتل فادعاكم الى ماصنعتم ولا ارى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم اولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما امرهم به من الجهاد وقالوا واما ماضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس ارضا واختار لها اشجارا واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلا حين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور على مالا يحب فاطال امهالهم فلم يستجيبوا فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان اقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابدا والله لو لم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدين لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه فقال رستم اتعبرون الينا ام نعبر اليكم فقالوا اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وارسل

سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وارسل اليهم شأنكم والعبور فاردوا القنطرة فقال لاولا كرامة اما شيء غلبنا كم عليه فلا نرده عليكم فاتوا يسكرون (اى يسدون) لعتيق حتى الصباح بالتراب والعصب والبرادع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فاخذ قسى اصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى حاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعطنا لو اعطنا ولما ركب رستم ليغير كان عليه درعان ومغفر واخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله في الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال انما صاحبنا الثعلب حين مات الاسديعي كسرى وانى اخشى ان تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والاقالمسهور عنه الخوف من المسلمين وقد اظهر ذلك الى من يثق به

﴿ ذكر يوم ارماث ﴾

لما عبر الفرس العتيق (اسم لنهر معطلتا ويسمى به نهر هناك) وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبا في القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفي المجنبتين ثمانية اوسبعة افيال واقام الجالينوس بينه وبين بيعته والعبر زان بينه وبين ميسرته وكان الملك يردجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة (اى وطيفة) رجلا اولهم على باب ابوابه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل رستم شيأ قال الذى معه للذى يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثانى ذلك للذى يليه وهكذا الى ان ينتهى الى يزدجرد في اسرع وقت واخذ المسلمون مصافهم وكان اميرهم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه اصابه دماميل وعرق النساء فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف في اصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقة لاحد برمته وما نقص ذلك من شجاعة سعد رضى الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

* نقاتل حتى انزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم *
* فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن ايم *

فبعث اليه سعدا وكان مجاب الدعوة فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذى قاله رياء وسمعة فاقطع عنى لسانه فيما هو واقف في الصف يومئذ اتاه سهم غرب فاصابه فكان سبب الاعتقال لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم واراهم ما به من القروح في فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه فاخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم في القصر منهم ابو محجن الثقفى وقيدهم وقيل بل كان حبس ابى محجن بسبب شرب الخمر واعلم الناس انه قد استخلف خالد ابن عرفطة فسمعوا واطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة اربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من

المسلمين من الفرس وكذلك فعل امير كل قوم وارسل سعد نفرا من ذوى الرأى والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معدى كرب وامثالهم ومن الشعرا الشماخ والحطيئة واوس بن مغراة وعبيدة بن الطيب وغيرهم وامرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين الفا وجيش المسلمين كان دضعة وثلاثين الفا وكان مع الفرس ثلاثون الف مسلسل وامر سعد الناس بقرأة سورة الجهاد وهى الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا و ينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولاقوة الا بالله فلما كبر سعد الثانية برز اهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس امثالهم فاعتوروا الطعن والضرب و برز غالب بن عبدالله الاسدى وانشد اياتا فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فاسره غالب فجاء به سعدا ورجع و برز عاصم بن عمرو التميمى وطارد فارسا فانهزم فتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فاسر عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا هو خباز الملك ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعد فنفله اهل موقعه وخرج فارس فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فاخذه وجلد به الارض فذبحه واخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة على المسلمين ففرقت بين الكتائب ففرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا ففعرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وارسل سعد الى بنى اسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وجمال بن مالك فى كتائبهما فباشروا الفيلة وخرج الى طليحة فيل عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال معشر كندة لله در بنى اسداى فر يفرون واى هز يهزون عن مواقفهم اعنى كل قوم مايليهم واستم تنتظرون من يكفيكم اشهد ما احسنتم اسوة قومكم من العرب فنهد ونهدوا معه فاقتلوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس مايلقى الناس والفيلة من اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم دوالحاجب والجالينوس والمسلمون يتعلرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم تلك الفيلة فنبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على اسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فارسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يامعشر بنى تميم اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يامعشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين ماير بط به القتب) وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الا عوى وقتل اصحابها ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم

واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية جسيمة وكانوا ردأ للناس وكان عاصم حاميه الناس وهذا ليوم الاول وهو يوم ارماث

﴿ ذكر يوم اغواث ﴾

ولما اصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من مقامهم فسلم الجرحى الى النساء يمرضن عليهم واما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو واد من العذيب وعين الشمس فلما فرغ سعد القتلى والجرحى طلعت نواصر الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على ابي عبيدة بن الجراح بأمره باظهر العراق سيرهم والامير عليهم هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وكان من اصحاب الشورى وكان له صحبة اسلم عام الفتح رضي الله عنه وعلى مقدمته القعقاع ابن عمرو التميمي وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل القعقاع مقدما على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يقطعوا اعشارا وهم الف كل مائة لعشرة مدى البصر فساروا عشرة وقدم اصحابه في عشرة حتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصبعوا كما اصبح وطلب البراز وعاوا فيه (اي القعقاع) يقول ابو بكر رضي الله عنه لانهزم جيش فيهم مثل هذا فجرح الهرمزان والحاجب وعروة القعقاع وحدي مادارت ابي عبيده وسلط واصحاب الجسر وتصاربا وقتله القعقاع وحمل حيله تر الى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالامس مصدمة وفرحوا بقتل ذي الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع الهرمزان فجرح اليه البيران والسدوان فانضم الى القعقاع الحارث بن طفيل بن الحارث احد بني نهد الات وتبارزوا وقتل القعقاع البيران وقتل الحارث السدوان ونادى القعقاع يامعشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها وقتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس في هذا اليوم ما يحبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لان توابيته كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يسرعوا فيه حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من اصحابه كبر وكبر المسلمون وتحمل ويحملون وجعل سوى القعقاع عشرة عشرة على الخيل قد البسوها وهي محللة مرقعة واطافت بهم حيولهم تحميهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على حيل العرس يتشهون بالعيلة وفعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فحملت حيل العرس تسر منها وركبتها حيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سرواهم فلقي العرس من الابل اعظم ما لقي المسلمون من العيلة وحمل رجل من تميم على رستم بن فرخزاد فقتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يسار فمر اليه الاعرف ابن الاعلم العقيلي فقتله ثم مر اليه آخر فقتله واحاطت به فوارس منهم فصرعوه واخذوا سلاحه فصرفي وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحمل القعقاع يومئذ بلا بين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة واصاب فيها وقتل فكان آخرهم رجهر الهمداني وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما

صاحبه وقاتلت الفرسان الى نصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليله ارماث تدعى الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم اغواث الظفر وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا ان خيلهم عادت أخذ رستم اخذا و بات الناس على مابات عليه القوم ليلة ارماث وقد ذكرنا ان ابا محجن الثقفي كان قد حبس بالقصر وقيد فلما كان يوم اغواث قال لسلمى زوج سعد بن ابى وقاص هل لك ان تخلين عنى وتعيرينى البلقا وهى فرس سعد فلله على ان سلمنى الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلى فى قيدى فأبت فلم يزل بها حتى رضيت ان تطلقه فاطلقته واعطته البلقا فرس سعد فركبها وخرج للقتال ولم يعلم به احد فلما كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس فكان يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لايعرفون من هو فقال بعضهم هو من بعض اصحاب هاشم اوهاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس ابى محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقا وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن فدخل القصر واعاد رجليه فى القيد فقالت له سلمى فى اى شئ حبسك سعد فقال والله ماحبسنى بحرام اكلته ولا شربته ولكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وانا امرء شاعر يدب الشعر على لسانى فقلت

* اذا مت فادفنى الى اصل كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها *
* ولا تدفنى فى الفلاة فانى * اخاف اذا مامت ان لا اذوقها *

فلذلك حبسنى فلما اصبحت سلمى اتت سعدا فصالحته وكانت مغاصبة له واخبرته بخبر ابى محجن فاطلقه فقال اذهب فانا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله فقال لاجرم لا اجيب لسانى الى قبيح ابدا وكان عدد قتلى المسلمين وجرحاهم يوم اغواث العين من جريح وميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون يقتلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين الصفين وكان ذلك مما يقوى المسلمين و بات القعقاع تلك الليل يسرب اصحابه الى المكان الذى فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا لايشعر به احد واصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس اقبل اصحاب القعقاع فعبى اصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيت الفيلة حتى اعادوها واصبحوا على مواقفهم واقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لان الفيل اذا كان وحده كان اوحش واذا اطافوا به كان اونس فلما انتشب القتال كبر المسلمون وتقدموا وكثر الطعن والضرب واقبل هاشم والحرب قائم فعبى اصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب واشتد القتال وحمل عمرو ابن معدى كرب وضرب فى الفرس حتى ستره الغبار وحمل اصحابه فأفرج المشركون عنه بعد ماصرعوه وان سيفه لفى يده يصادمهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس اعجمى فلم

بطق

يطق الجرى فنزل عنه صاحبه وفر الى اصحابه وركبه عمرو و برز فارس فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له بشر ابن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسى اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود فى منطقته فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتعه المسلم فقتله و اخذ سلبه فباعه باثنى عشر الفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت افعلها ارسل الى القعقاع وعاصم بن عمرو اكفيانى الابيض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال والربيل اكفيانى الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما فى خيل ورجل وفعل حمال والربيل بمثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض فنفض رأسه فطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه حمال فى عينه فأقعى ثم استوى وضربه الربيل فابان مشفره و بصر به سائسه فبقر انف الربيل وجبينه بالطبرزين فافلت الزبيل جريحا و بقى الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه واذا اتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال عينه فالقى نفسه فى العتيق فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم وعبرت فى اثره فأتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال البلل زاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا فاشتد القتال وصبر العربقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لتركهم الكلام و انما كانوا يهرون هريرا وارسل سعد طليحة الاسدى وعمرو بن معدى كرب ليلة الهرير الى مخاضة اسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية ان يأتى القوم منها فلما اتياها قال طليحة لو حضنا واتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر اسفل فافترقا واخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع اهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه اغار اسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذاهم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدم المسلمون صفوفهم وزاحفوهم بغير اذن سعد وكان اول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ان لم يستأذنى ثم لحقهم اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم جلت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم جلت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم جلت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر فى اثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وحالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعدما صلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ﴿ جمع قين وهو الحداد ﴾ ليلتهم الى الصباح وافرغ الله الصبر عليهم افراغا و بات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم امرا لم يروا مثله قط و انقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم واقبل سعد على الدعاء فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون واصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالى وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس

الهرير محكاية زئير الاسد

انتقل الزبرى رفع من موضعه

فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة فاحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى حالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا لايكون هؤلاء أجد في امر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس اجرأ على الموت منكم فحملوا فيما يليهم وحالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان اول من زال الفيرزان والهرمران فتأخرا وثبتا حتى انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين اطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستطال في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال عن ظهره فقارا فرآه هلال فضربه ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه واخذ برجليه ثم خرج به فضرب جنبه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين ارجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة لي الى فانطلقوا به وكبروا فعلم سعد سلمه ولم يطلع بقلة سوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بفنانة اثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فصرعه به فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى العبور وكانت الهزيمة عليهم واما المقترنون فانهم حشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم محبروهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثون الفا وكانت قيمته الف الف ومائتي الف وقتل من الفرس في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير الفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وجمعت الاسلاب والاموال لجمع شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله وامر سعد القعقاع وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم ادركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس بجمعهم فقتله زهرة واخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السلحين الى النجف وعادوا من اثر المنهزمين ومعهم الاسرى فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسيرا من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة بن الحوية وقد صلى بمثل ما صلى به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له سلبه وفضله على اصحابه عند عطائه بخمسمائة فلما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارس فيأتيه فيقتله وربما اخذ سلاحه فقتله به وربما امر رجلين فيقتل احدهما صاحبه ولحق سلمان ابن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استحيوا من الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال اهل الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من امراء الكتائب الهرمران ثم تراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح

الخرارة موضع قرب الكوفة والسلحين ما بين الحيرة والنجف معركة القادسية

المسلمون فى الاذان حتى كادوا يقتتلون واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فاذن وفضل اهل البلاء من اهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا واما اهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على اهل القادسية فقيل لسعد الحقت بهم اهل القادسية فقال لم اكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بغنائه قال كيف افضل عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالا نصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب واهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان بيات ملكهم وزواله بها وكانت فى كل بلدة مصيحة اليها تطير مايكون من امرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فاتت بها اناسا من الانس فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من اصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عيلة الفزارى وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى اهله ومنزله قال فملق البشير سأله من اين فاخبره قال ياعبدالله حدثنى قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يخبره وهو يسير على ناقته لايعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه ياأمرة المؤمنين قال البشير هلا اخبرتنى رحمك الله انك امير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك ياأخى واقام المسلمون بالقادسية فى اثر مجار قدوم البشير وامر عمر الناس ان يقوموا على اقباضهم ويصلحوا احوالهم ويتابع اليهم اهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم والصحيح ان وقعة القادسية كانت سنة اربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الوقايع بعد فتح القادسية الى ان فتحت مدائن كسرى ﴾

لما فرغ سعد رضى الله عنه من امر القادسية اقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المدائن وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم فى كل مغنم مادام وا يخلفون المسلمين فى عيالهم ففعل ذلك وسار من القادسية لاربع بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين ٢ برس لقوا جندا من الفرس فقاتلهم المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المنهزمون الى بابل وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا كثيرا منهم وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز فأخذ مافيها من الاموال لكسرى وسار الى نهاوند فأخذ مافيها من الاموال كلها وكان بها كنوز لكسرى وسار النحيرخان ومهران الرازى الى المدائن وقطعا الجسر فاقام سعد ببابل وارسل زهرة بن الحوية الى نهرشير قبالة المدينة العتيقة من المدائن الغربية فتلقاه دهقان ساباط للصلح فأرسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهر شير ليحاصروا المدائن فرأوا الايوان من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ماوعدنا الله ورسوله وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة محاصرين لها وكان نزولهم عليها فى ذى الحجة فحاصروها شهرين ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ودنوا اليهم بالدبابات وارسل سعد الخيول

٢ بلد بين الكوفة والحلة

فأغارت على من ليس له عهد فاصابوا مائة الف فلاح فارسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو فى امان ومن هرب فادركتموه فشأنكم به فخلى سعد عنهم وارسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة فتراجعوا فلم يبق غربى دجلة الى ارض العرب سوادى الا آمن واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى اكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على امر عظيم فبينما هم يحاصرونهم اذ اشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم وما شبعتم لا اشبع الله بطونكم فقال له ابو مقرن الاسود مقالة انطقه الله بها ولا يدرى ما قال لهم لا هو ولا من كان معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التى فيها الايوان فقال لابى مقرن من كان معه ما قلت له فقال والذى بعث محمدا بالحق ما ادرى وانا ارجو ان اكون نطقت بالذى هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد فى الناس فنهدوا اليهم فاظهر على المدينة احد ولا خرج رجل الا رجل ينادى يطلب الامان فأمنوه فقال لهم ما بقى بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا احدا الا اسارى وذلك الرجل فسألوه لاى شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى نأكل عسل افريدون بأترج كوثى فقال الملك يا ويلنا ان الملائكة تتكلم على السنتهم ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسلمون المدينة الغربية وانزلهم سعد المنازل

﴿ ذكر فتح المدائن التى فيها ايوان كسرى ﴾

لما دخل المسلمون المدائن الغربية كان البحر بينهم وبين المدائن الشرقية التى فيها الايوان وليس للمسلمين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا ان خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا فى سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شئ تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأى ان تجاهدوا العدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمى لنا الفراض (وهى فرضة النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تتلاحق به الناس لكى لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم ابن عمرو ذو البأس فى ستمائة من اهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فتقدمهم عاصم فى ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور وانات ليكون اساسا لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا اخرجوا للخيل التى تقدمت مثلها فاقتحموا عليها دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا اكثرهم ومن نجا منهم صار اعور من الطعن وتلاقوا الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها اذن للناس فى الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل

والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهرمن عدوه ولاقوة الابالله العلى العظيم وتلاحق الناس فى دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر وطبقوا دجلة حتى مايرى من الشاطئ شئ وكان الذى يساير سعدا سلمان الفارسى رضى الله عنهما فغابت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهرمن عدوه ان لم يكن فى الجيش بغى اودنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام حديد ذللت لهم البحور كما ذللت لهم البر اما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منها فواجا كما دخلوا فيها فواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيأ الا ان مالك بن عامر العنبرى سقط منه قدح فذهبت به حرية الماء فقال الذى يساير معيرا له اصابه القدر فطاح فقال والله انى لعلى حالة ما كان الله ليسلبنى قدحى من بين العسكر فلما عبروا القته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يفرق منهم احد غير ان رجلا من بارق يدعى عرقدة زال عن ظهر فرس له اشقر وكاد يغرق فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده فأخرجه سالما وخرج الناس سراعا بين وحيلها تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك واتاهم امر لم يكن فى حسبانهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وحلف مهران والنخيرجان وكان على بيت المال بالمهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف مالايدرى قيمته وخلفوا ماكانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان فى بيت المال ثلاثة آلاف الف الف ثلاث مرات اخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقى النصف ولما دخلوا المدائن نزل سعد القصر الابيض وجاء جماعة من العرس وعقدوا ذمة على تأدية الجزية وبعث سعد جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون من اراد الامان واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير مافيها ولما دخل سعد الايوان قرأ كم تركوا من جنات وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن بالمدائن اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعبأ احد الا اشخذت له حرثومة من الارض يستريح عليها لما يبلغ الماء حزام فرسه

﴿ ذكر ماجمع من غنائم اهل المدائن وقسمتها ﴾

اجتمع عند سعد بعد دخوله المدائن من الغنائم والاموال ما لايحصى ورأوا بالمدائن قبابا مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وادرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهر وان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل فى الماء فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فمالدهم المبلون عليه حتى اخذوه واذا هو محمل عليه حلية كسرى ووشاحه ودرعه التى فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلح بغلين معهما فارسان فقتلهما واخذ البغلين فاذا عليهما سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج

المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وادرك القعقاع فارسيا فقتله واخذ منه عيبتين فى احداهما خمسة اسياف وفى الاخرى ستة اسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك الهند استلبها الفرس ايام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وايام هرب النعمان من كسرى وكذا الاسياف فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل واعطاه درع بهرام ونقل سائرها الا سيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب ليسمع العرب بذلك ونعتوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وادرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حمارين فقتل احدهما وهرب الآخر واخذ الحمارين فادا على احدهما سفطان فى احدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولباته الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجامه كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولهازمام من ذهب وكل ذلك منضوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانة التاج واقبل رجل يحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذى معه ما رأيا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقارب به فقالوا هل اخذت منه شيأ فقال والله لولا الله ما تيتكم به فقالوا من انت فقال والله لا اخبركم فتحمدونى ولكن احمد الله وارضى ثوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاداهو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل اهل بدر لقد تتبعت منهم هنات ما احسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والله الذى لا اله الا هو ما اطلعنا على احد من اهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وهم طليحة وعمرو بن معدى كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضى الله عنه لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما ادوا هذا لذوو امانة فقال على رضى الله عنه انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعد ما خمسه وكانوا ستين الفا فاصاب الفارس اثنا عشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى اهل البلاء وقسم المنازل بين الناس واحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمداين حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وارسل سعد من الخمس كل شئ اراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقع وكان من جملة ما غنموه بساط كسرى ويقال له القطيف وهو من اعجب ما كان لملك الفرس وهو بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات فى الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك واراد سعد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم على اربعة اخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لا نراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من اهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم على عمر رضى الله عنه

قسمه

قسمه فى مواضعه ثم قال اشيروا على فى هذا القطيف فمن بين مشير بابقائه ذخيرة للملة وآخر مفوض اليه فاشار على رضى الله عنه بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ماليس له فقال صدقتنى اذ نصحتنى فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الفا وفى السيرة الحلبية بعشر ين الف دينار وكان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ابن مالك الكنانى حين اراد التعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه فاتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جملة ماتى به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك والبسه اياها وكان سراقة رجلا ازب اى كثير شعر الساعدين فقال عمر ارفع يديك وقل الله اكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول انا رب الناس و البسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدلج ورفع عمر صوته ثم اركب سراقة وطاف به فى المدينة اظهارا لمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضى الله عنه شيأ من تلك الغنائم التى قسمها بين الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية و يقول اللهم انه لا طاقة لنا ان نحب الا ما زينته فوفقنى ان انفقه فى حقه وكان رضى الله عنه يبكى و يقول ان الله روى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لى فاخاف ان اكون مستدرجا وروى البخارى فى صحيحه فى كتاب الرقاق ان عمر رضى الله عنه قال اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسألك ان انفقه فى حقه ورواه الدار قطنى بأبسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب اتى بمال من الشرق فقال له نفل كسرى فامر به فنصب وغطى ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم امر به فكشف عنه فاذا هو حلى وجواهر ومتاع فبكى عمر رضى الله عنه وحمد الله عز وجل فقالوا له ما يبكيك يا امير المؤمنين هذه غنائم عنها الله لنا و نزعها من اهلها فقال ما فتح الله من هذا على قوم الا سفكوا دمائهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن اسلم فبقى من ذلك المال مناطق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن ارقم لعمر رضى الله عنه حتى متى تحبسه لا تقسمه فقال ادار أيتنى فارغا آدنى به فلما رآه فارغا بسط شيأ فى حش نخله ثم جاء به فى مكتل فصب فكانه استكثره ثم قال اللهم انت قلت زين للناس حب الشهوات فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لا نستطيع الا ان نحب ما زينت لنا فقنى شره وارزقنى ان انفقه فى حقه فاقام حتى ما بقى منه شئ

ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان فى سنة ست عشرة ايضا

لما انتهى الفرس الى جلولا بعد الهرب من المداين احتفروا خندقا واجتمعوا على مهران الرازى وتقدم يزدجرد الى حلوان واحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر الفا فيهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المداين فر بسابل فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولا فحاصرهم فى خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون الا اذا

ارادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد اختلفوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى اظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ليصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان اعجل وانتهى القعقاع ابن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فاخذ به وامر مناديا فنادى يامعشر المسلمين هذا اميركم قد دخل الخندق واخذ به فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بأن هاشما فى الخندق فاذاهم بالقعقاع بن عمرو وقد اخذ به فانهزم المشركون عن الجمال يمنة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا القليل وقتل يومئذ منهم مائة الف فجللت القتلى الجمال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولا بما جللها من قتلاهم فهى جلولا الوقيعة فسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند ولما سار يزدجرد من حلوان استخلف عليها خسرسنوم وكان الزينبى دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه خسرسنوم والزينبى بمن معهما فقتل الزينبى وهرب خسرسنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان اصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فابى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى اثرت سلامة المسلمين على الانفال وادرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وادرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى واصاب القعقاع سبايا فارسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن سرارى فولدن وممن ينسب الى ذلك السبى ام الشعبى وقسمت الغنيمة واصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف وبعث سعد الاخماس الى عمر رضى الله عنه بعد ان قسم الاربعة الاخماس على الغانمين فلما قدم الخمس على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما اصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجواهره بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا امير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكينى وبالله ما اعطا الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار وسكك البرد وما كان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل وخاف ايضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم واقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بارضا وكانوا لا يجمعون الا على الامر اذا فلا يحل بيع شئ من ارض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

﴿ ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصرا من الامصار ﴾

اختلف

اختلف فى السنة التى اتخذت البصرة فيها مصرا فقيل سنة ست عشرة بعد فتح جلولا ارسل سعد عتبة بن غزوان رضى الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتخذها مصرا وخرج عليه اهل الابلة فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع اهل دستميسان فقتلهم عتبة فهزمهم واخذ مرزبانها اسيرا وكان من سبى ميسان يسار ابو الحسن البصرى وارطبان جد عبدالله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخاذ عتبة البصرة مصرا كان فى سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة واما الكوفة فاتخذها سعد مصرا سنة خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد الا ادلك على ارض لله ارتفعت عن القبة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها فتحول سعد من المداين اليها وسبب ذلك ان العرب استوخمت المداين وبعث سعد اناسا يستطيبون لهم ارضا ينزلونها فاستطابوا الكوفة وهواها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

﴿ ذكر فتح تكريت والموصل فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

كان ذلك بعد فتح جلولا وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه بحمى ارضه ومعه الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعى ابن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبدالله الى تكريت ونزل على الانطاق فحصره ومن معه اربعين يوما فتزاحفوا اربعة وعشرين زحفا وارسل عبدالله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكادوا لايخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا امتاعهم الى السفن فارسلت تغلب واياد والنمر الى عبدالله بالخبر وسألوه الامان واعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فاسلموا فاجابوه واسلموا فارسل اليهم عبدالله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا اخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر واخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا الابواب التى عليها المسلمون واخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين اسلموا تلك الليلة فلم يفلت من اهل الخندق الا من اسلم من تغلب واياد والنمر وارسل عبدالله بن المعتم ربعى بن الافكل الى الحصنين نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر واظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب واقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا ابوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل الف درهم وبعثوا بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وولى حرب الموصل ربعى ابن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة ثم فتحت بقية اعمال الموصل وجميع معاقل الاكراد وصار الجميع للمسلمين

﴿ ذكر فتح ماسبذان فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمز ان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل

فارسل اليهم ضرار بن الخطاب فى جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون القتل فى المشركين واخذ ضرار آدين اسيرا فضرب رقبته ثم خرج فى الطلب حتى انتهى الى السيروان فاخذ ماسذان عنوة فهرب اهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له و اقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدى فكانت احد فروج الكوفة

﴿ ذكر فتح قرقيسا فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى ايضا فتح جلولا ارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج فى نصف الناس فجاء قرقيسا على عرة فاخذها عنوة فاجابوا الى الجزية ثم ان الحارث بن يزيد راسل اهل هيت فاجابوا الى الجزية وكانت دفور الكوفة اربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار ابن الخطاب وقرقيسا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفوهم اذا غابوا عنها

﴿ ذكر غزوة فارس من البحرين فى سنة سبع عشرة ﴾

لما كان العلاء بن الحضرمى على البحرين فى خلافة ابى بكر ثم فى خلافة عمر رضى الله عنهما ندب الناس لغزو فارس فى البحر وقد كان نهرنهاه عن الغزو فى البحر خوف الغرق فخالفه وندب الناس الى قتال فارس فاجابوه فعرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر و بازائهم اهل فارس وعليهم الهربذ فقاتلوهم قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة ثم ارادالمسلمون الرجوع الى البصرة فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر رضى الله عنه صنيع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فانى القى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان فارسل عتبة جيشا كثيفا اثنى عشر الفا مقاتلا وعليهم ابوسبرة بن ابى رهم احد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس على الساحل لايعرض له احد حتى التقى ابوسبرة وخليد وكان اهل اصطخر حيث اخذوا الطريق على المسلمين جمعوا اهل فارس اليهم من كل وجهة فالتقوا هم وابوسبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين و اصاب المسلمون منهم ماشاؤا وهى الغزوة التى شرفت بها نابتة البصرة وكانوا افضل نوابت الامصار ثم انكفوا بما اصابوا فرجعوا الى البصرة سالمين

﴿ ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهرتيرى ﴾

فى سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومناذر ونهرتيرى وقيل سنة عشرين وكان السبب فى

هذا

هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو احد البيوتات السبعة فى اهل فارس قصد خورستان فملكها وقاتل بها من ارادهم فكان الهرمزان يغير على اهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهرتيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فامده بجيوش والتقوا هم والهرمزان بين نهرتيرى و بين دلب وتوجه بعض جيوشهم لاخذ مناذر ونهرتيرى فبينما الهرمزان يقاتل الذين التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهرتيرى فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه فهزمه الله و اياهم وقتل المسلمون منهم ماشاؤا واصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل واخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز واقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة له به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ماخلا نهرتيرى ومناذر وما غلب المسلمون عليه من سوق الاهواز فانه لايرد عليهم ثم وقع اختلاف بين المسلمين والهرمزان فى حدود الارض فحار بهم الهرمزان ومنع ماقبله واستعان بالاكراد فكتب عتبة بذلك الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وامده بجند فالتقوا مع الهرمزان عند جسر سوق الاهواز مما يلى السوق فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح المسلمون سوق الاهواز واتسعت لهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم و بين الهرمزان الى ان طلب الصلح فاجاب عمر الى ذلك وان يكون ماأخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك واقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد و يجبى اليهم

﴿ ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان ﴾

كان فتح رامهرمز وتستر والسوس فى سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل وهو يحرض اهل فارس أسفا على ماخرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم واهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان ابن مقرن وعجل وليزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا امره وكتب الى ابى موسى الاشعرى وكان على البصرة ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد بن عدى اخاسهيل وابعث معه البراء بن مالك ومجزاة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى اهل الكوفة والبصرة جميعا ابوسبرة بن ابى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى اهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطفه ومعه اهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان بارك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عزوجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فاقام بها ووصل اهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فاتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز واتاهم الخبر ان الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه وسار ايضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من اهل فارس والجبال والاهواز وعليهم الخنادق وامد عمر المسلمين ايضا بأبى موسى وجعله على اهل

البصرة وعلى الجميع ابو سبرة فحاصروهم اشهرا واكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون
ايام تسعة ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون
للبراء بن مالك وهو اخو انس بن مالك رضي الله عنهما يا براء اقسم على ربك ليهزمنهم وكان
مجاب الدعوة فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني فهزموهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها
عليهم ثم دخلوا مدينتهم واحاط بها المسلمون فبيناهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت
حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى في ناحية
ابي موسى بسهم ان امنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه فنشابة فرمى
اليهم بأخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر
ابن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع
الرجل الذي يدلهم على المدخل الى الدبة فانتدب له بشر كثير فالتقوا هم واهل البصرة على
ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر
المسلمون من حارج وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة
فتحصن بها واطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فاوثقوه واقتسموا ما افاء الله عليهم
فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل الفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج
بنفسه فاسوهما ومن اغلق بابه معهما وقتل من المسلمين بشر كثير وممن قتله الهرمزان بنفسه
مجراة ابن نور والبراء بن مالك وخرج ابو سبرة بنفسه في اثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها
ومعه النعمان ابن مقرن وابو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى ابي موسى يرده الى البصرة فانصرف
اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله اللقيطي الى جنديسابور فنزل اليها وارسل ابو سبرة
وفدا الى عمر ابن الخطاب فيهم انس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به
المدينة والبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت والبسوه
حليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس في المسجد لوفد من الكوفة
فوجدوه في المسجد متوسدا رنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا
دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان اين عمر قالوا هو ذا فقال اين حرسه
وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي ان يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل
الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان
قالوا نعم فقال الحمد لله الذي اذل بالاسلام هذا وغيره اشباهه فامر بنزع ما عليه فنزعوه
والبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر يا هرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله فقال
يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا
ثم قال له ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد اخرى فقال اخاف ان تقتلني
قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسق ماء فاتي به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع
ان اشرب في مثل هذا فاتي به في اناء يرضاه فقال اني اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال عمر لا بأس
عليك حتى تشرب به فاكفاه فقال عمر اعيدوا عليه ولا تجمعوا بين القتل والعطش فقال
لا حاجة لي في الماء انما اردت ان استأمن به فقال له عمر اني قاتلك فقال قد امنتني فقال كذبت

قال انس صدق يا امير المؤمنين قد امنته قال عمر يا انس انا اؤمن قاتل مجزاة بن نور و البراء بن مالك و الله لتأتين بمخرج اولاعاقبنك قال انك يا امير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشير به وقال لعمر من حوله مثل ماقال انس فاقبل على الهرمزان وقال خدعتني و الله لا ان تسلم فاسلم ففرض له فيمن فرض لهم الفين و انزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة لانه كان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم

﴿ ذكر فتح السوس ﴾

لما نزل ابو سبرة على السوس كان بها شهر يار اخو الهرمزان فاحاط المسلمون بها و ناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم اقتحموا الباب ودخلوا عليهم فالقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد مادخلوها عنوة واقتسموا ماأصابوا وقيل فى فتح السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولا فنزل اصطخر ومعه سياه فى سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس و الهرمزان الى تستر و نزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم فى ايوانات اصطخر و يتسدون خيولهم فى بحرها وقد غلبوا على مارأيتم فانظروا لانفسكم فقالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا فى دينهم و وجهوا شيرويه فى عشرة من الاساورة الى ابى موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم احد من العرب منعهم منهم و ينزلوا حيث شاؤا و يلحقوا بأشرف العطاء و يعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ماسألوا فاسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون فى زى العجم فالقا نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه اهل الحصن صريعاً فظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلصوا عن الحصن وهربوا بملكه

﴿ ذكر مصالحة جند يسابور ﴾

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجند يسابور وزر بن عبد الله محاصرهم فاقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجاء المسلمين الا وقد فتحت ابوابها واخرجوا اسواقهم فسألهم المسلمون فقالوا رميتم الينا بالامان فقبلناه واقررنا بالجزية فقال المسلمون مافعلنا وسأل المسلمون بعضهم من فعل ذلك فاذا هو عبد يدعى مكثفا كان اصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال اهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية ومابدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز أمانهم فامنوهم وانصرفوا عنهم

﴿ ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها ﴾

قيل فى سنة سبع عشرة اذن عمر للمسلمين فى الانسياح فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك الى رأى الاحنف ابن قيس حيث قال له يا امير المؤمنين نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وان فارس لايزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فى الانسياح فنسيح فى بلادهم

وزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياح فامر اباموسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه امره وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء ازدشير وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر الى عثمان بن ابى العاص الثقفى ولواء فسا ودارا بجرد الى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبي فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم فى ذلك الوقت وأمدهم بنفر من اهل الكوفة وسيأتى الكلام على تفصيل ذلك

﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وكان الذى هيج امر نهاوند ان المسلمين لما خلصوا من جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بمرو فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصل اوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر ونار بسعد قوم سعوا به وتعصبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا وصاروا يشكون منه فمن تحرك فى امره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعنى ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد بن مسلمة صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة يسأل عنه فاسأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءا ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال اسامة ابن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عير عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على اولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا اشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن على رضى الله عنهما ليغتاله بساباط وشذخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجئ ونعال السيوف وكان سعد رضى الله عنه مجاب الدعوة لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك وكان من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للاسلام ومن اخوال النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول رجل رمى بسهم فى سبيل الله واول رجل اهرق دما من المشركين فى سبيل الله وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابى وامى ثم ان محمد بن مسلمة رجع المدينة بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى ياسعد قال اطيل الاوليين واخفف الاخريين فقال هكذا الظن بك ياابا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا فاراد عمر رضى الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر ويتسع الامر فقال من خليفتك ياسعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره

وامر

وامر سعدا بالبقاء معه فى المدينة ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال ان تولوا سعدا فأهل هو والا فليستعن به الوالى فانى لم اعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا كان سبب نهاوند فابتداء البعث كان فى زمن سعد واما الوقعة فهى فى زمان عبد الله بن عبد الله بن عتبان فسفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى حسين الفا ومائة الف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان اهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وأن يبدؤهم بالشدة ليكون اهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم او يقضى ما احب فان فتح الله عليهم صبتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا امير المؤمنين قد احكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وانت وشأنك ورأيك لا ينبو فى يدك ولا يكل عليك اليك هذا الامر فرنانطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم يتكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال ارى يا امير المؤمنين ان تكتب الى اهل الشام فيسيروا من شامهم والى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير انت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عددك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت اعز غزاء واكثر يا امير المؤمنين انك لا تستبق بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام على بن ابى طالب فقال اما بعد يا امير المؤمنين فانك ان اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان اشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيال اقر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليتمرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى اهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك واما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا على برجل اوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا انت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لا ولين رجلا يكون اول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من اهل الكوفة قد اقتحموا جند سابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر الى عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا فى الدين

وليدركوا حظا فخرج الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن اخو النعمان بن مقرن حتى قدموا على النعمان وكتب عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم المقترب وحرملة وزرفاقاموا بحوم اصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة ابن اليمان وعبدالله بن عمر وجرير بن عبدالله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فارسل النعمان طليحة بن حويلد الاسدي وعمرو بن معد كرب وعمرو بن ثني وهو ابن اخي سلمى ليأتوه بخبر القوم فخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا مارجعك فقال لم اكن في ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معدي كرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا مارجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ماشأنكم فاعلموه بالذي حافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لاحرز العجم العلماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا احد فرحل النعمان وعبى اصحابه وهم ثلاثون الفا فجعل على مقدمته اخاه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى الجردة القعقاع ابن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه امداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والعرس وقوف على تعبيتهم واميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاديه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند وكل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الانقال وضرب فسطاط النعمان فايتدر اشراف الكوفة فضربوا فساطيطهم ونشب القتال بعد حط الانقال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انحجزوا في خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون واقاموا عليهم ماشاء الله والفرس بالخيار لايخرجون الا اذا ارادوا الخروج فخاف المسلمون ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع اجتمع اهل الرأي من المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار وانوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروى في الذي رووا فيه فأخبروه فبعث الى من بقي من اهل النجدات والرأي فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدهم وانهم لايخرجون الينا الا اذا شاؤا ولايقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فالرأي الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن غنم وكان اكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان فقال النحصن عليهم اشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من اتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معدي كرب فقال ناهدهم وكايدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي اعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فاما لم نستطرد لهم في طول ماقاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ماأحب فأمر القعقاع

ابن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فأخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد وقد تواثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم فقعلوا كما لن طايحة وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وامرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم فقعلوا واستتروا بالحف من الرمي واقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان الا ترى ما نحن فيه ما ننتظر بهم أيدن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم وينبههم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا واني قتلت فالامر بيد حذيفة بن اليمان فان قتل فقلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وويل لهل قال اللهم اني اسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه وكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معمم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما ازلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمي بسهم في خاصرته فقتله وراق به فرسه فصرع فسجاه اخوه نعيم بثوب واخذ الراية وناولها حذيفة فاخذها وتقدم موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب اميركم حتى تظفروا ما يصنع الله فينا وفيهم لثلا يهن الناس فاقتتلوا فلما اظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون وعمى الله على المشركين قصدهم فتركوه واخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل قتل في اللهب ثمانون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فتابعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من نغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على اجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد الجبل فتبعه القعقاع راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر

للمسلمين جعلوا يسألون عن اميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم اخوه معقل هذا اميركم قد اقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا على مافيها من الامتعة والاموال والاسلاب والاثاث واتاهم الهربذ صاحب بيت النار على امان فقال لحذيفة اتؤمنني ومن شئت على ان اخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فارسلهما حذيفة مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وارسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس واتني به وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان عمر رضي الله عنه قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من اين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذاك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فاتيت فقال ما وراءك فقلت خيرا يا امير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتفه فما رأيت ذلك وما لقي قلت يا امير المؤمنين ما اصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال اولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ثم اخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما اصبح بعث في اثري رسولا فما ادركني حتى دخلت الكوفة فاناخ بعيري وانا خ بعيره على عرقوب بعيري فقال الحق بامير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الى ومالي وللسائب قلت ولما ذا قال ويحك والله ماهو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا يقولون لكوبنك بهما فاقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة آلاف الف فما زال اكثر اهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل الفين وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن بعده للفرس اجتماع وملك المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجرد امره في انتكاس ونقصان وكلما اخذت منه مدينة انتقل الى اخرى الى ان قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف ابو موسى من نهاوند وكان قد جاءه مددا على بعث اهل البصرة فر بالدينور

فاقام عليها خمسة ايام وصالحه اهلها على الجزية ومضى فصالحه اهل شيروان على مثل صلحهم و بعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشر شنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبي وان لايؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب منهم و بلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها فافتدوا بخشر شنوم وكاتبوا حذيفة فاجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول

﴿ ذكر فتح اصبهان ﴾

بعث عمر رضي الله عنه اليها عبدالله بن عبدالله بن عتبان وكان شجاعا من اشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وامده بابي موسى وكان على جند اصبهان الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم فاقتتلوا برستاق اصبهان قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبدالله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم اهل اصبهان وسمي ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو اول رستاق اخذ من اصبهان ثم سار عبدالله الى مدينة جي وهي مدينة اصبهان والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جي وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على اصبهان و على ان من اقام الجزية اقام على ماله و ان يجري من اخذت ارضه عنوة مجراهم ومن ابى وذهب كانت لكم ارضه فسرح الناس من جي ودخلوا في الذمة الا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبدالله يأمره بالمسير الى سهيل بن عدي ليكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل ونازلوا كرمان حتى فتحوها وسيأتي ذكر ذلك في فتوحات سنة ثلاثة وعشرين

﴿ ذكر فتح زويلة ﴾

في سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع الفهري بجيش فافتتح زويلة صلحا ومابين رقة وزويلة فصار سلما للمسلمين

﴿ ذكر فتح همذان ثانيا ﴾

قد تقدم سير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده و يد القعقاع ابن عمرو فلما رجعا عنها كفر اهلها فرجع اليهم نعيم بن مقرن في سنة اثنين وعشرين وحاصرهم ثم سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقيل ان ذلك كان سنة اربع وعشرين بعد مقتل عمر رضي الله عنه لستة اشهر وان نعيما خرج اليهم في جيش كثيف وقاتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لايحصون وقيل ان

المغيرة بن شعبة حين كان عاملا على الكوفة ارسل جرير بن عبدالله البجلى الى همذان فقاتله اهلها واصيبت عين جرير بسهم فقال احتسبها عندالله الذى زين بها وجهى وسلبنها فى سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على ارضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصارى

﴿ ذكر فتح قزوين وزنجان ﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء ابن عازب فى جيش الى قزوين فسار البراء حتى اتى ابهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فأمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ اهلها الخبر ارسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لايعدون يدا فلما رأى ذلك اهل قزوين طلبوا الصلح على صلح ابهر ثم غزا البراء الديلم حتى ادوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة غزا ايضا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

﴿ ذكر فتح الرى ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين غزا نعيم بن مقرن الرى وخرج من الرى الزينى ابو الفرخان فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالما له ومخالفا لملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام فاستمد ملك الرى اهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينى قال لنعيم ان القوم كثير وانت فى قلة فابعث معى خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لايشعرون به وتاهدهم انت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يشتدوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن اخيه المذر بن عمرو فادخلهم الزينى المدينة ولايشعر القوم و بيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من وراثهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة واعاء الله على المسلمين بالرى نحوا مما فى المدائن وصالحه الزينى على الرى ومرزبة غلبهم نعيم وراسله المصمغان فى الصلح على شئ يقتدى به منه على دنباوند فاجابه الى ذلك وقيل ان فتح الرى كان سنة احدى وعشرين

﴿ ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان ﴾

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الرى كتب اليه عمر يأمره بارسال اخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمر والجملى وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له احد فاخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم و اهل المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها فكاتبوه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه

* * *

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب و برقة ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من المسلمين من بنى مدلج يتصيد فى سبعة نفر وسلكوا غربى المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير فى البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف فى المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم فى مراكبهم وكان اهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنع عليه فتح طرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس سير عمرو جندا الى سبرة فصبحوها وقد فتح اهلها الباب واحرجوا مواشيهم للسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر فتح طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم عاد عمرو الى برقة وقد اجتمع بها قوم من البربر فصالحوه على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من اراد وا من اولادهم فى جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

لما افتتح نعيم الرى بعث سماك بن خرشة الانصارى وليس بأبى دجانة محمد البكير بن عبد الله باذربيجان وكان بكير قد سار اليها بامر عمر رضى الله عنه فامر عمر نعيما ان يمد بكيرا بسماك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا اطلع بجبال جرميذان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتتلوا فانهزم الفرس واخذ بكير اسفنديار اسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك ام الحرب فقال بل الصلح فقال امسكنى عندك فان اهل اذربيجان ان لم اصالح عليهم اواجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التى حولها ومن كان على التحصن تحصن فامسكه عنده وصارت البلاد اليد الاماكان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة بعد واسفنديار فى امان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه فى التقدم فاذن له ان يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فاقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذى كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة واقام به فى عسكره حتى قدم عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو فى الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه واجاب الى ذلك اهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر و بعثا بالخمس

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى فى هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين امر عمر رضى الله

عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور بالمسير الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان ايضا يدعى ذا النور وجعل على احد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفاري وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان الملك بها يومئذ شهر يار وهو من ولد شهر يار الذي افسد بني اسرائيل واغزى الشام بهم فلما اطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهر يار واستأمنه على ان يأتيه ففعل فاتاه فقال انى بازاء عدو كلب وامم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل ان يعينهم على ذي الحسب ولست من الفتح ولا الارمن في شيء وانتم قد غلبتم على بلادي وامتي فانا منكم ويدي مع ايديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فاجابه بقبول ذلك منه ثم قال له سراقة لابد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فاجابه الى ذلك وكتب سراقة في ذلك الى عمر فاجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب ارسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن اسيد وسلمان بن ربيعة الى اهل تلك الجبال المحيطة بارمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيب الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة الى عمر بفتح الباب وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر امر لم يظن ان يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح احد من اولئك القواد الا بكير فانه فض اهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعه اقر عبد الرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما امر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا في بلنجر باقصى ولاية الباب وهم امم كثيرة فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهر يار ما تريدان تصنع قال اريد غزو الترك في بلنجر قال انا نرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو يأذن لهم اميرنا في الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال اقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم احد ثم غزاهم ايام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل اهل الكوفة وظهر فيهم الاختلال فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك الترك فتذامرت عليه

واجتمعوا فى الفيافى فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجوصبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ راية اخوه سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه ابو هريرة السدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من انجاء جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

كان فتح خراسان فى سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك ان يزدجرد سار الى الرى بعد هزيمة اهل جلولا وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه فوثب على يزدجرد فاخذه فقال يزدجرد يا بان تغدرنى قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار فى يد غيرك فاحببت ان اكتب ما كان لى من شئ واخذ خاتم يزدجرد واكتب صكا كا بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزدجرد فسار يزدجرد من الرى الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار التى يعبدونها معهم ثم قصد خراسان فاتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وامن من ان يؤتى وان له من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان واثار اهل فارس فكثروا واثار اهل الجبال والفيرزان فكنوا فاذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب للاحنف بن قيس بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لواءا عليها مع الالوية التى عقدها فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فارسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به امداد الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف باهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان فمنهم من هرب ومنهم من بشد على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم يا امير المؤمنين قال لان اهلها ينتقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة فكان ذلك باهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر مهزوما انجده خاقان من الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يستمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين بنقيان

علفاوأحدهما يقول لصاحبه لو اسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله عليهم فرجع فلما اصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة عشرة آلاف ومن اهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك يطوقه فضرب بطبله ثم وقف قريبا من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله واخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله واخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فاتوا على فرسانهم مقتولين فقام خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وأصيب فرساننا مالنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا واتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج يزدجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كثيرة عظيمة واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فاكون معه او بالصين قالوا ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم اوفياهم اهل دين وان عدو ايلينا فى بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فابى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فابى فاعتزلوه وقاتلوه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما بها زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم واموالهم على افضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين واصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل اهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى ارسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى ارالك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير فيهم وشر فيكم فقلت سلنى عما احببت فقال ايوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث امادينهم فان اجبنا اجروناجراهم اوالجزية والمنعة اوالمنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع

قوم وارشدهم قال فما يحلون ومايحرمون فاخبرته قال هل يحلون ماحرم عليهم او يحرمون ماحلل لهم قلت لا قال ان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم و يحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها له قال نعمت الحصون ووصفت له الابل و بروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلالهم سربهم ازالوني مادامو اعلى وصفهم فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم مالم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من حاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله تعالى في خطبته على انجاز وعده ثم قال الا وان ملك المجوسية قد هلك فليس يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا وان الله اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لا اخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم

﴿ ذكر فتح شهرزور والصامغان ﴾

استعمل عمر رضي الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحي قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى افردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ ذكر غزو معاوية بلاد الروم ﴾

في هذه السنة اعني سنة اثنتين وعشرين غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف من المسلمين فاثخن فيهم وغنم و رجع سالما

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لما خرج اهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان فيهم سارية بن زنيم الكناني فساروا واهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل امير الى الجهة التي امر عليها وبلغ ذلك اهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتتت امورهم فقصد مجاشع بن مسعود السلمي سابور واردشير فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ماشاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا مافي عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا مافيها وكان ذلك في افتتاح سنة ثلاث وعشرين وهذه توج الاخيرة والاولى هي التي استقدمتها جنود العلاء ابن الحضرمي ايام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا واقروا بها وارسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة والاخماس الى عمر رضي الله عنه

﴿ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن ابى العاص الثقفى اصطخر وكان عمر رضى الله عنه عقد له لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح الى بلاد فارس فالتقى عثمان هو واهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقى فى الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبندجان وغلب على ارضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وارجان وفتح سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان ايضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس ساحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع الطاعة فى آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن ابى العاص انه واتته الامداد من البصرة واميرهم عبيدالله بن معمر وشل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما فى المعركة و بينهما و بين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية ايضا شهرك يابنى اين يكون غداؤنا ههنا ام بشهرك قال له يا ابت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا يكون الا فى المنزل وما اراهم يتركوننا فافرغا من كلامهما حتى شب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن ابى العاص اخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل بن شهرك على سوار فقتله وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنبان وكان فى جيوش المسلمين ابو صفرة والد المهلب قيل ان عبدالله بن معمر امير الامداد التى جاءت لهذا الجيش من البصرة بلغه ان ارزنبان يريد الغدر به فقال له احب ان تتخذ لاصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الحفنة التى تلينى فانى احب ان اتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر الا بالفوس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من اشد الناس فقام ارزنبان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك واعطاه عهدا

﴿ ذكر فتح فساودار ابجرد ﴾

قد تقدم ان عمر رضى الله عنه لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح فى بلاد فارس عقد لواء لسارية بن زنيم الكنانى على فساودار ابجرد فى سنة ثلاث وعشرين فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير واتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان بن زنيم والمسلمون بصحراء ان اقاموا فيها احيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال يا ايها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب يا سارية بن زنيم الجبل يا سارية الجبل ثم اقبل على الناس فقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية

ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله تعالى كذا في الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد صحيحة منهم البيهقي وابونعيم وابن مردوية واللالكائي وابن الاعرابي والخطيب بالفاظ متعددة والمعاني متقاربة فمنها رواية لابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادي ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال ياامير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى قال قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من ارض العجم وفي رواية لابن عمر ايضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرضه في خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علي رضي الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج مني ماتزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفي رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطلعه اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ أنت تصيح ياسارية الجبل اي شيء هذا قال اني والله ماملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى ان جاء رسول سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال اولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له انتهى واصاب المسلمون في مغانمهم مع سارية سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس واكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظنه عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس اتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فاكلا فلما فرغا قال الرجل انا رسول سارية ياامير المؤمنين قال مرحبا واهلا ثم ادناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فاخبره بقصة السفط فنظر اليه وصاح به لاولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال ياامير المؤمنين اني قد انضيت جملي واستقرضت في جائزتي فاعطني ما اتبلغ به فما زال به حتى ابدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مفضوبا عليه محروما وسأل اهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

كان سهيل بن عدي قد عقد له عمر لواءا على كرمان مع الالوية التي عقدها فامره في هذه السنة اعني سنة ثلاث وعشرين بالمسير الى كرمان فسار ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان

To: www.al-mostafa.com

وحشدلهم اهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا فى ادانى ارضهم فقض الله تعالى المشركين واخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى حيرت وعبدالله بن عبدالله من مفازة سير فاصابوا ماارادوا من بعير اوشاة فنحروا الابل والغنم فتحاسدوها بالاعان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا فى عمر بذلك فجاءهم اذا رأيتم ان فى البخت فضلا فزيدوا

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

كان عاصم بن عمرو قد عقد له عمر لواءا على سجستان مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار ولحقه عبدالله بن عمير فاستقبلهم اهلها فالتقوا هم واهل سجستان فى ادانى ارضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا ارض سجستان ثم انهم طلبوا الصلح على رزح وما اختاروا من الارضين فاعطوا وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم ان مدافدها حمى فكان المسلمون يجتنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا قيم اهل سجستان على الخراج وكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروجا يقاتلون السدهار والترك واممًا كثيرة

﴿ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ﴾

كان لحكم بن عمرو التغلبى قد عقد له عمر لواءا على مكران مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار حتى انتهى اليها ولحقه شهاب بن المخارق وسهيل بن عدى وعبدالله بن عبدالله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر واهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فامده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم فى المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم اياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فاقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلما قدم المدنية سأله عمر عن مكران فقال يا امير المؤمنين هى ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل ٣ وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال اسجاع انت ام مخبر لا والله لا يغزوها جيش لى ابدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو ان لا يجوزن مكران احد من جنودهما وامرهما ببيع الغيلة التى غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم اثمانها على الغانمين

﴿ ذكر فتح بيروذ والاهواز ﴾

لما فصلت الجيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى ابى موسى ان يسير الى اقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى ان يهلك بعض جنوده او يتخلفوا فى اعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وابطأ ابو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا فى رمضان بين نهرتيرى ومناذر فقام المهاجر بن

زياد وقد تحنط واستقبل القوم وعزم ابو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذله واشتد جزع الربيع بن زياد على اخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له ابو موسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج ابو موسى حتى بلغ اصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فما فتحت رجع ابو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى سيروذ من نهرتيرى وغنم ما معهم

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والعقل فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفئ نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اوذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا فساروا حتى لقوا عددا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سمط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسمط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسمط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان العقد يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وفى هذه السنة غزا معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وقصة استشهاده مشهورة لاحاجة الى الاطالة بذكرها اخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وامعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما اجراه الله على يديه وما حصل للاسلام واهله بسببه من كونه اعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له ان كل خير وقع لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيمة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل اجورهم وذلك شئ كثير لايمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح فى

قومه واخرج عبدالله بن الامام احمد فى زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما ارجو لهم فى قولى لا اله الا الله واخرج ابوذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقال صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه وادر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان على رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله فى زمن خلافتهم ولم ينازع احدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع فى ذلك قاتل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوته فى زمن الخلفاء الثلاثة كان تقية حاشا الله من المحابات فى دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الفتوحات فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

كانت البيعة لعثمان رضى الله عنه فى اوائل المحرم سنة اربع وعشرين فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه عملا بقول عمر رضى الله عنه اوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم اعزله عن سوء ولا خيانة فكان اول عامل بعثه عثمان رضى الله عنه

﴿ ذكر خلاف اهل الاسكندرية ﴾

فى سنة خمس وعشرين خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فاجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فأرسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال اهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا واموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفى هذه السنة بلغ سعد بن ابى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض العهد فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

فى هذه السنة نقضت اهل اذربيجان فامر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابى معيط ان يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن ابى وقاص اختصم مع عبدالله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه ان يعزل سعدا قطعا للنزاع فعزله وولاها الوليد فغزاهم

الوليد وعلى مقدمته عبدالله بن شبيل الأحمسي فاغار على اهل موقان والبيروالطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على ثمان مائة الف درهم وقبض المال وبث السرايا وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثني عشر الفا فسار في ارمينية يقتل و يسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يده حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى المدينة فنزلها فاتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية ابن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رحلاله نجدة وبأس في ثمانية آلاف او تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان ابن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ماشاؤا من الغنائم وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذي امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على الكوفة بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية ان يغزي حبيب بن مسلمة في اهل الشام ارمينية وهي غير التي باذربيجان بالعراق فوجهه اليها فاتى قالى قلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء او الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه شهرا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهي البلاد التي صارت بعد بيد اولاد السلطان قلج ارسلان السلجوقي وهي ملاطيه وسيواس واقسراى وقونيه وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية قد توجه نحوه في ثمانين الفا من الروم واسم القس المذكور الموريان فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فامده بسلمان في ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبدالله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قالى قلا ثم سار منها ونزل مرباليا فاتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامان البطريق المذكور فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما اليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهي من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهي القرية التي يكون منها القرمز الذي يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين اخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها فقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقهما على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان فاتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهي من جرزان وفتح عدة حصون تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى ارّان ففتح البيلقان صلحا على ان امنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى

سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه و بينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وسار سلمان الى مجمع ارس والكر فصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة الباب وهى غير التى فى العراق وهذه بقرب حلب

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

فى هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهى المسماة بروسا فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسى الصائفة وامره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون التى بانطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبدالله بن سعد بن ابى سرح الى اطراف افريقية غازيا بامر عثمان وكان عبدالله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود ففتح هو وجنده فلما عاد عبدالله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فاذن له فى ذلك

﴿ ذكر غزوة كابل ﴾

فى هذه السنة ارسل عثمان رضى الله عنه عبدالله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت اعظم من خراسان حتى مات معاوية فامتنع اهلها

﴿ ذكر فتح افريقية ﴾

كان ذلك فى سنة ست وعشرين قد تقدم ان عبدالله بن ابى سرح استأذن عثمان رضى الله عنه فى غزو افريقية فاذن له وقال له ان فتح الله عليك فلك من الفئ خمس الخمس نفلا وامر عثمان عبدالله بن نافع بن عبدالقيس وعبدالله بن نافع بن الحارث على جند وسرحهما وامرهما بالاجتماع مع عبدالله بن ابى سرح على صاحب افريقية فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطؤا ارض افريقية وكانوا فى جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم اهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها ثم ان عثمان ولى عبدالله بن ابى سرح مصر فارسل الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار اكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره فسار بهم عبدالله ابن ابى سرح الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عبدالله بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس العرب فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية

وبث السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل الخراج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر واهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فاقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبدالله بن ابى سرح يدعوه الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبدالله بن الزبير فى جماعة اليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير فى المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر ففت ذلك فى عضده ورأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا اذن الظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابى سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادى جرجير يقول من قتل عبدالله ابن ابى سرح فله مائة الف دينار وازوجه ابنتى وهو يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبدالله بن الزبير وقال له تأمر مناديا ينادى من اتانى برأس جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف اشد من عبدالله ثم ان عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن ابى سرح ان امرنا يطول مع هؤلاء وهم فى امداد متصلة وبلادهى لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين فى خيمهم متأهبين ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر الى ان يحجزوا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من اعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبدالله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما اذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير والح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين القى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك اخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله عبدالله بن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة واخذت ابنة الملك جرجير سبية واعطيت لعبدالله بن الزبير مع مائة الف ونازل عبدالله بن ابى سرح المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال مالم يكن فى غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف ولما فتح عبدالله مدينة سبيطلة بث جيوشه فى البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على الفى الف وخمسمائة الف دينار وارسل الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية ثم عاد عبدالله بن ابى سرح الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة اشهر ولم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم ابو ذؤيب الهذلى الشاعر فدفن هناك

* *
*

﴿ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صار ملك افريقية للمسلمين ارسل هرقل بعد مدة الى اهلها بطريقا وامر أن يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق فى قرطاجنة وجمع النصارى الذين فى افريقية واخبرهم بما امره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغى له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة وتغلب الروم على افريقية فسار ذلك الرجل الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على رضى الله عنه فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن حديج ٣ السكونى فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين الف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن حديج سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولا فلم يقدر عليه فانهدم الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما فتحت افريقية فى خلافة عثمان رضى الله عنه امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فاتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فاخرجوا ومعهم البر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة من اراضى افريقية وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية وما الاندلس فلم تفتح الا فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما سيأتى ان شاء الله

﴿ ذكر غزوة قنسرين ﴾

وفى سنة سبع وعشرين غزا معاوية قنسرين فقتل وسبى وغنم ورجع وفى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية

﴿ ذكر فتح قبرس فى خلافة عثمان رضى الله عنه غزاها معاوية سنة ٢٨ ﴾

وكان معه جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضى الله عنه ان يغزو فى البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه استأذن والح عليه فاذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ففعل وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار عبد الله بن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم اهلها على جزية سبعة الاف دينار كل سنة بعد قتل وسبى كثير فى قبرس ويؤدون مثلها لملك الروم وفى هذه الغزوة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية القتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها فى اول من يغزو فى البحر كما فى صحيح البخارى

﴿ ذكر انتقاض اهل فارس ﴾

فى سنة تسع وعشرين انتقض اهل فارس فسار اليهم عبيد الله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وكان على البصرة بعد عزل ابى موسى وكان لعبد الله بن عامر صحبة فاستنفر اهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة واتى دارا بجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتم السير الى جور وحاصرها الى ان فتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه حراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وغدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر وفتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى اكثر اهل البيوتات ووجوه الأساورة وكانوا قد لجؤا اليها

﴿ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ﴾

فى سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان اهل طبرستان فى خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه ثم انقضوا ففزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو ابن العاص وحذيفة بن اليمان واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس واتى جرجان فصالحوه على مائتى الف ثم اتى طبرستان فقاتله اهلها وضرب سعيد يوما رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه فسألوه الامان فاعطاهم وفتح ايضا نامية وفى هذه السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وفى هذه الغزوة رأى حذيفة اختلافا كثيرا بين الناس فى القرآن فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن فى المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لا حاجة لذكرها

﴿ ذكر غزوة الصوارى ﴾

فى سنة احدى وثلاثين غزا معاوية الصوارى وسببها ان المسلمين لما اصابوا من اهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا فى خمسمائة مركب او ستمائة وخرج المسلمون وعلى اهل الشام معاوية بن ابى سفيان وعلى اهل مصر عبد الله بن ابى سرح على طريق البحر وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم مالا يحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا فى

موطن قط مثله ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وسار قسطنطين الى صقلية فسأله اهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا اهلكت النصرانية وافنيت رجالها ولو اتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم ادخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه واذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية

﴿ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس ﴾

في سنة احدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف في كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس الى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون اثره من مدينة الى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل نام عند رجل ينقر الارحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشرين سنة منها اربع سنين في دعة وست عشرة في تعب من محاربة العرب اياه وغلبتهم عليه وكان آخر من ملك من آل ازدشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقض اهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن اوس التميمي فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال اولم نؤمر بالمسير وقيل ان الاحنف بن قيس قال له ان عدوك ملك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعزدينه فسار الى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي وله صحبة وامره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي وكانوا ايضا قد نقضوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى البطسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه اهلها على سبعمائة الف درهم وبعث سرية الى رستاق زام من اعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من اعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من اعمال نيسابور ايضا ووجه الاسود بن كلثوم العدوي الى بيهق من اعمالها ايضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فاخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بامر الناس بعده اخوه ادهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره في بطون السباع والطير فلم يواره اخوه ودفن من استشهد من اصحابه وافتتح ابن عامر في هذه الغزوة بشت من نيسابور وهذه بشت بالشين المعجمة وليست ببست التي بالسين المهملة فان تلك من بلاد الداوون وهذه من خراسان من نيسابور وافتتح ايضا خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على اعمالها وافتتحها فحصر اهلها اشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وابيورد ففتحوها صلحا وسير

سرية اخرى الى سرخس مع عبدالله بن خازم السلمى فقاتلوا اهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرز بانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله عبدالله ودخل سرخس عنوة واتى مرز بان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبدالله بن حازم فبلغ مرز بان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة و بادغيس و بوشنج وقيل بل سار ابن عامر فى الجيش الى هراة فقاتله اهلها ثم صالحه مرز بانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد ارسل اليه مرزبان مرو فصالحه على الفى الف ومائتى الف درهم وارسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى الى مرز بانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها احدث عنوه ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف بعد ذلك برستاق الاحنف و يدعى سوانجرد فحصر اهلها فصالحوه على ستمائة الف درهم فقال الاحنف لصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه و يقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الرود فقاتله اهلها ففتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرز بانها من اقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعانى الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بع واستاقت منه مواشى ثم صالحه اهلها وجمع له اهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فى خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الرود ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمى فى خيل وقال يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تعذل اموركم وابدؤا بجهاد عدوكم وفروجكم يصلح لكم دنياكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان وكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهى مدينة طخارستان فصالحه اهلها على اربعمائة الف وقيل سبعمائة الف واستعمل على بلخ أسيد فتح الهمزة بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهى على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار اصحابه فقال له حصين بالضاد المعجمة بن المنذر وقال عمرو بن معدى كرب

* اذا لم تستطع شيأ فدعه ❊ وجاوزه الى ما تستطيع *

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاحرم لاجعلن شكرى لله تعالى على ذلك ان اخرج محرما من موقفى هذا فاحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى ارض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهلها و اذعنوا له حتى اتى سجستان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان امره

ان يفتحها وكان اهلها قد نكثوا وغدروا ففتح همید عنوه واستبق اهلها واعطاهم امانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع واتى السيرجان وهى مدينة كرمان فاقام عليها اياما يسيرة واهلها متحصنون وفتحها عنوة فقلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ اهلها واتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من اهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم واراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى مواضع منها وادوا العشر

﴿ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما ﴾

قد تقدم ذكر فتح سجستان ايام عمر بن الخطاب ثم ان اهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى اتى حصن زالق فاغار على اهله يوم مهرجان واخذ الدهقان فافتدى نفسه بان غرز عنزة وغمرها دهنا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم اتى بلدة يقال لها كركوبه فصالحه اهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها واصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة واتى الربيع ناشروذ فصالحها ثم اتى شروان فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فارسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحصر عنده فامنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وامر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على الف وصيف مذهب وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها واتى القرية التى بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله اهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين الف رأس وكان كاتبه الحسن البصرى فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة ابن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على الفى الف درهم والفى وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم فى جبل الزوز ثم صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده واخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر واذا اردت ان اعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل ورابلستان وهى ولاية غرنة ثم عاد الى زرنج فاقام بها ثم استخلف عليها امير بن احمر اليشكرى وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا

﴿ غزوة مضيق القسطنطينية ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بن ابى سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبى وغنم ورجع

﴿ ذكر غزوة ملنجر ﴾

لما تابعت العروات على الحر والترك تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه

الامة القليلة فصرنا لانقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لايموتون وما اصيب منهم احد في غزوهم وكان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فربالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعد رؤسهم على حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبدالرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبدالرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ اهل بلنجر جسده فجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير ممن معه انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فنقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابو هريرة

﴿ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ﴾

في سنة ثمان وثلاثين خرجت جموع من الترك من ناحية خراسان في اربعين الفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطبسين واجتمع له اهل بادغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان ومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها واقبل معه ابن عمه عبدالله بن حازم فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا اذا خرج منها فأبى فعذل فلما اقبلت جموع الترك قال قيس لابن خازم ما ترى قال ارى ان تخرج من البلاد فان عهدا بن عامر عندي بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان يخرج الى ابن عامر يستمده فلما خرج اشهر عهد بن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في اربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة او قطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النار في اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم واكثروا القتل في المشركين وقتل ملكهم قارن فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا واصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن حازم بالفتح الى ابن عامر فرضي واقره على خراسان

﴿ غزوة حصن المرأة ﴾

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من ارض الروم بناحية ملاطية فقتل وسبى وغنم ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن سعد بن ابي سرح افريقية الثانية حين نقض اهلها العهد

﴿ ذكر انتقاض اهل قبرس وغزوهم فى سنة ٣٣ ﴾

وفى هذه السنة نقض اهل قبرس واعانوا الروم على الغزو فى البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزا معاوية اهل قبرس وفتحها عنوة وقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم و بعث اليهم اثنى عشر الفا فبنوا المساجد و بنى مدينة وفى تاريخ جنابى ان فى سنة خمس وثلاثين ركب البحر امير مصر عبدالله بن ابى سرح من الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم فى الف مركب وكان المسلمون فى مائة مركب فالتقوا باسكلة فكمه مغرب انطاكية فرأى ملك الروم رؤ ياعبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التى رآها فجمعت وخرج منها حروف ترجمتها لاتطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقاتلهم ففتح الله النصر للمسلمين وولى الكفار هاربين فمنهم من غرق فى البحر ومنهم من أخذه السيف ومنهم من اسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة رودس وشنوا عليها الغارة وفتحوها فى اسرع زمان وضربوا على من فيها الجزية واعطوهم الامان

﴿ ذكر فتح رودس فى سنة ٣٥ ﴾

وفى تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان فى سنة ثلاث وخمسين فى خلافة معاوية فتحها جنادة بن ابى امية الازدى وسيأتى ذكر ذلك ولعله فتح ثان بعد هذا الفتح انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عثمان رضى الله عنه ثم وقع الاختلاف بين المسلمين فى شان الامراء الى ان قتل عثمان رضى الله عنه شهيدا وقصته مشهورة لاحاجة لنا الى ذكرها وكان استشهاده لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل قتل ايام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين وقيل تسعين ثم بويع على رضى الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى قتلة عثمان وكانوا مجتهدين فى طلب الحق فمنهم من اصاب ومنهم من اخطأ فالمصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد فيجب الامساك عما جرى بينهم وتأويله باحسن التأويل وحمله على احسن المحامل واستمر الحال الى ان استشهد على رضى الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ثم بويع ابنه الحسن رضى الله عنه واستمر ستة اشهر ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية رضى الله عنه سنة احدى واربعين فى ربيع الاول وقيل الآخر وفى هذه السنة استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبة بن نافع بن عبد قيس على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فاطاعوا ثم كفروا ففزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح فى سنة اثنين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح فى سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهى من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذى اختط القيروان سنة خمسين وفى سنة اثنتين

واربعين ايضا غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفى سنة ثلاث واربعين غزا بسر بن ابى ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية وفيها اعاد معاوية عبدالله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان وسجستان فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد ابن الحصين الحبطى فكان يغزو البلد فدكفراهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها اشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى اصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب اهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه اهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فطعربهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهى غزنة واعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على ثغر السند عبدالله بن سوار العبدى فغزا القيقان فاصاب مغنما ثم غزاهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما لم يوقد احد فى عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ماهذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الحبيص فامر ان يطعم الناس الحبيص ثلاثة ايام

﴿ ذكر غزوه السند ﴾

وفى سنة اربع واربعين دخل المسلمون مع عبدالرحمن بن حالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن ابى ارطاة فى البحر وغزا المهلب بن ابى صفرة ثغر السند فاتى بسة والاهواز بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا وفى سنة ست واربعين غزا الروم مالك بن عبدالله وشتى فى ارض الروم وقيل بل كان عبدالرحمن بن حالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفى سنة سبع واربعين كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم غازيا ومشتى عبدالرحمن القينى بانطاكية وفيها سار الحكم بن عمرو الغفارى وكان على خراسان الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا فاخذهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب منها مغانم كثيرة وسبايا وكان المهلب بن ابى صفرة مع الحكم بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك ففتحوا واخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى اسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا المضيق اولاقتلنك فقال له اوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم يستجمعون فيه و يخلون ماسواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وفى سنة ثمان واربعين كان على غزو المسلمين الروم فى الشتاء عبدالرحمن القينى وفى الصيف عبدالله بن قيس الفزارى وغزا مالك بن هبيرة السكونى البحر وغزا عقبة بن عامر الجهنى باهل مصر البحر بن وغزا يزيد بن شجرة الرهاوى باهل الشام فى البحر

﴿ ذكر غزوة القسطنطينية ﴾

فى سنة تسع واربعين وقيل ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزو وجعل

عليهم سفيان بن عوف الازدى وكان فى الجيش عبدالله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصارى و يزيد بن معاوية فاوغلوا فى بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل المسلمون والروم قتالا شديدا واستشهد ابو ايوب رضى الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفى سنة خمسين اغزا معاوية بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدى ارض الروم واغزا فضالة ابن عبيدالله الانصارى فى البحر وفى هذه السنة استعمل معاوية عقبة بن نافع الفهرى على افريقية وكان مقيما ببرقه وزويلة منذ فتحها ايام عمر وبن العاص وله فى تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف فى اهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير اطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من اسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القيروان وكانت اجمة مشتبكة بهاشئ كثير من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل ورأى ذلك كثير من قبائل البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم حتى كان دورها ثلاثمائة آلاف باع وستمائة باع وكان فى اثناء عمارة المدينة المذكورة يغزو و يرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها وفى سنة احدى وخمسين كان على غزو المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفى الصيف بسر بن ابى ارطاه وفى السنة المذكورة غزا بلخ الربيع بن زياد والحارث وكان على خراسان ففتحها صلحا وكانت قد نقضت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع ايضا قهستان عنوة وقتل من ناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته وفى سنة ثنتين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف وبسر بن ابى ارطاه فى الشتاء وفى الصيف محمد بن عبدالله الثقفى وفى سنة ثلاث وخمسين كان على الجيش فى الشتاء عبدالرحمن ابن ام الحكم الثقفى بالروم وفى هذه السنة فتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن ابى امية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا اشد شئ على الروم يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفى معاوية اقفلهم ابنه يزيد واخذ الجزية والخراج من اهلها وفى سنة اربع وخمسين كان على جيش المسلمين فى غزوهم الروم محمد بن مالك شتاء ومعن بن يزيد السلمى صيفا وفى هذه السنة فتح المسلمون جزيرة ارواد قريب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن ابى امية وفى هذه السنة ايضا استعمل معاوية على خراسان عبيدالله بن زياد فسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارى على الابل فى جيش وفتح رامنى ونسف و بيكند وهى من بخارى وغنم غنائم كثيرة ولما لقى الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فحملوها عن لبس خفيها فلبست احدهما وبقى الآخر

فاخذه المسلمون فقوم بمائتى الف درهم وفى سنة خمس وخمسين كان على جيش المسلمين فى الغزو شتاء عمرو بن محرز وقيل عبدالله بن قيس الفزارى وفى سنة ست وخمسين كان على جيش المسلمين فى غزو الروم جنادة بن ابى امية وغزا فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحارث وفى هذه السنة استعمل معاوية على خراج خراسان وحربها سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما قدم خراسان قطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا وفى سنة سبع وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم عبدالله بن قيس شتاء وفى سنة ثمان وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم مالك بن عبدالله الخثعمى وفى البحر عمرو بن يزيد الجهنى وقيل جنادة بن ابى امية وفى سنة تسع وخمسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهنى بارض الروم فى البر وفى البحر جنادة بن ابى امية وقيل لم يكن فى البحر غزوة هذه السنة وفى هذه السنة غزا المسلمون حصن كمخ من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمى فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون فكان الفتح بعمير وبذلك كان يفتخر وفى سنة ستين كانت غزوة لمالك بن عبيدالله فى سورية وفى السنة المذكورة توفى معاوية رضى الله عنه وفى سنة احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم خراسان وعبر نهر جيحون وكان معه المهلب بن ابى صفرة وكان يحاربى خوارزم مدينة يجتمع فيها كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون امراءهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فالح المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه فى ستة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا انفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين الف الف وكان فى صلحهم ان يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما اخذ منهم خمسين الف الف وغزا سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل سلم اخاه يزيد على سجستان فغدر اهل كابل فنكثوا واسروا اباعبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد فى جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة ابن عبدالله الخزاعى وهو طلحة الطلحات ففدى اباعبيدة بن زياد بخمسماية الف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان وفيه يقول القائل رحم الله اعظما دفنوها بسجستان ان طلحة الطلحات

﴿ ذكر غزو عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افريقية ﴾

فى سنة ثنتين وستين ترك بالقيروان عقبة بن نافع جندا مع الذرارى والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوى واحضر اولاده فقال انى قد بعت نفسى من الله عزوجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار فى عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة

دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر واخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه بليان فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الاقصى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه فى جمع كثير ففتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير واشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احساكثيرة وشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام امر اصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا نقمة منه بما نال من الله وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها فى نفر يسير فلما رأه الروم فى قلة طمعوا فيه واغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم ارسل الروم الى كسيلة بن كرم البربرى ليسرع لقتال عقبة فبادر الى ذلك وكان كسيلة المذكور قد اسلم فى مدة امارة ابى المهاجر افريقية قبل عقبة وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وصحب ابا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وأمره بأكرامه فلم يقبل عقبة واستخف بكسيلة واتى عقبة مرة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفونني المؤنة فشتمه وأمره بسلخها فقبح ابو المهاجر ذلك عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فأنى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة ارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة وقد اضمر الغدر واعلم الروم بذلك واطمعهم فلما راسلوه اظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما كثر جمعه قاتل عقبة فهزمه فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس الانصارى فى نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوى على القتال وكان خليفة عقبة بالقيروان فخالفه جيش الصنعانى وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جمع من اهل افريقية وقصد افريقية وبها اصحاب الانفال والذرارى من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فأمنهم ودخل

القيروان

القيروان واستولى على افريقية واقام بها وحصلت الفتنة بين عبد الملك بن مروان وعبدالله بن الزبير فلما قوى امر عبدالملك انفذ الجيوش الى افريقية وكتب الى زهير بن قيس البلوى بولاية افريقية فسار سنة تسع وستين الى افريقية بالجيوش فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رأيت ان ارحل الى تمش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا تمش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك ورحل الى تمش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى ارتاح واستراح ثم رحل في طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى ابس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك اكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بتمش وتبع المسلمون الروم والبربر فقتلوا من ادركوا منهم فأكثروا وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا عظيما فأبى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو اوذى شوكة ورحل في جمع كثير يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع فباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان مشغولا بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا ثم سيرهم الى افريقية واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني ولم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها اعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وارسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فامرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه اهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها

وتحصن البربر بمدينه بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت فى اصحابه فأقام بها حتى صحوا فلما صلح الناس قال حسان دلونى على اعظم من بقى من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهى بجبل اوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعد عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغايه ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر منهم كثير وانهزم حسان ثم انها اطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسى وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا فسار حسان حتى فارق افريقية واقام وكتب الى عبد الملك بالمقام الى ان يأتيه امره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة فى اهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب ليتعلم منه الأمور فكتب اليه خالد جوابه فى رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة فى خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب اولا واودعه قربوس السرج فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعى ولا ارى الا ان اخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك فسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يخصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى قمصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوه وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وحالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لأنفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشى الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان واقام لا ينازعه احد الى ان توفى عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولى ابنه الوليد ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير سنة تسع وثمانين وسيأتى الكلام على غزواته

* *
*

﴿ ذكر صلح عبد الملك بن مروان لملك الروم ﴾

كانت الصوائف تعطلت من الشأم منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين والصوائف الجيوش التى كانت تجهز فى أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار واستمر ذلك من صدر الاسلام الى اواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك احتمت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفى سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية ارمينية فى ستين الفا وكان على ارمينية محمد بن مروان من قبل اخيه عبد الملك فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وفى سنة اربع وسبعين استعمل عبد الملك على خراسان امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فلما وصل امية الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست ارسل رتبيل يطلب الصلح و بذل الف الف و بعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لى هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غزا ٣ فحلى له رتبيل البلاد حتى اوغل فيها واخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب ان يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة الف درهم صلحا و يكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت اميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل ذلك و بلغ ذلك عبد الملك فعزله

وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت الروم خرجت من قبل مرعش وكذا فى السنة التى بعدها وفى سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن سعد التميمى من قبل الحجاج فغزا وفتح اماكن من قنداييل وفى سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفى سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك وفى سنة ثمان وسبعين ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن ابى بكرة يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده و يهدم قلاعه و يقيد رجاله فسار عبيد الله فى اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانى كان من اصحاب على رضى الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا فى بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط فى ايدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتنى اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيد الله بن ابى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا اهل الاسلام من اراد منكم الشهادة فالى فاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس و اهل الحفاظ

فقاتلوا حتى اصيبوا الا قليلا وقاتل شريح حتى قتل في اناس من اصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل وفي هذه السنة اصاب اهل الروم اهل انطاكية وظفروا بهم وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبدالملك امية بن عبدالله عن خراسان وضمها لاعمال الحجاج فولى على خراسان المهلب بن ابي صفرة

﴿ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر حين كان واليا على خراسان ﴾

في سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه الى غزو الختل وكان اسم ملكهم الشبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن المهلب فنزل يزيد ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل واخذه فقتله فحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا في اربعين الفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب في اربعة آلاف فقتلهم واحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى ابيه واقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب اهل كش على فدية يأخذها منهم واتاه كتاب ابن الاشعث يخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج واقام بكش

﴿ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابي بكرة بلاد رتبيل ثم استأذن الحجاج عبد الملك في تسيير الجنود لحرب رتبيل فاذن له عبدالملك فاخذ الحجاج في تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد في ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفي الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث بأمر من عبدالملك وكان الحجاج يبغض عبدالرحمن المذكور فسيره على ذلك الجيش طاعة لامر عبدالملك فساروا بهم حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه فسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل ارضا ارضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبدالرحمن يحوي ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من ارض عظيمة وملأ الناس ايديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول في ارض رتبيل وقال نكتفي بما اصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفي العام المقبل نأخذ ماوراءها ان شاء الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل فلما اتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما

واحببت ان تكف عن ذلك العدو وتسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر نحو ذلك وفيه امابعد فرمن قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب كتابا ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك به والا فأخوك اسحاق بن محمد امير الناس فدعا عبدالرحمن الناس وقال لهم ايها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل مايحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأى فيما بينى وبين عدوى بمارضيه ذوو احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى ارض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضى اذ مضيتم وآبى اذ ابيتم فشار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولانسمع له ولانطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن وائلة الكنانى وله صحبة رضى الله عنه فقال بعد حمد الله امابعد فان الحجاج يرى بكم مارأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك وان الحجاج مايبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغتنى اللهوب واللصوب ٣ فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لايبالى عنتهم ولايبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبدالرحمن فانى اشهدكم انى اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبدالمؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجركم تجمير فرعون الجنود (التجمير حبس الجيش فى ارض العدو من غير رجوع) فانه بلغنى انه اول من جر البعوث ولن تعاينوا الا أحبة او بيوت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبدالرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من ارض العراق وعلى النصرة لعبد الرحمن ولم يذكروا عبدالملك وجعل عبدالرحمن على دست عياض بن هميان الشيبانى وعلى زرنج عبدالله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلاخراج عليه ابدا مابقى وان هزم فاراد منعه رجع الى العراق وجعل عبدالرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبدالملك فقد خلعنا عبدالملك فاجتمعوا الى عبدالرحمن فكان اول الناس خلع عبدالملك تيجان بن ابجر من بنى تيم الله بن ثعلبة قام فقال ايها الناس انى خلعت اباذبان (كنية عبدالملك) كخلع قميصى فخلعه الناس الاقليلا منهم وبايعوا عبدالرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبدالملك يخبر عبدالرحمن ويسأله أن يعجل بعثه بجنود اليه ولما بلغ المهلب خبر عبدالرحمن كتب الى الحجاج من خراسان امابعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يرده شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا اولادهم ثم واقعهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه يعنى

٣ قوله اللهوب واللصوب معناهما واحد وهو التعب والضنك فى الجبل اه مؤلف

عبدالرحمن لان كلا من المهلب وعبدالرحمن من قحطان ثم بعد وقوع بعض الوقائع بين الحجاج وعبد الرحمن نظر فى كتاب المهلب فاستصوب ماقاله وقال لله دره اى صاحب حرب هو ولما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب فقال يا امير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى أتخوفه فجهز عبدالملك الجند الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبدالملك كل يوم بخبر عبدالرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار من البصرة ليلقى عبدالرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم كما كتب اليه المهلب فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبدالرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبدالرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق فاقبل عبدالرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع اهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من اهل الشام ثم دخل عبدالرحمن ومن معه الكوفة وبايعه اهلها وصار له جيش يبلغ مائة الف فيهم كثير من الصحابة وابنائهم وعلماء التابعين وغيرهم وممن بايع عبد الرحمن وكان فى جيشه سعيد بن جبير والشعبى وعبدالرحمن بن ابى ليلى وهؤلاء من كبار علماء التابعين ومن الصحابة ابو الطفيل عامر بن واثلة ووقع بينهم وبين جيوش الحجاج وقائع كثيرة فى اكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن ثم ان عبدالملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبدالملك اليه عبدالله واخاه محمد بن مروان الى الحجاج فى جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على اهل الشام وان ينزل عبدالرحمن بن الاشعث اى بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه ماداء حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار محمد بن مروان امير العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان وعبدالله بن عبدالملك فى طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزله عنهم فكتب الى عبدالملك والله لو اعطيت اهل العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك وذكر له اشياء مما فعله اهل العراق ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد يلمع فأبى عبدالملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبدالله بن عبدالملك ومحمد ابن مروان مع الحجاج خرج عبدالله بن عبدالملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد أعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم كذا فانتم تعتدون عليهم بيوم كذا فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم

اعراء اقوياء لقوم لكم هائبون وانتم لهم منتقضون فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا مابقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة والله لانقبل واعادوا خلعه ثانية وابلغوا ذلك عبدالله بن عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد امرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لايراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة ثم اعيد القتال واشتد الامر وتفصيل ذلك يطول وجملة الايام التى اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة ايام ثم وقعت الهزيمة على اصحاب عبدالرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبدالله بن عبدالملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا مع عبد الرحمن وكان لايبايع احدا الاقال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والاقتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له انت متربص اتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبدالله ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر قال اذن اقتلك قال وان قتلتنى فقتله ولم يبق أحد من اهل الشام والعراق الارجه ثم أتى بعده بآخر فقال له الحجاج أرى رجلا ماانه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعنى عن نفسى انا اكفر اهل الارض واكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن ابى وقاص فقال له ياظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وعبدالله بن عمر ثم صرت مؤذنا لابن الاشعث وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم اتى بعمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر فقال ياعبد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى انه ينفعك فرحله السلامة ثم أمر به فقتل واتى الحجاج بأسيرين فامر بقتلهما فقال احدها ان لى عندك يدا قال وماهى قال ذكر عبدالرحمن بن الاشعث يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال و ينفعنى الصدق عندك قال نعم قال منعنى البغض لك ولقومك فقال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا الصدقه وقتل الحجاج يوم الهزيمة ممن قبض عليهم عشرة آلاف ولما انهزم اصحاب عبدالرحمن بن الاشعث نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم الباهلى فهو آمن وكان قد ولى قتيبة الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما وسأل عنه فقالوا له انه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فأرسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن ابى مسلم وكان صديقا لى فاستشرته فقال اعتذر بما استطعت واشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير ماذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت ايها الامير ان الناس قد امرونى ان اعتذر بغير مايعلم الله انه الحق ويم الله لاقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة

ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت عنا فبحلمك و بعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج انت والله احب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد امنت ياشعبي كيف وجدت الناس بعدنا فقلت اصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب ٣ واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال انصرف ياشعبي فانصرفت واما سعيد ابن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان وتنقل الى اماكن كثيرة مختفيا ثم جاور بمكة فلما ولى امارة مكة خالد بن عبدالله القسري بعد موت عبدالملك ومبايعة ابنه الوليد قيل لسعيد بن جبير ان خالدا رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستحيني ما كتب الله لي فلما قدم خالد مكة كتب له الوليد بحمل اهل العراق الى الحجاج فاخذ سعيد بن جبير وارسله مع حرسيين فانطلق احدهما لحاجة و بقي الآخر فقال لسعيد اني ابرأ الى الله من دمك اني رأيت في منامي فقيل لي تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فاني لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسي تلك الرؤيا ثلاثا و يأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يعمل فقدموا به الكوفة فانزل في داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك و بنية له في حجره فلما نظرت الى القيد في رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به أقبل عليه فقال ياسعيد الم اشركك في امارتي الم افعل بك كذا الم استعملك قال بلى قال فما اخرجك علي قال انما انا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة و يصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده في شئ فقال انما كانت بيعة في عنق فغضب الحجاج واتسخ وقال ياسعيد الم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة اهلها واخذت بيعتك لامير المؤمنين عبدالملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فاخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فكسرت بيعتين وتوفى بواحدة للحائك ابن الحائك والله لاقتلنك قال اني اذن لسعيد كما سمتني امي فامر به فضربت عنقه فلما سقط رأسه هلل ثلاثا فلما قتل التمس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من انسياف ساقيه واخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتني فيقول مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير وعاش الحجاج بعده اياما ثم هلك قال الامام الشعراني في الطبقات قتله في شعبان وتوفى الحجاج في رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما وفي تاريخ ابن خلكان ان الحجاج رؤي في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة وكان عمر سعيد بن جبير سبعا واربعين سنة وقيل سبعا و خمسين قيل ان سعيد بن جبير قال اللهم لا تسلطه على احد بعدي فلم يقتل احدا بعده قال الامام احمد قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه وكان قتله سنة اربع وتسعين وقيل خمس وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة ابن الاشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الاشعث سنة احدى وثمانين وانتهاؤها سنة ثلاث وثمانين واما ابن الاشعث فانه لما انهزمت جيوشه سار الى رتبيل ملك الترك فاكرمه وآواه ثم ارسل اليه الحجاج يتوعده و يتهدده فقتله وبعث برأسه الى الحجاج وقيل بل اصابه مرض مات فقطع رأسه وارسله للحجاج فبعث به الى

عبد الملك فطيف به فى الشام ليريه الناس ثم ارسله لاخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فطيف به فى مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

﴿ فتح قالى قلا ﴾

فى سنة احدى وثمانين سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله فى جيش ففتح قالى قلا وفى هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزوين فتصايح الناس واغلقوا الابواب وقاتلوهم قتالا عظيما وظفر المسلمون بهم فلم يفلت منهم احد وفى هذه السنة كان يزيد بن المهلب فى مغازة بست فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فقاتلوهم قتالا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى أن انهزموا وفى سنة اثنين وثمانين توفى المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحجاج وفى سنة اربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس بعد حصار وقتال فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها معظما لها وفى هذه السنة غزا عبيد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وفى سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب وولى اخاه المفضل بن المهلب فعزا باذغيس وأصاب معنما فقسمه فاصاب كل رجل ثمانون ثم غزا أخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما اصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وان غنم شيأ قسمه فيهم وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها وشتى وفى سنة ست وثمانين توفى عبد الملك بن مروان وولى ابنه الوليد فابقى الحجاج وولى الحجاج خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل المفضل وافتتح قتيبة خوارزم وسمرقند وبخارا وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ مالم يبلغه المهلب ولا غيره فجهز قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودمياه الى بلده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك أخرون وشومان كان يسئ جواره ثم سار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من ملوك بخارستان فصالحه ملكها على فدية اداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو (احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهى مرو وهراة وبلخ ونيسابور) واستخلف على الجند اخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم وفى سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيزك طرخان صاحب باذغيس ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فأطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن ابى بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به او يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستصحبه ياسليم ما اظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل

اصحاء اقاليم خراسان الاربعة الاول مرو وهراة وبلخ ونيسابور

صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فأحسن حالك عنده فعقد الصلح لاهل باذغيس على ان لايدخلها قتيبة وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بواق وحصن الاحرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من الف وسبى ذريتهم ونساءهم

﴿ ذكر غزوة قتيبة بيكند ﴾

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهى ادنى مداين بخارا سار اليهم قتيبة بجيوشه فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير واخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وابطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه اهل بخارا مالا ليردعنهم قتيبة فأتاه سرا من الناس وقال له ان الحجاج قد عزل وقد اتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من ان يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر اصحابه بالجد فى القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة العلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن اخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة افدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها الف الف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذا زيادة فى الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لايروع بك مسلم ابدا فامر به فقتل واصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لايحصر ولا اصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

﴿ ذكر فتح طوانة من بلد الروم ﴾

فى سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثر واعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس فى نفر منهم ابن محيريز الجمحى فقال له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوا فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها قيل وفى هذه السنة ايضا غزا مسلمة بن عبد الملك

الروم ايضا ففتح ثلاثة حصون احدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وفتر من المستعربة نحوا من الف واخذ الاموال

﴿ ذكر غزو نومشكث ورامشة ﴾

فى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو اخاه يسار بن مسلم وامره اهلها فصالحهم ثم سار الى رامشة فصالحه اهلها و انصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد واهل فرغانة فى مائتى الف وملكهم ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم اخا قتيبة وهو على الساقة بينه و بين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه ارسل الى قتيبة يخبره وادركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فاسهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يقهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فعسكر النهر عند تمذ وابى مرو وفى سنة تسع وتمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس ادروانة ولقى من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية الزبدون

﴿ ذكر غزو قتيبة بخارا ﴾

فى هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خداه فعبر النهر من زم فلقى الصغد واهل كش ونسف فى طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السملى عن يمين وردان فلقوه فى جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خداه ملك بخارا فلم يشعر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه ان كس تكش والسف نسف ورد وردان واياك والتحويط ودعى من ميات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا سنة تسعين فاستجاش وردان خداه بالصغد والترك ومن حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد احملونا ناحية وخلوا بيننا و بين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل و بكين فكروا راجعين فانطوت جنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على دشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم احد من العرب فاتى قتيبة بنى تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمى اللواء وقال يابنى تميم اتسلمونى اليوم قالوا لا يا ابا مطرف وكان هريم ابن ابى طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع ياهريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع فى الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم و بين الترك فوقف فقال

وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظر الحمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكسفت كان هلاكها يا احمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اتردامري فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبروا دنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى حالطهم وحمل هريم في الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى احدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فأتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعى فجاء رجل من الأزد برأس فقيل له من انت فقال قريعى فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدى فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعى فظننت انه ينبغى لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وحرح حاقان وانه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

﴿ ذكر صلح قتيبة مع الصغد ﴾

لما اوقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة وطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان السبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه قتيبة الى ماطلب ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك

﴿ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ﴾

لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا يعنى قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو يأمل فرجع يريد طخارستان واسرع السير حتى اتى النوبهار قال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن عبدالله بأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة واظهر نيزك الخلع وكتب الى اصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان و الى ملك الفرياب و الى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا و يغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به و بعث اليه بقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه و بلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبدالرحمن بن مسلم فى اثنى عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سرت نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه

قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ
فى نظام واحد ثم استعمل على الطالقان اخاه عمر بن مسلم ثم سار الى الفاريات فخرج اليه
ملكها مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من اهله و بلغ ملك
الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين
فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم اتى بلخ فلقيه اهلها
فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبد الرحمن الى سعب خلم ومضى بيزك الى بغلان
وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائعه ليمنعوه ووضع مقاتلته فى قلعة حصينة من وراء
الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا
يسلكه الى بيزك الا الشعب او مفازة لا تحتملها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله
على مدخل القلعة التى من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من
وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان فى الشعب
فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى بيزك وقدم
اخاه عبد الرحمن فارتحل بيزك من منزله فقطع وادى فرغانة ووجه ثقله واموالها الى كابل
شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بازائه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بين
بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن بيزك فى الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد
وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما فى يد بيزك من الطعام
وأصابهم الجدرى وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء وبعث سليما الناصح وكان يصادق
بيزك فقال انطلق الى بيزك واحتل لتأتينى به من عبر أمان فان احتال وأبى فأمنه واعلم انى
ان عاينتك وليس هو معك صابتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخلينى فكتب اليه فقدم
عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا وبيزك فليعطفوا من وراءنا
فجعلوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة
وأخبصة اوقارا واتى بيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال بيزك فما الرأى قال أرى
أن تأتيه فانه ليس يبارح وقد عزم على ان ينتو مكانه هلك اوسلم قال بيزك كيف آتيه على غير
امان قال ما اظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكنى ارى ان لا يعلم حتى تضع
يدك فى يده فانى ارجو ان يستحى ويعفو قال انى ارى نفسى تأبى هذا وهو ان رآنى قتلنى
فقال سليم ما أتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وتعود حالك عنده فاذا
أبيت فانى منصرف وقدم سليم الطعام الذى معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب بيزك فساءه
ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم
ان يستأمنوا بك فاتت قتيبة فقال لا آمنه على نفسى ولا أتيه الا بأمان وان ظننى ان يقتلنى وان
أمننى ولكن الامان اعذر الى قال بن خلدون ولم يزل يقتل له فى الذروة والغارب وهو يمتنع
حتى قال وانه قد امنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من امثال العرب يضرب فى الخداع
والمماكرة اه ميدانى فقال سليم قد أمنك افتتهمنى قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا
يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان

صاحب شرطته وشتران ابن اخي نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التي خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظرهم كتاب الحجاج فأتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة لباس واستشارهم في قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين اني سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن اخي نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة وقيل اثني عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج واخذ الزبير مولى عباس الباهلي حقا لنيزك فيه جوهر فكان اكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة حبغويه ومن عليه وبعثه الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطي رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن مهلب واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع عنه بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

﴿ ذكر قتل ذاهر ملك السند وفتح السند ﴾

قد تقدم ذكر اول غزو المسلمين السند في سنة خمس واربعين في خلافة عثمان رضي الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدي وفي سنة اربع وخمسين غزا المهلب بن ابي صفرة ثغر السند عاملا للحكم بن عمرو الغفاري حين كان على خراسان وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن مسعر التميمي من قبل الحجاج وفي سنة تسع وثمانين تم فتح بقية السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج لان الحجاج هو بن يوسف بن الحكم فيجتمع هو والحجاج في الحكم بن ابي عقيل ولي الحجاج محمد بن القاسم المذكور واستعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم اتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يديره خمسمائة رجل وكان بالديبل بدعظيم والبد صنم في بناء عظيم وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور وكل ما يعبد فهو عندهم بدفحصر الديبل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم خرجوا اليه فناهضهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلاليم فنصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر

ملك السند عنها وانزلها محمد بن القاسم اربعة آلاف من المسلمين و بنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم ثم سار عنها فجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه اهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله داهر وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة وهم قود السند فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله ونزل داهر فقتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا فلما قتل داهر لحقت امرأة داهر مدينة راور فساروا اليها وخافته فاحرقت نفسها وجواريها وملك المدينة ولحق المنهزمون مدينة برهمنا باذا العتيقة ففتحها عنوة وقتل من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع فى بيت فلوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية ذرع يلقى اليه من كوة فى وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بالملتان تهدى اليه الاموال و يحج ٣ من البلاد و يحلقون رؤسهم ولحاهم عنده و يزعمون ان صنمه هو ايوب النبى صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر الحجاج فى النفقة على ذلك الثغر فكان ستين الف الف درهم ونظر فى الخمس الذى حمل اليه فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقسمه اربخمسا الصفو وهو ستون الف الف وادركنا نارنا ورأس داهر ولما مات الحجاج سنة خمس وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ثم أتى محمد الكبرح فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وقيل بل قتل ونزل اهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ومات الوليد بن عبد الملك وولى اخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاها يزيد بن ابى كبشة السكسكى فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق وبكا اهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذبه صالح ثم قتله وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى الخوارج ومات يزيد بن ابى كبشة بعد قدومه ارض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم وعلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه اهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم مالهم المسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشية بن داهر والملوك وسموا باسماء العرب وكان عمرو ابن مسلم الباهلى عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

﴿ ذكر غزو الهند وفتحه ﴾

لما كان عمرو بن مسلم الباهلى عاملا لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن المرى ولى السند ايام هشام بن عبد الملك فاتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشية

ابن ذاهر العبور وارسل اليه انى قد اسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى واستأمنك فاعطاه رهنا واخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادوا وكفر جيشبه وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا فى بطيحة فاخذ جيشبة اسيرا فقتله وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضى الى العراق ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله وكان ذلك سنة سبع ومائة وغزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشا وصك بها سور المدينة والكباش آلة من خشب وحديد يحرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم فلما صك السور بالكباش ثلمه فدخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبرونج وبعث جيشا الى الزين فاغاروا عليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل اربعون الف الف وحمل منها وولى الجنيد الهند تميم بن زيد القينى فضعف ووهن ثم مات وفى ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبى وقد كفر اهل الهند الا اهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد ابن القاسم الثقفى وكان يفوض اليه عظيم الامور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر امره فبنى مدينة سماها المنصورة وهى التى ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة العباسية

﴿ ذكر فتوحات موسى بن نصير بأفريقية ﴾

فى سنة تسع وعشرين استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير فوصل الى افريقية وكان البربر قد سمعوا فى البلاد وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم الف رأس وسير ابنه ايضا فى البحر الى جزيرة مبورقة فسبى بها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك وبلغ الخمس ستين الف رأس من السبى ولم يذكر احد انه سمع بسبى اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد فقيل له فى ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقى من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه احد فاستأمن البربر اليه واطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فربقلعة مجانة فتحصن اهلها منه وترك عليها من يحاصرها حتى فتحت وحينئذ لم يبق له فى افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك وفى هذه السنة اعنى تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وغزا مسلمة ايضا ارض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة وغزا العباس بن الوليد حتى بلغ ارزن

﴿ ذكر غزو قتيبة بن مسلم شومان وكس ونسف ﴾

فى سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياس والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقدما على شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة ولم يعلم قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل اخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفنى من قتيبة وانا امنع الملوك حصنا فاتاه قتيبة وقد تحصن بلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهدمه وقتل رجل فى مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر بالقلعة لايدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة وقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف فمنعهما وامتنعت عليه فاربان فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ورفع اليد رهنا كان معه ورجع الى قتيبة بخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا قتل بخارا خداه وكان علاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قال الصغد لطرخون انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير لاحاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غورك فقتل طرخون نفسه وفى هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وفيها عزل الوليد عنه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم فى سنة تنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ ذكر فتح الاندلس ﴾

فى سنة تنتين وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس فى اثنى عشر الفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فنزلوا جبل طارق ثم امدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثنى عشر الفا فلقى ملك الاندلس بعد ان جمع جيوشه فى اعمال شدونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة الف واتصلت الحرب عامة ايام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعا لهم فادرك خلقا من المنهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون له بلدا بلدا ومعقلا معقلا فتوغل فى بلاد الاندلس وفتحها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط فى التواريخ واستقامت الامور هناك وعلا الاسلام واما القتلى من الكفار من اول الفتح الى آخره فشئ كثير لايمكن احصاؤه والقتلى من المسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا واما الغنائم من الذهب والفضة والحيل والجواهر

والاثاث وبقية الاشياء شئ كثير لايمكن حصره ولاضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجند اذا وجدوها لايستطيعون حملها فيأتون بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ احدهم نصفها والاخر النصف الآخر وماوجد فى تلك الغنائم مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكى مرصعة بالجواهر ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ومن اوانى الذهب والفضة مالايحيط به وصف وماوجدوه مائدة سليمان عليه السلام قيل انها من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان وانما اصلها ان العجم فى ايام ملكهم كان اهل الثروة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنايس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصوغة من الذهب وقيل من الذهب والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم ير الراؤن مثلها وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكللة بالجواهر وحافاتها وارجلها منها وكان لها ثلاثمائة وستون رجلا وقيل وخمسة وستون فحملت الى الوليد ومعها ثلاثون الف رأس من السبى ومن الذهب والفضة والجواهر ونفائس الامتعة مالايقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح لليلتين بقيتا من رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر الفا وتوغلا فى الاندلس الى ان وصلوا الى بلاد الافرنج فنمى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين فبعث اليهم يأمرهم بالرجوع قيل انهما انتهوا الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصابوا فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالعبرى كتابة عربية قرئت فاذا فيها يابنى اسماعيل انتهيتم فارجعوا وان سألتم الى مادا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الاندلس والمغرب بين اولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض الموت ثم اتسع امر المسلمين بالاندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها النصارى شيأ فشيأ الى سنة تسعمائة واربعة فاستولوا عليها جميعها وبقى قليل من المسلمين لاناصر لهم قاموا فى بعض الجبال على النصارى ثم تقووا عليهم واخرجوهم وكان آخرهم خروجا سنة الف وعشرة واسأل الله ان يهيئ للاسلام من ينصره حتى يسترجع ماستولى عليه الكفار

﴿ ذكر غرق المسلمين الذين حصل منهم غلول فى غنائم الاندلس ﴾

لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى جزيرة سردانية وهى فى بحر الروم من اكبر الجزائر كثيرة الفواكه فدخلها المسلمون وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى المينا التى لهم وجعلوا اموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالايحد ولايوصف واكثروا الغلول

فاتفق ان رجلا اغتسل فى المينا فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة فأخذ المسلمون جميع ما فى المينا ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فى سقف الكنيسة فرماه بسهم فأخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير فخرج المسلمون جميع ما كان فى السقف واخذوه وارادوا غلولا فكان بعضهم يدخل الهرة ويرمى ما فى جوفها ويملأ جلدها دنانير ويخيط عليه ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يصنع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فعرفوا من آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على اوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى وكان على الاندلس فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم ثم منعوا وبقيت لم يغزها احد بعده فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فرواجنوة ففتحوا المدينة واوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها واحرقوا مراكب كثيرة واخربوا جنوة وغنموا مافيها وفى سنة ست واربعمائة غزاها مجاهد العامرى من الاندلس وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية ولم تعز بعد ذلك

﴿ ذكر غزو سجستان ﴾

وفى سنة ثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان واراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان ارسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله الليثى

﴿ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح حام جرد ﴾

فى سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه اخوه خرزاد على أمره وكان اصعر منه وكان اذا بلغه أن عند احد ممن هو منقطع الى الملك جارية اومالا اودابة او بنتا اواختا اوامرأة جميلة ارسل اليه واخذه منه وكان لايمتنع عليه احد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لااقوى به وهو معتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى ارضه ليسلمها له واشترط عليه ان يدفع اليه اخاه وكل من يعاديه ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع احدا من مراسلته على ذلك فاجابه قتيبة الى ماطلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزم شاه اجناده ودهاقينه وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا نقيم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزم شاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا ارى ذلك لانه قد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة ولكنى اصرفه بشئ اؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهى احصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزم شاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع

وعلى ان يعينه على حام جرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة الف رأس ثم بعث قتيبة اخاه عبد الرحمن الى حام جرد وكان احد اعداء خوارزم شاه وكان يغازى خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على ارضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزم شاه اخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع اموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

لما قبض قتيبة صلح خوارزم شاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمى فقال له سرا ان اردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل وانما بينك و بينهم عشرة ايام فقال اشار عليك بهذا احد قال لا قال فسمعه منك احد قال لا قال والله لئن تكلم به احد لاضربن عنقك فلما كان الغد امر اخاه عبد الرحمن فسار فى الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فساريومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصغد واكتم الاخبار فانى فى الاثر ففعل عبد الرحمن ما امره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذى بيننا وصنعوا ما بلغكم وانى ارجو ان تكون خوارزم والصغد كقريتة والبعير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث او اربع فحصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة وكتبوا لهم ان العرب ان ظهروا بنا أتوكم بمثل ما اتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فساروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون بجدنا فاستخفوا اهل النجدة من ابناء الملوك والمرازبة والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول بحصار سمرقند فساروا واو بلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره ستمائة فارس من الشجعان وبعث بهم اخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فمر أوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم يرقوم كانوا أشد من أولئك قال بعض اصحاب صالح انا لنقاتلهم فى الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتنى فقلت كيف ترى بأبى وامى قال اسكت فض الله فاك ثم قاتلوهم اشد القتال فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واجتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك او عظيما او بطلا كان الرجل منهم يعد بمائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين اصبحنا فلم يأت احد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمنى قتيبة واكرم نفرا من جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذى رأى منى ولما رأى اهل الصغد ذلك خافوا خوفا شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانه يناجى نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن اصبحت لأحاولن من اهلك اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا واخبر الخبر فلما اصبح

قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة السور فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالشاب فلم يبرحوا فأرسل الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة فصالحوه والرجال على الثلمة على الف الف ومائتي الف درهم في كل عام وان يعطوه في تلك السنة ثلاثين الف رأس وان يخلوا لقتيبة مدينة سمرقند فلا يكون لهم فيها مقاتل الى ان بنى فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنى المسجد دخلها قتيبة في اربعة آلاف انتخبهم من دخل المسجد وصلى فيه وخطب واكل طعاما ثم رسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجا منها ولست آخذكم الا ما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها فأكرههم على اقامة جند فيها وقيل انه شرط عليهم ايضا بيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك واتى الاصنام فكانت كالقصر العظيم واخذ ما عليها من الحلية وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك علي واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها اصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا احرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين الف مثقال واصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفتح الى الحجاج انتقل الى مرو واستعمل على سمرقند اياس بن عبد الله ثم ان اهل خوارزم استضعفوا اياسا فجمعوا له جموعا وارادوا قتاله فوجد قتيبة جموعا الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله وعزل اياسا من سمرقند وولى اخاه عبد الله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند حشى ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وملك خوارزم وصالحه الباقون على الجزية

﴿ ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة ﴾

في سنة اربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على اهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين الف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة وأتى خجندة فجمع له اهلها جموعا واقتتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة واتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي روح الحمام ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية

﴿ ذكر غزوة الشاش ﴾

في سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق الى قتيبة فغزا بهم الشاش فلما كان بشاش او بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال فضمه ذلك ورجع الى مرو وتعرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وامير المؤمنين رافعك صانع بك الذي يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن امير المؤمنين

كتبك حتى كأنى انظر الى بلائك والثغر الذى انت فيه وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وفيها فتح آخر الهند الاالكيرج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

فى سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وارسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مدائن الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبى سبيا فختم اعناقهم واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبى خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا احد الا انتشر ماعنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى وانتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن امر فان لم تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ماصنعتم قال امازينا اليوم الاول فلباسنا فى اهلنا واما اليوم الثانى فزينة اذا أممنا امرأتنا واما الثالث فزينا لعدونا قال ماأحسن مادبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام واما نحو يفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرهها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف اميرنا ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية قال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب ارضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها ثم بعث اليه بهدية واربعة غلمان من ابناء ملوكهم وشئ من تراب ارضهم واجاز

العشرة الوافدين فاحسن جائزتهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ووصل الخبر الى قتيبة فى هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

﴿ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم ﴾

كان قتيبة من عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المدائن التى كانت فتحت قبله ثم كفر اهلها وتغلبوا فقاتلهم حتى فتحها وفتح غيرها ايضا كما تقدم وفى هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين قتل وعمره سبع واربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين اراد خلع اخيه سليمان وذلك ان عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم من بعده لاخيه سليمان فاراد الوليد ان يخلع اخاه سليمان و يبايع لابنه عبد العزيز فلم يوافقه على ذلك الا الحجاج وقتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم يتمكن من خلع اخيه فبويع لاخيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة ان يعزله ويولى يزيد بن المهلب فدعى الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بنى تميم وصيرها لضرار بن حصين الضبى فلما اراد خلع سليمان لم يوافقه وكيع و تجمع معه كثير من قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذكرها فقتل فيها قتيبة وقتل معه من اهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير اسه وكان عدة من قتل مع قتيبة من اهل بيته احد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم اخو قتيبة وحمل رأس قتيبة ورؤس اهل بيته الى سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بخراسان وكيع بن حسان تسعة اشهر ولما قتل قتيبة قال رجل من اهل خراسان يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منافقا لجعلناه فى تابوت فكنا نستسقى به ونستفتح به وفى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذى فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة ارض الروم فى البحر فشتى بها

﴿ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ﴾

كان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق وبعد مقتل قتيبة بتسعة اشهر ولاه خراسان فاقام عمالا له بالعراق وتوجه الى خراسان

﴿ ذكر فتح جرجان وطبرستان ﴾

فى سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد الا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التى قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشئ الشأن هى جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فلا

تقدم عليه احد فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها في مائة الف من اهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالي والمتطوعة فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان اهلها امنا نعة من الترك وكان اهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون في كل ذلك فاذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا ودخلوا الحصن ثم الح عليهم القتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم الحصار فطلب الصلح صول دهقان قهستان على ان يؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها ففعل ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبي مالا يحصى وقتل اربعة عشر الف تركي صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى اتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف واحيانا مائتي الف واحيانا ثلاثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولي خراسان وبقي امر جرجان كذلك حتى ولي يزيد بن المهلب فاتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع في طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على ساسان وقهستان وخلف معه اربعة آلاف ثم اقبل الى أداني جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على ابزوسا راشد بن عمرو وجعله في اربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبد صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه اخاه اباعيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وابا الجهم الكلبي من وجه ومع كل منهما جيش وقال اذا اجتمعتم فابو عيينة على الناس فسار ابو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبد اهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا في سفح الجبل فانهزم المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخل المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم ابو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون في الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهبد فكانت اهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام ويعدهم ان يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم اجمعين وهم غارون في ليلة وقتل عبد الله بن المعمر ومن معه فلم ينج منهم احد وكتبوا الى الاصبهبد باخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد بن المهلب واصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطي وكان من رؤساء جنده ليسير الى الاصبهبد في عمل الصلح فاتى حيان الاصبهبد فقال له انا رجل منكم وان كان الدين فرق بيني وبينكم فانا لكم ناصح فانت احب الي من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمد وامداده منه قريبة وانما اصابوا منه طرفا ولست آمن من أن يأتيك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم اصحابه فصالحه على سبعمائة الف واربعمائة وقر زعفران اوقيمته

من

من العين واربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم او من عندنا فقال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ما سألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان

﴿ ذكر فتح جرجان الفتح الثانى ﴾

قد تقدم ذكر فتح قهستان وجرجان ثم غدر اهله باصحاب يزيد بن المهلب فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بسائل دمائهم ويأكل من ذلك الطحين فاتاها وحصر اهلها بحصن فحاة سبعة اشهر وهم يخرجون اليه فى الايام فيقاتلون ويرجعون وكانوا مسمعين فى الجبل والاوعار فبيناهم كذلك اذ ظفروا برجل يعرف الطرق فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن وطرقه ومعاقله فانتخب معه يزيد ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال يزيد للرجل متى تصلون قال غدا العصر فساروا فلما كان الغد وقت الظهر احرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ذلك فهجم خالد بن يزيد ومن معه عليهم قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه وسار يزيد بمن معه يقاتلهم من جهة اخرى فاشعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا اجمعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فاعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره قيل ان الذين قتلهم اربعون الفا فلذلك كان عمر بن عبد العزيز يسمى يزيد بن المهلب جبارا واجرى الماء على الدم وعليه أرحا ليطحن بدمائهم لبر يمينه فطحن وخبز واكل وبنى مدينة حرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى وكتب بالفتح الى سليمان واخبره انه قد حصل من الخمس ستمائة الف الف فقال له كاتبه المغيرة بن ابى قرة مولى بنى سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين امرين اما استكثره فامرك بحمله واما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شئ الا استقله فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا وبقى المال الذى سميت مخلدا فى دواوينهم فان ولى وال بعده اخذك به وان ولى من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت فهو اسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب فكان الامر كما قال كاتبه فان عمر بن عبد العزيز لما ولى بعد سليمان طالبه بذلك المال سنة تسع وتسعين وعزله وقيده وحبسه ثم هرب من السجن فى مدة مرض عمر بن عبد العزيز ثم لما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز طلب يزيد بن المهلب فجمع جموعا وقاتل يزيد بن عبد الملك بعد ان خلعه وبايع الناس لنفسه وكانت جموع يزيد بن المهلب نحو مائة الف وآخر الامر قتل هو وكثير من اخوته واهل بيته وذلك سنة اثنتين ومائة وقصة ذلك طويلة مذكورة فى التواريخ قيل ان يزيد بن المهلب اصاب فى غنائم جرجان تاجا فيه جوهر فقال لاصحابه ارون احدا يزهد فى هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدى فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لى فيه قال عزمت عليك فاخذه فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فلقى سائلا فدفعه اليه

فاخذ الرجل السائل فاتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

﴿ ذكر محاصرة القسطنطينية ﴾

وفى هذه السنة اعنى سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع اخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات ملك الروم فاتى اليون من اذر بيجان لسليمان بن عبد الملك فاخبره بموته وضمن له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع اخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها امر كل فارس ان يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها امر بالطعام فالقى امثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ واغيروا فى ارضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس و بقى الطعام فى الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الغارات والزرع و اقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لا ليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فاتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بأيديهم فامر به فاحرق فقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون و بقوا على ذلك حتى مات سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سأله ان يدخل من الطعام الى الروم بمقدار مايعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان امر مسلمة وامره واحد وانهم فى امان من السبى والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد اعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا فى تلك الخظائر الا ما لا يذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقى الجند مالم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من العسكر وحده واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز بعده بعث الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم فرجعوا سنة تسع وتسعين وفى سنة مائة واحدى توفى محمد بن مروان وتوفى عمر بن عبد العزيز فبويع ليزيد بن عبد الملك وكان فى مدته الحرب المتقدم ذكره بينه و بين يزيد بن المهلب

﴿ ذكر غزوة الترك ﴾

فى سنة اثنتين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان اخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد الملقب خذينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لينا متنعما وهو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابى العاص جده الحارث اخو مروان بن الحكم فاستضعفه الناس وسموه خذينة فطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك صول فاقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى محاصرين لمن فيه من المسلمين وفيه اهل مائة بيت من المسلمين بذراريهم وكان على سمرقند

عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خذينة فكتبوا اليه يستمدونه وحاقوا ان يبطئ عليهم المدد فصالحوا الترك على اربعين الفا واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب اربعة آلاف مع المسيب بن بشر الرياحي من سائر القبائل فقال لهم المسيب من اراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه الف وقال ذلك ايسا بعد فرسخ فرجع الف آخرون اعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله الف فلما كان على فرسخين من العدو اخبره بعض الدهاقين بأن القوم اتاهم ملك الترك وبابعد كل الدهاقين غيري وانا في ثلاثمائة مقاتل فهم معكم وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر يعني قصر الباهلي الذي فيه اهل مائة بيت فعمد المسيب الى القصر المذكور رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا في ليلة مظلمة وقد اجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه احد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا فلانا من المسلمين الذين في القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون وقد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت امامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه اني سائر الى هذا العدو المحاصرين للقصر فمن احب ان يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذي اجراه الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذي فيه الترك نسف مرتحل وكان قد اجمع على بياتهم فلما امسى امر اصحابه بالصبر ووجههم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب التي لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا اوهنوه وان كثر اهله فلما دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت يمين رجل من المسلمين فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وقتلوا كثيرا منهم وعطيا من عظمائهم فانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر لاطلاق من فيه واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا الماء ومن حمل امرأة او صبيا او رجلا ضعيفا لا يقدر على المشي حسبة فأجره على الله ومن ابى فله اربعون درهما وان كان في القصر احد من اهل عهدكم فاحملوه فأتوا القصر وحملوا من فيه واخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا في القصر احدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل ان يلي العراق فهزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة اسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة

﴿ ذكر غزوة الصغد ﴾

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وقد كانوا نقضوا العهد واعادوا الترك على

المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد اغار الترك وأغانهم اهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فنفيه الترك وطائفة من الصعد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم وقال هم جباية امير المؤمنين يعني يأخذ منهم المال ففي استئصالهم ضياع له وفي رواية قال هم بستان امير المؤمنين وقد هزمتموهم افتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا اهل العراق الخلفاء غير مرة فهل اتاكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم و بين المرج فقطعه بعض العسكر وقد اكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادي ثم تلاحق المسلمون وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه وسعوا في عزله فعزل سنة ثلاث ومائة وولى مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بني الحريش بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ينتهي الى قيس بن عيلان بن مضر وفي سنة ثلاث ومائة غزا العباس ابن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة

﴿ ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد ﴾

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس نأوا العدو وقد كبوا فحطبهم وحث الناس على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله ولما سمع اهل الصغد بقدوم الحرشي حافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد اعانوا الترك على اصحاب خديدة فاجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا واقيموا واحملوا خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتي وعمارة الارض والغزو معه ان اراد ذلك واعتذروا بما كان منكم واعطوه رهائن قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصلح على ما كان ماوا نوثق انه لا يرى امرا يكرهه فقال لهم ملكهم انا رجل منكم والذي اشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه ان يمنعهم و ينزلهم مدينته فاراد أن يفعل فقالت امه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سموا رستاقا تكونون فيه حتى افرغ لكم وأجلوني اربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام ابن عبد الله الباهلي وكان قتيبة قد خلفهم فيه فقال لهم ولانا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان اتتكم غربة قبل ان تدخلوه ليس لكم علي جوار فرضوا ففرغ لهم الشعب فجاء الخبر الى الحرشي ففراهم وعاجلهم قبل ان يدخلوا شعب عصام وخرج اهل الصغد للقتال فانهزموا وقد كانوا حفروا خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا اخطأهم الطريق واسقطهم الله في ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم فطلبوا الصلح من الحرشي على ان يردوا ما في ايديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتحلف احد منهم بخجندة ولا يغتالوا احدا فان احدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر و بلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة ممن كان في ايديهم

من المسلمين فقتل الذي قتلها فحدث منه بعض عظمائهم ان يقتله فقبض وخرج واعترض الناس ومعه جماعة منهم فقتل ناسا وتصعصع العسكر ولقواه شرا وانتهى الى ثابت بن عمر بن مسعود فقتله ثابت وقتل لصعد اسرى عندهم من المسلمين مائة وحسين رجلا فاحضر الخرشي بذلك فامر بقتلهم وعرل الانجار عنهم فقاتلهم الصعد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم اموال الصعد وذراريهم واحدثه ما لم يحدثه من الى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الخرشي سريه الى حصن يطيفه وادى الصعد فلقوه على فرسخ وقاتلوا دون الحصن فهزموا وحلوا الحصن فحصروا فيه فبطلوا الصلح على ان لا يعرض لنسائهم وذراريهم وتسلموا القلعة فقتل منهم ذلك وبعث لاساء فحص ما في القلعة فحصوه وباعوه وقسموه وسار الخرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيارة صلح كش وكان في نسف حراش منيعه فوجه اليها المسيرين بن الحريث وكان صديقا للملك بها فلما علم واخبره بصنع الخرشي بأهل خجندة وحوفه قال ما ذا ترى قال ارى ان ترسل بأمان قال واصنع من خلق بي قال نخلعهم في امانك فصالحهم فامنوه ولاده ورجع الخرشي الى لاده ومعه المل فقتله وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقعة سنة اربع ومائة وهاجل الخ عن خبر ووليها مسلم بن سعيد الاعلاق

﴿ ذكر وقعة المسلمين للاسر وسبي الحرم ﴾

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من ارمينية وعليهم سلمان بن ربيعة الباهلي فاجتمعت الخزر وهم التركمان في جمع كثير واعانهم قبجاق وغيرهم من انواع الترك ولقوا المسلمين في مكان مرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا وقتل كثير من المسلمين واحاط الخزر على عسكرهم وحموا جميع ما فيه واقبل المهزمون الى الشام وقدموا على يزيد بن عبد الملك وهم ثلاثة فوجههم يزيد على الهزيمة فقال ثابت يا امير المؤمنين ما حدثت ولا كذبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وصارت حتى انقطع سيفي غير ان الله تارك وما الى يفعل ما يريد

﴿ ذكر غزوة اخرى على الخزر ﴾

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا فولى يزيد على ارمينية الحراح بن عبد الله الحكمي وامده بجيش كثيف فسار لغزو الخزر وتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا البلنجر والابواب ونزل الحراح الى بردعة فاقام بها حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بأن بعض من معه من اهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الحراح اليه فحينئذ امر الحراح مناديه فنادى في الناس ان الامير مقيم ههنا عدة ايام فاستكروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره ان الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل امر الحراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة البلنجر والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبث السرايا للنهب والغارة على ما تجاوره فجمعوا وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا شديدا

فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل اهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة برغوا فاقام عليها ستة ايام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

﴿ ذكر فتح بلنجر ﴾

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها ويمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل اشد شئ على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب عين الشمس فلم يرجع اولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض وانحدر الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى لمعت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فاصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفا ثم ان الجراح احضر صاحب بلنجر ورد اليه امواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو اربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان الترك والتركمان تجمعوا واخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى واد ركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انه اذا استعسكر اليه وادرك يزيد اجله قبل انفاذ الجيش وكان موته فى شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبويع اخوه هشام بن عبد الملك ارسل الى الجراح واقره على عمله ووعده المدد ثم ارسله اليه فقوى امر الجراح فغزا اللان فى سنة ست وصالحه اهلها فادوا الجزية ثم ان هشاما عزل الجراح عن ارمينية سنة سبع ومائة وولاها اخاه مسلمة بن عبد الملك الى سنة احدى عشرة ثم عزل اخاه مسلمة وولاها الجراح ثانية فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضا وانصرف سالما فجمعت الخزر جموعها وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقيهم الجراح فيمن معه من اهل الشام فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل وكان قد استخلف اخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر واوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا وكان اولا من عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورناه كثير من الشعراء ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الحرشى وكان قد عزل عن خراسان فقال له بلغنى ان الجراح قد انحاز عن المشركين

قال

قال كلا ياامير المؤمنين الجراح اعرف بالله من ان ينهزم ولكنه قتل قال فما رأيك قال تبعثني على اربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم اثنين رجلا مما كتب الى امراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لايمر بمدينة الا ويستنهض اهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقيه جماعة من اصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لايلقاه احد من اصحاب الجراح الا رده معه ووصل الى حلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في اصحابه ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيأ بعد شيء الى ان وصل الى برذعة فنزلها وكان ابن حاقان يومئذ باذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي ان يلحقها فارسل بعض اصحابه الى اهل ورثان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر حتى يسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت ما أمرك به احسنا اليك واطلقناك وان لا قتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف عنكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه فقال لهم اتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر فيه هذين اليومين يصل اليكم مرادكم فصاحوا اصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها احد فارتحل يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ورحل الحرشي باجروان فاذا فارس على فرس ابيض فسلم عليه وقال له هل لك ايها الامير في الجهاد واغتنام قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على اربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق اصحابه في اربعة جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما بزغت الشمس حتى قتلوا الجميع غير رجل واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين واخذهم الى باجروان فلما دخلها اتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش الخزر ومعهم اموال المسلمين وحرم الجراح واولاده بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فما شعروا الا والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الا اليسير واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا اموالهم واخذ اولاد الجراح فاكرمهم واحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر ابن ملكهم فوبخ عساكره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا واشاروا عليه بجمع اصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع اصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشد قتال واعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحضرهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من معه الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق احد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين

و تبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما فى عساكرهم من الاموال والغنائم واطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشى فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشى فسار نحوه فى عسكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا هناك فصاح الحرشى بالناس فحملوا حملة صادقة صعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم فى النهر اكثر ممن قتل وجمع الحرشى الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وارسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره واقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل احاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك فى شتاء شديد حتى حاز البلاد فى آثارهم وفى سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسلمة الجيوش بلاد حاقان فتحت مدايى وحصون على يديه وقتل منهم واسر وسبى واحرق ودان له ما وراء جبال سخر وقتل ابن حاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه فى جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد حاز مسلمة سخر فلما بلغه خبرهم أمر اصحابه فأوقدوا النيران ثم تركت خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره حريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب فى آخر رمق فعزله هشام وولى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وسيأتى الكلام ان شاء الله على غزواته وما افتتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى اتمام الكلام على الفتوحات الحاصلة فى غير اذربيجان وارمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول كان فى سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بارض الروم فعمت سريته فى نحو الف مقاتل فأصيبوا جميعا وفى سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابى اميرا بخراسان بعد عزل الحرشى عنها فغزا الترك بما وراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون فوقف على الساقة عبيد الله بن زهير ومعه خيل بنى تميم حتى عبر الناس سالمين وغزا مسلم ايضا ثالث السنة افشين فصالح اهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وفى سنة خمس ايضا غزا مروان بن محمد الصائفة اليمى فافتتح قونية من ارض الروم وكمخ

﴿ ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابى الترك ﴾

فى سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من اصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد ابن عبد الله القسرى يخبره بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه ان حاقان قد اقبل عليه وانه فى موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل فى يوم واقبل اليهم حاقان فلقى طائفة من المسلمين واصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين ثم اطاف حاقان بالعسكر وثار الناس فى وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فسار ثمانية ايام والترك يحيطون بهم واصاب الناس عطش واحرق الناس ما ثقل من الامتعة فحرقوا ما قيمته الف الف واتوا خجنده فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك محيطون به أمر

مسلم الناس ان يخترطوا سيوفهم و يحملوا فعملوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فرحوا لهم وسروا ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية اخي خالد وهو اسد بن عبد الله القسري وفي سنه سبع ومائة ملك الحميد بن عبد الرحمن بعض لاد السند وقتل صاحبه وتقدم تفصيل ذلك

﴿ ذكر غزوة بالاندلس ﴾

في سنة سبع ومائة غزا عساكة بن شحم الكلبي عامل الاندلس لهشام بن عبد الملك بلد الفرنج في جمع كثير ونازل مدينة قرقونه وحصر اهلها فصالحوه على نصف اموالها وعلى جميع ما في المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويتحاكموا باحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه فعاد عنهم عساكر

﴿ ذكر غزوة العور ﴾

في هذه السنة غزا اسد بن عبد الله العور وهو حسان هراة فعمد اهلها الى انقالهم فصيروها في كهف لهم اليه طريق فامر اسد بانحفاد ثلاثين بابا ووضع فيها الرجال ودلاهم سلاسل فتوصلوا الى الكهف واستخرجوا ما قدروا عليه

﴿ ذكر غزوة الختل والعور ﴾

في سنة ثمان ومائة قطع اسد النهر واتاه حاقان فلم يكن بينهما قتال ورحل عائدا نهر وما من الحسار واظهر انه يريد بشتو يسرح دوابه فامر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار في ليلة مظلمة الى سرح دوابه فكبر الناس فقال مالهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادي نادان الامير يريد العور بين عصى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد واسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم يمايلي الجزيرة ففتح قنسارية وهي مدينة مشهورة وفيها ايضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها ايضا سار ابن حاقان ملك الترك الى ادربجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائي فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن حاقان فعاود الحرب ايضا فانهزم ابن حاقان وقتل من الترك خلق كثير وفي سنة تسع ومائة عزل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن ولاية العراق وعزل اسدا عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمي وله وقائع مع اهل سمرقند ستأتي وفي هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهري في البحر وغزا معاوية بن هشام ارض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية ادربجان وتقدم ذكر ذلك وفي هذه السنة ايضا غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع الى القيروان

﴿ ذكر ما جرى لاشرس بن عبد الله السلمي مع اهل سمرقند وغيرها ﴾

في سنة عشر ومائة ارسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى

الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فدعوهم لذلك فاسلموا فجاء الخبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل يلغنى انهم لم يسلموا رغبة وانما اسلموا نفورا من الجزية فانظر وا من اختتن واقام الفرائض وقرأ سورا من القرآن فارفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هانى فكتب لاشرس انهم اسلموا و بنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية على من كانت عليه ولو اسلم فاعتزلوا فى سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وامتنعوا وارادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف امرهم ثم تتبعوا وحبسوا واقيمت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم فى اعناقهم واخذت الجزية ممن اسلم فكفرت الصغد و بخارى واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل واقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فى عشرة آلاف فعبر النهر ولقى الترك واهل الصغد و بخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا فى خندقه واغار الترك على سرح المسلمين فبعث اشرس خيلا استنقذت من ايدى الترك ما اخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا امامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيكند فحصرها المسلمون فقطع اهل البلد عنهم الماء واصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى ازالوا الترك عن الماء وحمل قطن بن قتيبة فى جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها ثم حاصر خاقان مدينة كرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فاغلقوا الباب وقطعوا القنطرة التى على الخندق ليمنعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل المسلمون يلقون حطبا يابسا على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب فى ساعة واحدة وكانوا جمعوه فى سبعة ايام ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها و يحشو جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سحابة فامطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما فى الخندق والقاه فى النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فاصابت بازغرى نشابة فى سرته فمات من ليلته وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فقتلوهم وكان عند المسلمين ما ئتان من اولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل اهل كرجه كذلك حتى اقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فحير خاقان قومه فى طول المدة وعدم الفتح وقال زعمتم انها تفتح فى خمسة ايام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا امهلنا الى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطارندة فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على تلة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمى بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب اصل اذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فارحلوا انتم عنا فقالوا له ليس من ديننا ان نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فاعطاهم

الترك

الترك الامان على ان يرحل حاقان عنهم و يرحلوا هم عنها الى سمرقند او الدبوسية فرأى اهل كرجة ما هم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن ان لا يعرضوا لهم وطلبوا ان كور صول التركى يكون معهم فى جماعة تمضيهم الى الدبوسية فسلموا اليهم الرهائن واخذوا هم ايضا من المسلمين رهائن وارتحل حاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاتراك الذين مع كور صول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم و بين الدبوسية فرسخ نظر اهلها الى العرب فظنوا ان كرجة فتحت وان حاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم و حملوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقى سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كور صول ما حملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كور صول واعطاه سلاحه و ردونا واطلقه وكان مدة حصار كرجة ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا انفسهم خمسة وثلاثين يوما وفى هذه السنة ارتد اهل كردر فارسل اليهم اشرس جندا فظفروا بهم وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الروم ففتح صملة وغزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وفيها مات الحسن البصرى وعمره سبع وعشرون سنة وفيها ايضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وسبعون سنة

﴿ ذكر غزو ما وراء النهر ﴾

فى سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك اشرس بن عبد الله عن خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبد الرحمن المرى العطفانى القيسى فلما قدم خراسان سار الى ما وراء النهر وارسل الجنيد الى اشرس وهو يقاتل اهل بخارى والصغد أن امدنى بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه اشرس عامر بن مالك الحمانى فى جماعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على الثلمة وكان ممن معه واصل بن عمرو القيسى وعاصم بن عمير السمرقندى فاستداروا مع جماعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذى هناك ثم جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر حاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم وقتلوا عظيما من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد فلقيه واقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم انهزم الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه حاقان فاقتتلوا دون رزمان من بلاد سمرقند واسر الجنيد من الترك ابن اخى حاقان فبعث به الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى اتى قيسارية وغزا فى البحر عبد الله بن ابى كريم وفى سنة ثنتى عشرة ومائة كان دخول الجراح بن عبد الله الحكمى بلاد الخزر وقتله وتقدم الكلام على ذلك مستوفى

﴿ ذكر وقعة الجنيد بن عبد الرحمن المرى بالشعب ﴾

فى سنة ثنتى عشرة ومائة خرج الجنيد من مرو غازيا طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان فى ثمانية عشر الفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثى فى عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم اطق ان امنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فامر الجنيد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا يعبر النهر فى اقل من خمسين الفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم اكن الا فى بنى مرة او من طلع معى من الشام لعبرت بهم عبر الجنيد بمن كان حاضرا فنزل كش وتأهب للمسير وبلغ الترك مسيره فغوروا الآبار التى فى طريق كش فقال الجنيد اى طريق الى سمرقند اصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمى القتل بالسيف اصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان احرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فاخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى فى الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال اما ما كان بيننا من ملك فلا فبات فى اصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند اربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم وزحف اليه اهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤا من كل وجه فرتب الجنيد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الحشب يقاتلون به حتى ملأ الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينا الناس كذلك اذ اقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد اصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد موضعا للقتال اسهل من الموضع الذى نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا لهم وسجد الجنيد واشتد القتال بينهم فلما رأى الجنيد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اختر اما ان تهلك انت او سورة بن الحر قال هلاك سورة اهون على قال فاكتب له فليأتك من سمرقند فى اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيبانى ان الترك بيننا وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختلفوك فكتب الى الجنيد انى لا اقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خليد الباهلى وكان عدوه فاخرج والرم الماء ولا تفارقه فأجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا اصل فى يومين وبينى وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم

بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن اسود الحنظلي وسار في اثني عشر الفا فاصبح على رأس جبل فتلقاه حاقان حين اصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقاتلهم اشد القتال وصبروا فقال غوزك لحاقان اليوم حار فلا نقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح فواقفهم واشعل النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا ابا سليم فقال ارى ان الترك يدون الغنيمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا شرعنا الرماح وزحفنا رحفا واياهم فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا اقوى على هذا ولا فلان وفلان وعدد رجالا ولكن اجمع الخيل فاصكهم بها سلمت ام عطبت وجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك ونار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهيب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير الفين ويقال الف وكان ممن نجى عاصم بن عمير السمرقندي وانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصرا هناك فاتاهم الاسكدصاحب نسف ومعه غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريس بن عبد الله العبدي لا تثقوا بهم ولكن اذا جنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتي سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى حاقان فقال لا اجيز امان غوزك فقاتلهم الوجف بن حالد ومعه المسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة في اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له حالد بن عبيد الله سر واسرع فقال له المجشر انزل واخذ بلجام دابه فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له لو لقونا قبل نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما اصبحوا تناهضوا فجال الناس فقال الجنيد ايها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد اي عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن التعراء تفرحون بما رايتم من العبيد ان لكم منهم ليوما اروزبان اي دار ياسة ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو واقام بالصغد اربعة اشهر ولما انصرف الترك بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب اليه ان سورة عصاني امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه اصحابه فاتتني طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند واصيب سورة في بقية اصحابه فكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من اهل البصرة وعشرة آلاف من اهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين لفرس ومثلها ترسة ومثلها سيفا فرضي اي ماشئت في العطا فلا غاية لك في الفريضة بخمسة عشر الفا ولما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وارسل الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع مايقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة انفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام واصحابه فقتلوا في غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك واقام الجنيد بسمرقند وتوجه حاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور اصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها

فتأتى رينجن ثم كش ثم الى نسف فتتصل منها الى ارض زم وتقطع النهر وتنزل آمل فتأخذ عليه بالطريق واستشار عبدالله بن ابى عبدالله مولى بنى سالم واخبره بما قالوا فاشترط عليه ان لا يخالفه فيما يسير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فانى اطلب اليك خصالا قال وما هى قال لا تخدق حيثما رلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وان تطيعنى فى نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما اشاروا عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث منى عنك واما ما اشاروا من طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس من غير الطريق فتت فى اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك حاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان اخذت غير الطريق بلغ اهل بخارى ما فعلت فيستسلموا لعدوهم وان اخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندى أن تأخذ عيال من قتل مع سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى ارجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند الف درهم وفرسا فأخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن ابى عبدالله بن الشخير فى اربعمائة فارس واربع مائة راجل فشتم الناس عبدالله بن ابى عبد الله وقالوا ما اراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشعب بن عبيد الخطفى ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعلمنى الخبر وسار الجنيد وسرع سيره فقال له عطاء الدوسى انظر اضعف شيخ فى العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعته ثم سر على قدر مشيه فانا لا نقدر على سرعة المسير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس واقبل اليه حاقان كر ميذه اول يوم من رمضان واقتتلوا فاتاه عبدالله بن ابى عبدالله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمد لله ادلم يلقك هؤلاء فى جبال معطشة وعلى ظهر انما اتوك وانت محدق آخر النهار كالين وانت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان حاقان ودأبك تقيم فيطوى عليك اداءك فسار وعبدالله على الساقة ثم امره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما اصبحوا ارتحلوا فقال عبدالله اتوقع ان حاقان يصدم الساقة اليوم فندوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن احوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبدالمؤمن بن خالد رأيت عبدالله بن ابى عبدالله فى المنام بعد موته فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد ابن عبدالله فيقول زبدة من الربد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لا اخ له وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة على الجنيد فسرح معهم حوثرة بن زيد العنبرى فيمن انتدب معه وبقى الجنيد فى ولايته الى سنة ست عشرة ومائة كما سيأتى وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وفى سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبدالله البطال ارض الروم ومعه عبد الوهاب ابن بخت فانهزم الناس عن البطال فحمل عبدالوهاب وهو يقول ما رأيت فرسا اجبن منك

وسفك الله دمي ان لم اسفك دمك ثم التقى بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم فى نحر العدو فر رجل يقول واعطشاه فقال تقدم الى امامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفى هذه السنة ايضا فرق مسلمة بن عبد الملك الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى واحرق ودان له من كانوا وراء جبال للنجر وقتل بن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان فى جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة للنجر فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فاوقدوا النيران ثم ترك خيامهم وانقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء واخر الشجعان وطوى المراحل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب فى آخر رمق وقد تقدم ذكر ذلك واعيدها هنا ليرتبط الكلام بعضه

﴿ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقى امير الاندلس ﴾

وفى سنة ثلاث عشرة ايضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد افرنجه وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى على افريقية والاندلس فاستعمل عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فغزا افرنجه وتوغل فى ارضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما اصاب صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها فى الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا اما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا جعل الله للمتقين منها مخرجا يعنى فان الله قادر أن ينجينى مما تتهددنى به ثم خرج غازيا مرة ثانية ببلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

﴿ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان بعد انقضاء غزو مسلمة بن عبد الملك ﴾

فى سنة اربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان فى عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم ينعم به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا بما اذكره ولم ار من يحمله غيرى قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى امير المؤمنين ان يوجه اخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا ادناها ثم انه لما رأى كثرة جمعه اعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب واقام بعد ذلك ثلاثة اشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد اردت ان تأذن لى فى غزوة اذهب بها عنا العار وانتقم من العدو قال قد اذنت لك قال وتعدنى بمائة وعشرين الف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون الفا فاظهر انه

يريد غزو اللان وقصد بلادهم وارسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك وارسل اليه ملك الخزر من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد ثم اغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو فى اقرب الطرق فاوصل الرسول الى صاحبه الاومروان قد وافاهم فاعلمه صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشدوا ستعد فاستشار ملك الخزر اصحابه فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان اقمت الى ان تجمع جنودك لم يجتمعوا عندك الا بعد مدة فيبلغ منك ما يريد وان انت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأى ان تتأخر الى اقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد واوغل فيها واخربها وغنم وسبى وانتهى الى آخرها واقام فيها عدة ايام حتى اذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرير فاوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على الف رأس نصفين خمسمائة غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة الف مد من البر تحمل الى الباب وصالحه اهل قرمان على مائة رأس نصفين وعشرين الف مد من البر ثم دخل ارض زريكران فصالحه ملكها ثم اتى ارض حمزين فابى حمزين ان يصالحه فحاصرهم فافتتح حصنهم عنوة ثم اتى سغدان فافتتحها صلحا ووضع على طيرشانشاه عشرة آلاف مد بركل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من اداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصالح اهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر فاذعن اهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فاصاب ربض اقرن وغزا عبد الله البطال الروم والتقى هو وقسطنطين فى جمع فهزمهم البطال واسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى و بلغ قيسارية وفى سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام ارض الروم وغزا عبد الملك بن قطن عامل الاندلس ارض البشكنس فغنم وعاد وسالما وفى سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن عبد الملك ارض الروم الصائفة وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المرى عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبد الله الهلالى وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الغاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع اخاه يزيد بن عبد الملك كما تقدم فولى عاصما خراسان وكان الجنيد اصابه استسقاء فقال هشام لعاصم ان ادركته وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيد وفى هذه السنة استعمل هشام على افريقية عبيد الله بن الحبحاب الموصلى فسير جيشا الى صقلية وهى بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد اسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقى اسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفى سنة ست عشرة ايضا جهز عبد الله بن الحبحاب جيشا مع حبيب بن ابى عبيدة وسيرهم الى ارض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر احد مثله واصاب ما شاء ثم غزا البحر ثم انصرف سالما وفيها سير ايضا ابن الحبحاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا وعادوا وفى سنة سبع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى

من نحو الجزيرة وفرق سرايا في ارض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح احدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل اهلها على الصلح وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان واعاد امر خراسان لوالي العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خالد خراسان اخاه اسد بن عبد الله وهذه ولايته الثانية وسيأتي ذكر غزواته وفيها بعث عبد الله بن الحجاب حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع عاريا الى المغرب فمنع السوس الاقصى وارض السودان فلم يقاتله احد الا ظفر به واصاب من الغنائم والسبي امرا عظيما فملئ اهل المغرب منه رعبا واصاب في السبي جاريتين من بربر ليس لكل واحدة منهما غير ندي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة ومائة ايضا الى جزيرة السردانية وهي جزيرة كبيرة بحر المغرب فصحوا منها وسبوا وغنموا وعادوا وسير جيشا الى صقلية سنة اثنتين وعشرين فلم يلقه احد الا هزمه فظفر ظفرا لم يرمثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من اعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وفي سنة عان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان انا هشام بن عبد الملك ارض الروم وفي هذه السنة كانت وفاة معاوية المذكور في حياة والده واعقب اولادا منهم عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام الذي ملك الاندلس ثم اولاده بعده وفي هذه السنة غزا اسد بن عبد الله القسري والي خراسان طخارستان ثم ارض جبوية فغنم وسبى وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان ارمينية ودخل ارض ورنيس من ثلاثة ابواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وارسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية

﴿ ذكر مقتل حاقان ﴾

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا اسد بن عبد الله القسري بلاد الختل فافتتح منها قلاعا وامتلأت ايدي العسكر من السبي والشاء ولما بلغ الخبر حاقان جيش جيوشه وقصد اسدا فعبر المسلمون النهر راجعين الى بلادهم فتبعهم حاقان والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالا شديدا وهزموا حاقان ثم مضى اسد الى بلخ وشتى فيها ثم قصدهم حاقان بجيوشه الى بلخ ثم التقوا على فرسخين من الجوزجان فانهزم حاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ وغنموا مائة وخمسين الفا من الشاء ودوابا كثيرة ورجع اسد الى بلخ ثم وصل حاقان اب بلاده واخذ في الاستعداد للحرب ولاعب يوما حاقان بالنرد كور صول فعمره كور صول وتشاجرا فصك كور صول يد حاقان فكسرها فحلف حاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع جمعا ثم بيت حاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت الترك بغير بعضهم على بعض وارسل اسد مبشرا الى هشام فلما بلغ هشاما بن عبد الملك مقتل حاقان سجد شكرا لله ثم غزا اسد الختل مرة ثانية وفرق عسكره في اودية الختل فملؤا ايديهم من الغنائم والسبي وهرب اهله الى الصين وفي سنة تسع عشرة ايضا غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم وغزا مروان بن محمد

ابن مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فربيلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التى يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل خاقان فهرب منه خاقان وفى سنة عشرين توفى اسد بن عبدالله بمدينة بلخ وفيها عزل هشام بن عبدالملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفى وولى نصر بن سيار الكنانى خراسان بعد موت اسد بن عبدالله وفى هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبدالملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن مسلم العقيلى تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب ارضها وفى هذه السنة توفى مسلمة بن عبدالملك بن مروان وفى سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ ذكر غزوات نصر بن سيار الكنانى ما وراء النهر ﴾

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان فى مدة ولايته عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والحباية مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين ومائة فكانت مدة ولايته عشر سنين وكان قبل ولايته من امراء الاجناد بخراسان وولى على بعض المدائن وكان جعفر بن حنظلة الذى استخلفه اسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار الجنيد بن مجاهد مولى بنى شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما اتاه عهده بعث الى الجنيد ليأتيه فقال الجنيد لاصحابه قد ولى نصر خراسان فلما اتاه سلم عليه بالامارة فقال له من اين علمت فقال كنت تأتينى فلما بعثت الى علمت انك قد وليت ولما مات اسد بن عبدالله وبلغ خبر موته هشام بن عبدالملك استشار عبدالكريم بن سليط الحنفى وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا امير المؤمنين اما رجل خراسان حرما ونجدة فالكرمانى فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن على قال لاحاجة لى فيه وتطير قال فالمسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى قال هشام ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثى ان غفرت هنته قال ماهى قلت ليس بالعفيف قال لاحاجة لى فيه قلت منصور بن ابى الخرقاء السلمى ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالجعشم بن مزاحم السلمى عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لاخير فى الكذب قلت يحيى بن الحضين قال الم اخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة قال ماهى قلت عشيرته بخراسان قليلة قال لا ابالك تريد اكثر منى عشيرة انا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبدالكريم فاعطاه نصر لما اتاه به عشرة آلاف درهم واستعمل نصر على اعمال خراسان رجال مضر الى اربع سنين لم يستعمل احدا من غير مضر وغزا نصر فى سنة احدى وعشرين ما وراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الجديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو وخطب الناس واخبرهم انه اقام منصور بن عمر بن ابى الخرقاء على كشف المظالم وانه قد وضع الجزية عمن قد اسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فرغبوا فى الاسلام فلم تمض جمعة

حتى أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون الفا من المشركين كانت قد القيت عنهم لقول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشفر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه و بين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر الفا وكان معهم الحارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع حاقان ثم مع كورصول فعبر كورصول في اربعين رجلا فبيت العسكر في ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخارى في اهل بخارى ومعه اهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون الفا فنادى نصر أن لا يخرجن احد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدي وهو على جند سمرقند فرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب اربعة آلاف قبة ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من انت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذي امكن منك ياعدو الله قال ما ترجو من قتل شيخ وانا اعطيك اربعة آلاف بعير من ابل الترك والف برذون تقوى به جندك وتطلق سبيلي فاستشار نصر اصحابه فأشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لا ادري قال كم غروت قال اثنتين وسبعين غزوة قال اشهدت يوم العطش قال نعم قال نصر لوا عطيتني ما طلعت عليه الشمس ما افلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم الى سلبه فخذه فقال من اسرني فقال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلي واشار اليه قال هذا لا يستطيع ان يغسل استه اولا يستطيع ان يتم له بوله فكيف يأسرني اخبرني من اسرني قال اسرك عاصم بن عمير قال لست اجد الم القتل اذا كان اسرني فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول احرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم واذناب خيلهم فلما اراد نصر الرجوع احرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك اشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها الف رأس وكتب يوسف بن عمر امير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر دينه في الشاش يعني الحارث بن سريج فان اظفرك الله به و بأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر أهذا من امير المؤمنين او من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة ايام عاصم فبلغت الخليفة فحظيت بها و بلغت الدرجة الرفيعة فقلت اقول منلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فأتاهم الحارث بن سريج فنصب عليهم عرادتين بالتشديد تنية عرادة شيء اصغر من المنجنيق واغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه الى فاراب ثم تنقل الحارث في بلاد الترك الى سنة ست وعشرين ثم اصطلح مع المسلمين ورجع الى خراسان سنة سبع وعشرين فكانت مدة مفارقته للمسلمين واتصاله بالترك ثنتي عشرة سنة ورد عليه نصر ما كان اخذله ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع اهله نيزك بن صالح مولى عمرو بن

العاص ثم سار حتى نزل قباء من ارض فرغانة وكانوا احسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولى صاحب فرغانة فحاصروه فى حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكمن المسلمون لهم فخرج الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان واسروا منهم واسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سألوه الصلح فأرسل نصر سليمان ابن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزانة ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا و بينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما اعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغوروالختل وطبرستان فكيف لا اعلم قال فكيف رأيت ما اعددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يامن اقرب الناس اليه واوثقهم فى نفسه او يفنى ماجمع فيسلم رمته او يصيبه داء فيموت فكره ماقال له وأمره فأحضر كتاب الصلح فأجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذن لها وجعل يكلمها وكان مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة اشياء لا يكون ملكا وزير يبث اليه مافى نفسه ويشاوره و يثق بنصيحته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له مايشتهى وزوجة اذا دخل عليها مغتما فطر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع اتاه فأنجاه تعنى البرذون وسيف اذ قاتل لا يخشى خيانته وذخيرة اذا حلها عاش بها ابن كان من الارض ثم دخل تميم ابن نصر فى جمعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى حراسان تميم بن نصر فقالت ماله ثبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلى فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة بن مسلم فأحبته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذى ذل لكم ما ارى وهذا ابنه تقعده دونك فحقا ان تجلسه انت هذا المجلس وتجلس انت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

﴿ ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان ﴾

فى سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بنت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى اتى حصنا يقال له خيز ج فيه سرير من ذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على الف رأس كل سنة ومائة الف مد فصالحه وسار مروان فدخل ارض ارز وبطران فصالحه ملكها ثم سار فى ارض تومان فصالحه وسار حتى اتى حزين فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا فصالحه ثم اتى مروان ارض مسداره فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفى هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفى هذه السنة قتل البطال واسمه عبد الله ابو الحسين الانطاكى وقتل معه جماعة من المسلمين ببلاد الروم وكان كثير الغزو الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكى انه دخل بلادهم فى بعض غزاته هو واصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكى تسكت والا سلمتك للبطال ثم رفعته بيدها

وقالت خذه يابطال وكان قريبا منها ولم تعلم به فتناوله من يدها وكان عبد الملك بن مروان رسله مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وامره مرة على رؤساء اهل الجزيرة والشام وامر ابنه ان يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس وله قصص ووقائع كثيرة

﴿ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد ٣ ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان حاقان لما قفل فى ولاية اسد بن عبد الله تعرقت الترك فى اغارة بعضها على بعض فطمع اهل الصغد فى الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار ارسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما ارادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم فى دين لاحد من الناس ولا يؤخذ امراء المسلمين منهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال لو علمتم شوكتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما انكرتم ذلك وارسل رسولا الى هشام بن عبد الملك فى ذلك فاجابه اليه وفى سنة اربع وعشرين ومائة عزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبى وغنم وفى سنة خمس وعشرين توفى هشام بن عبد الملك ويويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر نصر بن سيار على خراسان ثم ثارت فتن بين اولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ويويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وتوفى بعد ستة اشهر ويويع اخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوما ويويع مروان بن محمد سنة سبع وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستقر مروان بن محمد خمس سنين وعشرة اشهر وثارت الفتن بينه وبين بنى العباس وقتل مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين وعمره اثنان وستون سنة وقامت الدولة العباسية وتفصيل ذلك كله طويل مذكور فى التواريخ والقصد فى هذا الكتاب ذكر الفتوحات التى فيها جهاد الكفار وفى مدة هذه الفتن انقطع الغزو والجهاد وانتشرت الفتن بين المسلمين فى كل قطر واقليم

﴿ ذكر ملك الروم ملاطية ﴾

نشأ من الفتن التى كانت بين المسلمين فى هذه السنين ان الروم طمعوا فى البلاد فاقبل قسطنطين ملك الروم الى ملاطية وكمخ فى سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة السفاح اول خلفاء بنى العباس فلما اقبل قسطنطين نازل كمخ فأرسل اهلها الى اهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منهم ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها وارسل قسطنطين الى اهل ملطيه انى لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان وتعودون الى بلاد المسلمين حتى احترب ملطيه فلم يجيبوه الى ذلك فصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما امكنهم حمله وما لم يقدروا على حمله القوه فى الآبار والمجارى وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وارسل كوشان الارمنى لحصرها فنقب اخوان من الارمن من اهل المدينة ردما كان فى سورها فدخل كوشان ومن

٣ صغد بضم الصاد وسكون الغين وضم الدال وفتحها وضم الدال وصغد بالفتح وهى بلدة بالشام اه مؤلف

معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم وفى هذه السنة كان متوليا على خراسان ابو مسلم القائم بدعوة بنى العباس فوجه اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى الى الختل فدخلها فلما انتهى الى ارض فرغانة تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش واسمه اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر ابامسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فتنفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفا واسروا نحو عشرين الفا وهرب الباقون الى الصين

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

فى سنة اربع وثلاثين غزا ابوداود خالد بن ابراهيم الذهلى اهل كش فقتل ملكها وهو سامع مطيع وقتل اصحابه وأخذ منهم من الاوانى الصينية المنقشة المذهبة مالم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين من الديباج والطرف شيأ كثيرا وحمله الى ابى مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم ورجع ابوداود الى بلخ وفى سنة خمس وثلاثين غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقليه وغنم بها وسبى بعد أن غزا ايضا تلمسان وفى سنة ست وثلاثين توفى السفاح وبويع اخوه المنصور وقتل ابامسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل ابى مسلم اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى وفى سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وعلب وقهر اهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية فبعث المنصور اخاه العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ومعه صالح بن على وعيسى بن على فى جيش فنزلوا ماكان ملك الروم اخربه من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث فوغلوا فى ارض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة وكانتا نذرتا ان زال ملك بنى امية ان تجاهدا فى سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهرانى وفى هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قاليقلا وغيرهم من الروم وباها وعمرها ورد اهليها اليها وندب اليها جندا من اهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا فيها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بالفتنة التى كانت بينه وبين بنى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابى طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة سنة اربعين مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين ملك الروم فى مائة الف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست واربعين لكن حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها فى هذه المدة كما سترى ذلك وفى سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولاية بنى العباس وقصة تملك عبد الرحمن الداخل الاندلس طويلة ملخصها انه لما قامت الدولة العباسية اخذوا يتتبعون بنى امية قتلا فهرب عبد الرحمن المذكور مختفيا ومازال يتنقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بنى امية وموالهم فاعانوه حتى

انتزع الاندلس من عمال بني العباس بعد حروب كثيرة واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس في خلافة المنصور العباسي وكان المنصور يتعجب من امره ويسميه صقر قريش واراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته في التاريخ الذي جمعته في اخبار الاندلس ملخصا من نفح الطيب وغيره ولما استقامت اموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض منجميه انه يقول لولا انا ما توصل لهذا الملك وكان منه ابعد من النجم وقال قائل آخر انما اعانه سعده لا عقله وتدبيره فحرك ذلك الى ان قال

* لا يلف ممن عنيا قائل * لولاي ما ملك الامام الداخل *
* سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل *
* ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل *
* والحزم كل الحزم ان لا يغفلوا * ابروم تدبير البرية غافل *
* و يقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حواها العاقل *
* ابني امية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل *
* ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل *

وما زال مستقرا في ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وار بعة اشهر الى ان توفي سنة ١٧٢ وعمره تسع وخمسون سنة واستقر الملك في بنيه الى اواخر القرن الرابع وسيأتي ذكر كثير من غزواته وفتوحاتهم ولنرجع الى تمام الكلام على فتوحات بني العباس ففي سنة ١٤٠ مات ابو داود خالد بن ابراهيم الذهلي عامل خراسان واقيم مقامه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ثم ظهر منه مخالفة وعصيان واراد خلع المنصور فجهز المنصور في سنة احدى وار بعين ابنه المهدي وعمره نحو خمس عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبد الجبار و بعث به الى المنصور فقتله وصارت ولاية خراسان للمهدي بن المنصور وكان كثير من اهل خراسان قد نقضوا لما تغيرت الدولة واسترجع بعض الكفار ما كان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنه المهدي ان يغزو طبرستان

﴿ ذكر غزوة طبرستان ﴾

في سنة احدى وار بعين ومائة كتب المنصور الى ابنه المهدي وهو على خراسان ان يغزو طبرستان و ينزل الري و يوجه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول ابي الخصيب سايره فقال المصمغان للاصبهبذ متى قهروك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عاملا بيلاد طبرستان فاخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها واخذ قلعة الطلق وما فيها وطالت الحرب فالح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فاكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فحصر فطلب الامان على ان يسلم القلعة

بما فيها من الذخائر وكتب المهدى الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجالا احصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم و اخذت ابنته وقصدت الجنود بلد المصمعان فظفروا به و بالحيرة ام منصور بن المهدى وفى سنة ثنتين وار بعين ومائة خلع الطاعة عبيدة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن ابى حفص العتكى عاملا على السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

﴿ ذكر نكث الاصبهبذ ﴾

فى سنة ثنتين و ار بعين ومائة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه و بين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه ابا الخصيب وحازم بن خزيمة وروح ابن حاتم فاقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال ابو الخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى و احلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك وأخبره انه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله فى حاصته والطفه وكان باب حصنهم من حجر يلتى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه دو با بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى ابى الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى انس به ثم كتب ابو الخصيب الى روح وحازم والقى الكتاب فى سهم وأعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة فى فتح الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فى الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية واخذوا اسكلا ام ابراهيم بن المهدى وكان مع الاصبهبذ سم فشربه ومات

﴿ ذكر نكث الديلم ﴾

فى سنة ثلاث وار بعين نكث الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم فساروا اليهم وقاتلوهم حتى اخضعوهم سنة اربع وار بعين وفى سنة خمس وار بعين كان ابتداء بناء مدينة بغداد وانتقل المنصور اليها سنة ست وار بعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفى سنة ست وار بعين غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانى وغزا مالك بن عبد الله الخثعمى بلاد الروم ففنم غنائم كثيرة وفى سنة سبع وار بعين اغار ستر حان الخوارزمى فى جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين خلقا ودخلوا تفليس فسير المنصور الى محاربتهم جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله فى جند كثير فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من اصحاب جبرائيل خلق كثير وفى سنة تسع وار بعين غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبه ومحمد بن الاشعث واغزا عبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس مولاه بدرا الى بلاد العدو فجاوز اليه واخذ الجزية

﴿ ذكر خروج استاذسيس ﴾

فى سنة خمسين ومائة خرج استاذسيس فى اهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان

وكان فيما قيل فى ثلاثمائة الف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مرو الروذ فخرج اليهم الاجشم المروذى فى اهل مرو الروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل فى اصحابه وهزم عدة من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذ سيس وغنم اليه القواد فسار خازم واخذ معه من انهزم وجعلهم فى آخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقه اثنان وعشرون الفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثنى عشر الفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن سلم العقيلى فيمن انتخب وتعبى للقتال وكان لواؤه مع الزبرقان فكر بهم وراوغهم فى ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع اصحابه وجعل له اربعة ابواب وجعل على كل باب الفا من اصحابه الذين انتخبوا وأتى اصحاب استاذ سيس ومعهم الفوس والرازة ٢ والزبل ليطموا الخندق فاتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن سلم فحملوا على اصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لايؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من اهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم اقبل على الباب الذى عليه خازم رجل من اصحاب استاذسيس اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر امرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من ازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن ابصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم ابى عون وعمرو بن مسلم بن قتيبة من طخارستان وبعث حازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكروا وقولوا قد جاء اهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش يشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبيناهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قد اقبلت فتنادوا بينهم جاء اهل طخارستان وحمل اصحاب خازم فكسفوهم ولقيهم اصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم واصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا فكان عدد من قتل سبعين الفا واسروا اربعة عشر الفا ونجا استاذ سيس الى جبل فى نفر يسير فحصرهم حازم وقتل الاسرى ووافاه ابو عون وعمرو بن سلم ومن معهما فنزل استاذ سيس على حكم ابى عون فحكم ان يوثق استاذ سيس وبنوه واهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وكانوا ثلاثين الفا فأمضى خازم حكمه وكسى كل رجل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقد قيل ان استاذ سيس كان قد ادعى النبوة واظهر اصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جد المأمون ابو امه مراجل وابنه غالب خال المأمون وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فقدم عليه اهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بمقدمه فأجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على وفى سنة ثنتين وخمسين ومائة استعمل المنصور على خراسان حميد بن قحطبة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفى سنة ثلاث وخمسين

٢ يعنى البناء قال فى القاموس الرازبس البناء جمعه الرازة اه مؤلف

غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا واهله نيام فسبى واسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وفى سنة اربع وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى فبلغ الفرات وفى سنة خمس وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمى وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدى الجزية وفى سنة ست وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى وفى سنة سبع وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمى فسبى وغنم وفى سنة ثمان وخمسين توفى المنصور و بويع ابنه محمد المهدى وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقى العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفى سنة تسع وخمسين غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين احد ورجعوا سالمين

﴿ ذكر فتح مدينة باربد بالهند ﴾

فى سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدى سير فى سنة تسع وخمسين جيشا فى البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعى الى بلاد الهند فى جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح وساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا اهلها ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى اهلها بالبد الذى لهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأوأ هالله عليهم وفى سنة ستين ايضا غزا ثمامة بن العباس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام وفى سنة احدى وستين غزا الصائفة ثمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم فى ثمانين الفا فانى ثمامة عمق مرعش فقتل وسبى واتى مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن على مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان و بلغ الخبر المهدى فعظم عليه وتجهز لغزو الروم كما سنذكره وفى سنة اثنتين وستين خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ اذرولیه واكثر التحريق والتخريب فى بلاد الروم ولم يفتح حصنا الا لقى جمعا ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن اسيد السلمى من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى

﴿ ذكر غزو المهدى ﴾

فى سنة ثلاث وستين تجهز المهدى لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى وعمره نحو عشرين سنة واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع عشرة سنة وسار على الموصل والجزيرة وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من تلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها مشيعا لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب و بلغ جيحان فسار هارون بالجيش حتى نازل حصن سمالوا فحصروه ثمانية وثمانين يوما ونصب

عليه المخانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ورجعوا ولما ولى المهدى من الغزاة راز بيت المقدس وفى سنة اربع وستين ومائة عزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن يزيد ابن الخطاب من درب الحدث فأتاه مجافل الطرق فى تسعين الفا فخرج عبد الكبير فى الجموع من الناس من القتال ورجع بهم فارا المهدى قافلا فسخ وبه فى سنة وفى هذه السنة رجع الاموى صاحب الاندلس بلاد الفرنج فدوخها وانهب وسبى وملأ قبضته وفتح مدينة وكذا وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد لشكونس و على حصن مبين الافرنج فاقتحمه تقدم الى ملد ونون من اصلال وحصر قلعة وقصد اهل حصونها وقلوبهم فيها فاكوها عنوة وحرقوها ثم رجعوا

﴿ ذكر غزو هرون الرشيد الروم ﴾

فى سنة خمس وستين سير المهدى ابنه هارون الرشيد لغزو الروم فى خمسة وسبعين الفا وسبعمائة وثلاثة وسبعين رجلا فأوغلوا فى بلاد الروم ولقيهم عسكر منقطا قوس العواصم فاردوه يزيد بن مزيد الشيبانى فانحجم يزيد وانهزم الروم وعاث المسلمون على عسكرهم وساروا الى الدستق وهو صاحب المسالح اى الامور فحمل لهم مائة الف دينار وثلاثة وسبعين الفا واربعمائة وخمسين دينارا من الغنمة احدى وعشرين الف الف درهم واربعة وعشرين الفا وثمانمائة درهم وسار الرشيد حتى لمع جبل القسطل طرفه وبلاد الروم وعسكر امرأة اون وذلك ان ابنها كان صغيرا فدهلك اوه وهو فى حجرها فولى الصبى ابنها وهو الرشيد على العدية وان يقيم له الاعلاء والاسواق فى الصيف والشتاء حتى مضى ثلاثة اشهر فجاءته الى ذلك ومقدار العدة سبعون الف دينار كل سنة ورجع عنها وتاب الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا جميعه الف راس سبى وثلاثة وثلاثة واربعين رأسا ومن الدواب الذلل مدونتها عشرين الف رأس وخمس مائة والغنم مائة الف رأس وقتل من الروم فى الوقائع قبل الصلح اربعة وخمسون الفا وقتل من الاسرى صبرا الفان وتسعون اسيرا وفى سنة ثلاث وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجه على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يريد الدرب فالتقوا وطعنوا وفى سنة اربع وستين ومائة توفى المهدى وبويع ابنه موسى الهادى وفيها الصائفة معيوف بن يحيى من ضرب الراهب وقد كان الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحدث فهزمهم الوالى واهان السوق ورحلها الروم فعضدهم معيوف ولما مدينة أشنه فهدم وسبى وفى سنة سبعين ومائة وفى الهادى وبويع اخوه هارون الرشيد واسمر الى سنة ثلاث وسبعين ومائة وكانت مدته لثانا وعشرين سنة وكان يحج سنة ويغزو سنة وفى سنة احدى وسبعين توفى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام صاحب الاندلس وكانت دولته بالاندلس ثلاثا وثلاثين سنة وصير الملك لاولاده بعده فقام بالامر بعده ابنه هشام وفى سنة اربعة وسبعين غزا الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمى من قبل هارون الرشيد وفى سنة خمس وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح وفيها سار هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الفرنج وقصد بلاد الوليد

فلقيه العدو فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفى السنة التى بعدها غزا عبد الملك ابن عبد الواحد فعمل مثل ذلك وكذا فى سنة سبع وسبعين فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة وكان بها حاجبه الفرنج فقتل رجالها وهدم اسوارها وابراجها واشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة وعمل مثل ذلك واوغل فى بلادهم ووطئ ارض برطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتهم وحاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا واوغل فى بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهى من اشهر مغازى المسلمين بالاندلس وفعل مثل ذلك فى السنتين اللتين بعدها وتوفى هشام صاحب الاندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالامر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد الشهيرة غزوة ارض الروم فى سنة احدى وثمانين ففتح فيها حصن الصفصاف، وفيها غزا عبد الملك بن صالح ارض الروم فمنع النقرة وافتتح معلمورة وفى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة غزا الصائفة عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح وبلغ اقسوس مدينة اصحاب الكهف

﴿ ذكر غزو الحرر ببلاد الاسلام ﴾

فى سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الحرر من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا امرا عظيما لم يسمع بمثله فولى الرشيد ارمينية ليزيد بن مزيد الشيبانى فمضى الى اذربيجان ووجه اليهم فهزمهم وفى سنة ست وثمانين ومائة ملك الامر ينع لعنهم الله مدينة رشلونة بالاندلس واخذوها من المسلمين وسبوا حماة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال المسلمين بالفتنة كانت بينهم

﴿ ذكر غزو الروم ﴾

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتى فالمراد بهم النصارى اليونان الذين كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالعردسيس وانكلترا وفى سنة سبع وثمانين ومائة دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم فاناخ على قرة وحصرها ووجه العباس ابن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد اهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحا وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها ربنى فخلعها الروم وملكت نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابى هذا فاردد ما حصل لك من اموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتعرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح

وغنم و احرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقه نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رحمة الرشيد اليه فلما جاء الخبر نغصه ماجسر احد على اخبار الرشيد خوفا على انفسهم من العود فى مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من اهل جنده فقال ابياتا منها

* بعض الذى اعطيته نقفور * فعليه دائرة السوء تدور *
* ابشر امير المؤمنين فانه * فتح اتاك به الاله كبير *
* فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور *

فلما سمع الرشيد ذلك قال اوقد فعل ذلك نقفور فرجع الى بلاد الروم فى اشد زمان واعظم كلفة حتى بلغ لادهم فاقام بها حتى شفى واشتفى و لما اراد ورجع وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة طليطلة بالاندلس فتجهز الحكم صاحب الاندلس وسير العساكر مع ابن عمه فلقى المشركين وقتلهم فمض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الباقون منهزمين وفى سنة ثمان وتسعين ومائة عزا ابراهيم بن جبرئيل الصائفة فدخل ارض الروم فجرح اليه نقفور ملك الروم واقتتلوا وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وفى سنة تسع وثمانين كان العداء بين المسلمين والروم فلم يبق أرض الروم مسلم

﴿ ذكر فتح هرقلة و قبرس و غيرهما ﴾

فى سنة تسعين عزا هارون الرشيد الروم فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة وفتح هرقلة واخربها ووجه داود بن عيسى سائرا فى ارض الروم فى سبعين الفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصمصاف ومقدونية واستعمل حميد بن معبوف على سواحل الشام ومصر فلمع قبرس وكانوا قد نقضوا العهد فهدم واحرق وسبى من اهلها سبعة عشر الفا ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن اطارقه كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبى هرقلة كان خطبها لولده فأرسلها اليه

﴿ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ﴾

فى سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جموعه لمسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فسار فلقوا الافرنج فى اطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت اموالهم واثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفى هذه السنة غزا يزيد ابن مخلد الهميرى ارض الروم فى عشرة الاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين

رجلا وسلم الباقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التي في الثغور وألزم اهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم وفي سنة اثنتين وتسعين تحركت الخزمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبي وأسر فأمره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبي وفي هذه السنة كان الفداء الثاني بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين اثنين وخمسمائة اسير وفي سنة ثلاث وتسعين توفي هارون الرشيد وبويع ابنه الامين ثم وقع الاختلاف بينه وبين اخيه المأمون الى ان قتل الامين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبويع وقدم العراق سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة اربع

﴿ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج ﴾

في سنة مائتين جهز الحكم صاحب الاندلس جيشا مع وزيره عبد الكريم بن معيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل ارضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما اهلك موضعا وصل الى غيره فاستحرح خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحي مستصرايهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فاقبل في جموع عظيمة نازاه عسكر المسلمين وبينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة ايام والمسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا اعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم واسر جماعة من ملوكهم وقادتهم وعاد الفرنج وازموا حتى ان المسلمين ليمنعون من حوارهم فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتلون كل يوم جماعات لانحطار وزاد النهر وتعذر حوازه ففعل عبد الكريم بهم وفي سنة احدى ومائتين وقع انتقاض في الديلم فسير المأمون عبد الله بن خرداذبه الى طبرستان فافتتح جبال طبرستان واسر ملك الديلم واشخصه الى المأمون وفي سنة ست ومائتين توفي الحكم صاحب الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبد الرحمن الاوسط وفي هذه السنة غزا المسلمون من افرنجة جزيرة سردانية ففتحوا واصابوا من الكفار واصيب منهم ثم عادوا وفي سنة ثمان ومائتين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى الافرنج واستعمل عليه الوزير عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا الى البلة والقلاع فنهبوا بلادا لبة واحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم اموالا جليلة القدر واستنقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفي سنة عشر ومائتين سير عبد الرحمن بن الحكم ايضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه عبيد الله المعروف بابن البلنسي فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبي والقتل والاسر ولقي جيوش الاعداء في ربيع الاول فاقتتلوا وانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن ايضا حصن القلعة من ارض العدو وورد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفي سنة ثنتي عشرة ومائتين

سير عبدالرحمن ايضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرنده وقاتل اهلها فاقام الجيش شهرين ينهبون و يقتلون و يخربون ثم رجعوا وفى هذه السنة سير زيادة الله بن ابرهيم بن الاغلب عامل المأمون على افريقية جيشا فى البحر الى جزيرة صقلية وكان الروم تغلبوا عليها فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها ثم امد الروم قسطنطين ملكهم بجيوش ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

﴿ ذكر غزوة المأمون الى الروم ﴾

فى سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم فى المحرم وانتهى الى طرسوس ودخل منها بلاد الروم فى جمادى الاولى ودخل ابنه العباس ملطية فاقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه وقيل ان اهله طلبوا الامان فأمنهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيف بن عنبسة وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع واطاع ثم رجع المأمون وفى سنة ست عشرة ومائتين سار المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل الفا وستمائة من اهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل ارض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه يدأ بنفسه فسار ولم يقرأ كتابه فلما دخل ارض الروم اباح على انطيعه فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقله فخرج اهلها على صلح ووجه احاه المعتصم وافتتح ثلاثين حصنا ومعمورة ووجه يحيى ابن اكثم من طوانة فأغار وقتل واحرق واصاب سبيا ورجع ثم سار المأمون الى كبسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق ثم الى مصر ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين فاناخ على لؤلؤة وهى اسم لحصن مائة يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدع واسر عائلة اياما ثم اطلق ثم جاء ملك الروم فاحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم وخرج اهل لؤلؤه الى عجيف بامان وارسل ملك الروم يطلب المهادنه فلم يتم ذلك وفى سنة ثمانية عشر ومائتين توفى المأمون وهو فى بلاد الروم عند نهر البدندون وحمل الى طرسوس فدفن بها وبويع اخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفى هذه السنة دخل كثير من اهل الجبال وهمذان واصفهان وماسبذان وغيرها فى دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا فى عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فاوقع بهم فى اعمال همذان وقتل منهم ستين الفا وهرب الباقون الى بلاد الروم والخرمية فرقة من المجوس يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح امه واخته و بنته ورئيسهم بابك الخرمى وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى ان اباد كثيرا منهم بالقتل والاسر

﴿ ذكر خروج الروم الى زبطرة ٢ ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام واوقع باهل زبطرة وغيرها قيل انه خرج فى مائة الف وقيل اكثر من ذلك فقتل اهل زبطرة الرجال وسبى الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل

٢ زبطرة بكسر القاف وفتح الباء وسكون الطاء المهملة بلد بين ملطية وسميساط اهـ مؤلف

بن صار فى يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فنفر الى قتالهم اهل الثغور من الشام والجزيره الامن لم يكن له دابة ولا سلاح

﴿ ذكر فتح عمورية وهى بروسة ﴾

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه و بلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى اسيرة فى ايدى الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير و بلغه ان عمورية عين النصرانية وانصرف عندهم من القسطنطينية فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث فرق فخربوا بلاد الروم وقتلوا كثيرا واحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم اجتمعوا فى عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت فى غاية الحصانة وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال فتحها المعتصم فى رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان رجلا وقف على المعتصم فقال يا امير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد لطمها علج فى وجهها فنادت وامعتصماه فقال العلج وما يقدر عليه المعتصم يجئ على ابلق يبصرك وزاد فى صرتها فقال المعتصم وفى اى جهة عمورية فعال له الرجل هكذا واشار الى جهتها فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك ايتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز اليها فى اثنى عشر الف فرس ابلق وفى هذه القلبة يقول له فى قصيدة ابو تمام حبيب الطائى

* لبيت صوتا زطيبا قد هرقت له * كاس الكرى ورضاب الخرد العرب *

فحاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له انا نرى انك ما تفتحها الا فى زمان نضج العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليله متجسسا فى العسكر يسمع ما يقول الناس فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل و بين يديه غلام اقرع قبيح الصورة يضرب نعال الخيل ويقول فى رأس المعتصم فقال له معلمه اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ما عنده تدبير له كذا وكذا يوم على هذه المدينة مع فوته ولا يفتحها لو أعطانى الامر مابات غدا الا فيها فتعجب المعتصم مما سمع وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالغلام فلما اصبح جاؤه به فقال ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك فقال الذى بلغك حق ولى ماوراء خبائك وقد فتح الله عمورية فقال قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة وجاء الى بدن من ابدان الصور وفى البدن من اوله الى آخره خط اسود من خشب عرضه ثلاثة اشبار واكثر فحمى السهام بالنار وقال للرماة من اخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج فعند ما حصلت فيه السهام المحمية قام النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو وتحامى الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجمون وفى ذلك يقول ابو تمام حبيب الطائى فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية

* السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحدين الجد واللعب *
* بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب *

الى آخر ماذكره فى القصيده فلما دخلها ومعه الرجل الذى بلغه حديث الجارية قال له سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه فسار به واخرجها من موضعها وقال لها ياجارية هل اجابك المعتصم وملكها العلج الذى لعلها والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله واحد السبى الروم واقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه واقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار الى نحو صرسوس ثم رجع الى دار ملكه

﴿ ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افريقية ﴾

قد تقدم ذكر غزوة من غزواته سنة ثنتى عشرة ومائتين ثم كانت له غزوة فى سنة ثلاث عشرة وكذا فى سنة اربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفى اكثرها كان النصر للمسلمين وتوفى زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده اخوه الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وسيرسرية سنة اربع وعشرين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين اسلم عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها حصن البلوط وقرلوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلورية ففتحها ولقى اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما وكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سار سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنموا واحرقوا وسبوا فلم يخرج اليهم احد فسارت الى حصن العبر ان وهو اربعون ميلا فغنموا جميعها وفى سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البلاد والقلاع فملكوا حصن المرات وعموا مافيه وقتلوا اهله وسبوا النساء والذرية وعادوا وسير جيشا اخر فى سنة اربع وعشرين وكان بينهم وبين المشركين حرب شديد فهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين ومائتين وفى سنة اربع وعشرين نقض كثير من اهل طبرسنان فقهر المعتصم عليهم الجليوس وقاتلهم وقتل كثيرا منهم واسر آخرين حتى رجعوا الى الطاعة وتوفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع ابنه الواثق وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى ارض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم واحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما اصبحوا ارسل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم وفى هذه السنة ايضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا وجعل عليه عبد الله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البلاد والقلاع فخرج اليه المشركون فى جمعهم وكان بينهم حرب شديد وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى وجمعت الرؤس اكداسا اى مجموعا بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق فى عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه اهل البشة ورآه ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

﴿ ذكر غزوات بافريقية ﴾

وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين غزا فى البحر بافريقية الفضل بن جعفر الهمدانى من قبل

مرسى مسينى و بث السرايا ففنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه اهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بها مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على اخذها فمضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة و اهل البلد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى اهل البلد ان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح ايضا مدينة مسكان وفى سنة تسع وعشرين ومائتين خرج ابو الاغلب العباس بن الفضل فى سرية فبلغ شرة فقاتله اهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين لائة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسينى فاخبر الفضل ان اهل مسينى كاتبوا البطريق الذى بصقلية لينصرهم فاجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولى ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلانى فاذا رأيتم ذلك فى اليوم الرابع اصل اليكم فيجتمع انا واياكم على المسلمين بغتة فارسل الفضل من اوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى اهل مسينى النار اخذوا فى امرهم واعد الفضل ما ينبغى ان يستعد به وكمن الكمناء و امر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج اهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج اهل مسينى وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجر والروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد احد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا المدينة فاجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم وسلموا المدينة وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفى سنة اربع وثلاثين ومائتين صاح اهل رمنوس وسلموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون واخذوا منها ما امكن حمله وفى سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى مدينة قصريانة ففنموا وسبوا واحرقوا وقتلوا فى اهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان مقيما بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا عليهم الحارث بن بريع لقتال الافرنج فوقع القتال و اصاب الحارث ضربة فى وجهه قلعت عينه ثم اسر فجهز عبد الرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه محمدا فاوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه واطلق الحارث بن بزيغ وفى سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثيرون فى بحر الاندلس من المجوس واوقعوا بالمسلمين فى مدائن كثيرة فجهز عليهم عبد الرحمن بن الحكم جيوشا كثيرة مع قواده فقاتلوا المجوس قتالا شديدا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم فى وقائع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم فقصدوا جليقية وقتلوا واسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحصروها ورموها بالمجانيق فخاف اهلها فتركوها عما فيها

وخرجوا هاربين فغنم المسلمون منهم ما ارادوا واحرقوا البلاد ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضه سبع عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة وفى هذه السنة امر الواثق بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر للامس واحضر المسلمون من معهم من الاسرى واحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يدفعون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيستويان فى وسط النهر ويأتى كل الى اصحابه فلما وصل الاسير الى المسلمين كبروا وداسوا على الاسير الى الروم صيحوا حتى رعوا وكان النهر محاصة تعبره الاسرى وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين يعساوم من النساء والصبيان ثمانمائة نفس والملحق بالمسلمين من اهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من الفداء عرا احمد بن سعيد بن مسلم الباهلى المقدم فى امر الفداء شاتيا فاصاب الناس بلح ومطرقات من المسلمين مائتا نفس واسرتهم وغرق بالبدندون خلق كثير وجاء بطريق من الروم يبدره وقال وجوه الناس لاحمد ان عسكر ابه سبعة آلاف لا تخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم وطرق بلادهم وافعل وعسكر بالف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فعرله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعى وتوفى الواثق سنة اثنين وثلاثين وتوفى اخوه المتوكل بن المعتصم وفى سنة خمس وثلاثين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا كثيفا لقتال الافرنج فلقوا العدو وهزموا وظفروا وفى سنه ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة وقتلوا من اهلها وكثروا وسبوا جمعا كثيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا فى سنه سبع وثلاثين وتوفى الحكم سنة ثمانية وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

﴿ ذكر غزوات وفتوحات افريقية ﴾

قد تقدم ان ابتداء فتوح المسلمين لافريقية كان فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد عبد الله بن سعد بن ابى سرح سنة عشرين من الهجرة وذلك فى خلافة هارون الرشيد ولى على افريقية ابراهيم بن الاغلب التميمى سنة اربع وثمانين ومائة وتوارث هو وولده الملك بعده عمالا للخلفاء بنى العباس واستمر ذلك فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزالت دولتهم لما صار ملك افريقية للعاطميين ويقال لهم العبيديون وكانت مدة ملك بنى الاغلب مائة سنة واثنتى عشرة سنة وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوى بافريقية وصار لهم اموال كثيرة وخيل وحدود وافرة وملك ضخم ومراكب فى البحر ولهم كثير من المآثر المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم ذكر كثير منها وسيأتى غيرها واكثر فتوحات افريقية كان على ايديهم ٨ وتقدم ان اول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين وخيارهم وكان حمله القيروان سنة خمسين من الهجرة حين كان اميرا على افريقية فى خلافة معاوية رضى الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة افريقية ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وافريقية بلاد واسعة قال فى القاموس ان افريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرتضى فى شرحه على

٨ وهى ما بين برقة الى اخر اراضى الجزائر الحدود بين مجدن الاغلب بنى مارض وريفه عشرة آلاف حصن بالجزائر والكلس والتونسى الحدود والكلس بالكسر ما فى القاموس الضريح وهو بوزنه اه مؤلف

القاموس ان افريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق والاندلس منحرفة عنها الى جهة المغرب وصقلية بكسرات مشددة اللام جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى والمواشي افتتح المسلمون كثيرا من مدائنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها زمن ولاية معاوية بن حديج على افريقية فى خلافة معاوية رضى الله عنه ولم يفتحها وتتابع الغزو اليها فى زمن ولاية بنى الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتملكوا اكثر الجزيرة ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها ولم يتم فتحها الى ان انقضت ولاية بنى الاغلب سنة مائتين وست وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخلة فى ممالك ايطاليا واعلم ان المغرب يشتمل على ثلاث ممالك عظام وهى المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب الادنى القيروان وتونس وطرابلس المغرب واعمال كل منها والمغرب الاوسط تلمسان والجزائر واعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة الف ومائتين وست واربعين والمغرب الاقصى فاس ومراكش والسوس واعمال كل منها وذلك الآن بيد سلطان فاس وانما قيل لذلك المغرب الاقصى لانه ابعد عن دار الخلافة فى صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة تونس موجود مدينة عظمى تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهى مدينة رومه وكان بها كثير من ملوك الفرنج ومعهم من الفرنج امم لا تحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من الهجرة بأربعين الفا من الجند اميرهم حسان بن النعمان فى خلافة عبد الملك بن مروان فحاصرها حسان بن النعمان بمن معه من الجند الى ان افتتحها وقتل كثيرا ممن كان فيها ونجا قوم منهم فى المراكب الى جزيرة صقلية وقوم منهم الى الاندلس ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من اهل الضواحى والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقاتلهم اشد قتال وافتتحها عنوة وأمر بتخريبها واعفاء اثرها وكسر قواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها الا آثار خفية تدل على ما كان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وتمر بأنقاضها مدينة تونس بالقرب منها ومن غزوات بنى الاغلب غزوة لزيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فى سنة مائتين واثنتين جهز جيشا فى مراكب فى البحر الى مدينة سردانية وهى جزيرة كبيرة بحر المغرب كانت للروم ففتحوا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين وفى سنة سبع ومائتين سير جيشا ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير ايضا جيشا فى سنة ثنتى عشرة ففتحوا ايضا مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا فى صقلية فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن الاغلب ووعده بأنه يملكه جزيرة صقلية فسير معه جيشا فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية ثم ساروا فلقيهم جمع من الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم وغنم المسلمون اموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا الى حصار قصريانة وهى من جزيرة صقلية وبث المسلمون السرايا فى كل ناحية فغنموا شيئا كثيرا وافتتحوا عمرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقتهم الامداد من افريقية فضيقوا على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير

بغر الانا بعا ... ومن بعده ـ المغرب ثلاثة ممالك وهى المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى

من الروم مدد الجماعاتهم وذلك فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحمل المسلمون فى مراكبهم ليسيروا ويتركوا الحصار فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك احرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة ايام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا اهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن فى الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل منهم من سلم قصريانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع من عسكر المسلمين فخرج اليهم الروم وقد احتموا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا فانهزم المسلمون ايضا وقتل منهم نحو الف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيام فلما خرج المسلمون لبيات الروم لم يجدوا احدا واقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فى المسلمين ولم يفرم الباقون من المسلمين دخلوا ميناو فحصرهم الروم ودام الحصار على المسلمين حتى اكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من فى مدينة حرجنت من المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم من المسلمين ودام الحال الى ان دخلت سنة اربع عشرة ومائتين وقد اشرف المسلمون على الهلاك اذا قبل اسطول كثير من المسلمين الذين فى الاندلس خرجوا غزاة ووصل ايضا فى ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار فى البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد فى رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا اقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون الفا وماتوا كلهم وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين ثم ساروا الى مدينة قصريانة فخرج اليهم من كان فيها من الروم فاقتتلوا اشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا فى الربيع فقاتلوهم فنصر الله المسلمين ايضا ثم سار المسلمون ايضا سنة عشرين الى قصريانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى وانتصر المسلمون عليهم واسرت امرأة لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان فى معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سيروا عسكرا الى ناحية طبرمين ففنموا غنائم كثيرة ثم عدا بعض عسكر المسلمين على امير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله بن الاغلب من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار فى سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة ففنمت وعادت فعرض لهم الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فتحصنوا من الروم فى ارض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم ووقفهم الى المصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق اصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا

عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فأتاه حماة اصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون مامعهم من سلاح ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الاغلب من افريقية الى صقلية ابا الاغلب ابراهيم بن عبد الله اميرا على تلك الجيوش فوصل اليهم منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم في اسطول فغنم المسلمون مافيه من مال واسروا مافيه من رجال فضرب ابو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث اسطولا اخر الى قوصرة فطمر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل من اهل افريقية كان مسلما فتنصر فاتى بهم فضربت رقابهم وسارت سرية اخرى الى حبل النار والحصون التي في تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا واكثروا القتل ثم سير ابو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار ايضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق باتحس الاثمان وعادوا سالمين وفيها سير ابو الاغلب ايضا سرية الى قسطيلية فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وفيها ايضا جهز اسطولا فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها ايضا سير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون واصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة اخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندى فلما جاء الشتاء واظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من اهل قصريانة فتقرب ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به احد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه ودخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه وطلبوا الامان فاسوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جفلودي وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم جاء للمسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فوهن المسلمون ثم تجمعوا وضبطوا انفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية (وبلرم) بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم و(مينا و) بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو و(حرجنت) بحيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان و(قصريانة) بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء وهذه الغزوات هي التي ذكرت مجملة قبل هذا الموضع بورقة استحسنا تدارك ذكره تفصيلا لما اشتملت عليه من الفوائد ولما توفي محمد بن عبد الله امير صقلية سنة ست وثلاثين كما تقدم اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه امرهم وكتبوا بذلك الى محمد بن الاغلب امير افريقية فأرسل اليه عهدا بولايته فكان العباس يرسل السرايا وتأتيه الغنائم الى ان اتاه عهده بولايته فخرج بنفسه وارسل سرية الى قلعة ابي ثور فغنموا واسروا وعادوا فقتل الاسرى ثم توجه الى مدينة قصريانة فنهب واحرق وخرب ليخرج اليه البطريق فلم يفعل فعاد العباس وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين حرج حتى بلغ قصريانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك

الى قصر يانة لحصانتها فخرج العباس ومعه جمع عظيم فغنم وخرب واتى قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب واحرق ونزل على شبرة وحصرها خمسة اشهر فصالحه اهلها على خمسة آلاف رأس وفى سنة اثنتين واربعين سار العباس فى جيش كثيف ففتح حصونا جمة وفى سنة ثلاث واربعين سار الى قصر يانة فخرج اهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فاكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب واحرق ونزل على القصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر الف دينار فلم يقبل منهم واطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتى نفس فأجابهم الى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتى نفس وهدم الحصن

﴿ ذكر فتح قصر يانة ﴾

فى سنة اربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصر يانة وهى المدينة التى بها دار الملك بصقلية وكان الملك وقتها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصر يانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار فى جيوش المسلمين الى مدينة قصر يانة وسرقوسة وسير جيشا فى البحر فلقيهم اربعون شلندى للروم فاقتتلوا اشد قتال فانهزم الروم واخذ المسلمون منهم عشر شلنديات برجالها وجاء العباس الى مدينة قصر يانة فكان الشتاء سير سرية فبلغت قصر يانة فنهبوا وخربوا وعادوا وكان معهم اسير من الروم له عند الروم قدر ومنزلة فامر العباس بقتله فقال اسبقنى ولك عندى نصيحة قال وماهى قال املكك قصر يانة والطريق فى ذلك أن القوم فى هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معى طائفة من عسكرك حتى ادخلكم المدينة فانتخب العباس الفى فارس انجادا ابطالا وسار الى ان قاربها ولكن هناك مستترا وسير عمه رباحا فى شجعانهم فساروا مستخفين فى الليل والرومى معهم مقيدين يدى رباح فأراهم الموضع الذى ينبغى ان يملك منه فنصبوا السلالم وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف فى الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس فى باقى العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها فى الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة واخذوا ماوجدوا من بنات البطارقة ثحليهن وابناء الملوك واصابوا فيها مايعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك ارسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينية فى ثلاثمائة شلندى وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقى الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا فى مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندى وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفى سنة ست واربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التى نكثت فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم قتال

شديد فهزمهم وعاد الى قصريانة فحصنها وشحنها بالعساكر وفى سنة سبع واربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة ففتح وسار الى غيران فرقنة فاعتل ومات بعد ثلاثة ايام فنبشه الروم واحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وادام الجهاد شتاء وصيفا وغزا ارض قلورية وانكبردة واسكنها المسلمين

﴿ ذكر مسير الروم الى ارض مصر ﴾

فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ احدهم فى مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فمن جازها الى الارض أمن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار الى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبي فلما حصر العيد امر الجند الذين بدمياط ان يحضروا الى مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهى فارغة من الجند فنهبوا واحرقوا وسبوا واحرقوا جامعها واخذوا ما بها من سلاح ومتاع وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس بسر بن الاكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشموم تنيس وكان عليه سور و بابان من حديد قد عمله المعتصم فهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد وغزا الصائفة فى هذه السنة على بن يحيى الارمنى وفى سنة اربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وبين الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفى سنة احدى واربعين قتلت تدورة ملكة الروم من اسرى المسلمين اثنى عشر الفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فمن تنصر تركته ومن ابى قتلته وارسلت تطلب الفداء لمن بقى منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة

﴿ ذكر اغارة البجاة على مصر و بجاوة ارض النوبة والبجاة اهل تلك الارض ﴾

فى سنة احدى واربعين اغارت البجاة على ارض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزوا بلاد الاسلام لهدنة قديمة وفى بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى اهل مصر فامتنعوا ايام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل شاور وزراءه فى امرهم فذكروا له انهم اهل بادية واهل ابل وشياه وان الوصول الى بلادهم صعب لانها مفاوز و بين ارض الاسلام و بينها مسيرة شهر فى ارض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود للمدة التى يتوهم انه يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك واخذتهم البجاة باليدوان ارضهم لا ترد على سلطان شيأ فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله النمرى محاربتهم وكتب الى عنبسة بن اسحاق عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه

من الجند مايحتاج اليه وعمل ذلك وسار محمد الى ارض البجاة وتبعه ممن يعمل في المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحوا من عشرين الفا بين فارس وراجل ووجه الى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقوره بالذخيرة وامر اصحابه ان يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجاة وسار حتى جاور المعادن التي يعمل منها الذهب وسار الى حصونهم وقلاعهم وخرج اليه ملكهم وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبي يسجد له في جيش كثير اضعاف من مع القمي وكانت البجاة على الابل فتحاربوا اياما وطاولهم البجاة لتعي ارواء المسلمين وعلوفاتهم فيأخذوهم بغير حرب فاقتلت تلك المراكب التي فيها الاقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها في اصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم دعرة تنفر من كل شيء فلما رأى القمي ذلك جمع كل جرس في عسكره وجعلها في اعناق خيله ثم حملوا على البجاة فضرب الله لهم لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلا واسرا حتى ادركهم الليل ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم طلب الامان فامنه على مملكته وبلاده فادى لهم الخراج للمدة التي كان معهم وهي اربع سنين وسار القمي الى المتوكل فخلع عليه وعلى اصحابه وفي هذه السنة اغارت الروم على عين زربة وأخذت من كان بها اسيرا من الرطة (الرط حبل من السودان صوال الاجسام) من نسائهم وذراريهم ودوابهم وفي هذه السنة ايضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى عمورية الافرنج فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البلة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا وفي سنة اثنتين واربعين خرجت الروم من ناحية سميساط حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فاغاروا واسروا نحوا من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج قوم من المتطوعة في آثارهم فلم يلحقوهم وكتب المتوكل الى علي بن يحيى الارمني ان يسير الى بلادهم نائبا فعمل وفي هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى رشلونة وحاربوا قلاعها وجاوروها الى ماوراء اعمالها وفتحوا كثيرا واقتحموا حصنا من اعمال رشلونة يسمى طراجة من آخر حصون رشلونة وفي سنة اربع واربعين بعث المتوكل بعساكره الكثيفة في العساكر الصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع وفي سنة خمس واربعين اغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا واسروا خلقا كثيرا وغزا علي بن يحيى الارمني الصائفة ومنع اهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم الف دينار على ان يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فاصعدوا البطريق اليهم ثم اعطوا الروافهم الفائتة وما ارادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم في فدائه الف مسلم كانوا مأسورين عنده وفي سنة ست واربعين ايضا غزا عمر بن عبيد الله الاقطع الصائفة فجاؤا بسبعة عشر الف رأس وغزا قرياس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم وسبا وغزا علي بن يحيى الارميني فاخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف رأس وفي هذه السنة كان العداء على يد علي بن يحيى الارميني فغودي بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين

نفسا وفى هذه السنة والتى قبلها خرج المجوس من بلاد الاندلس فى مراكب الى بلاد الاسلام فامر محمد بن عبد الرحمن صاحب البلاد باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب المجوس الى اشبيلية فخلت بالجزيرة ودخلت الى قتالهم واحرقت المسجد الجامع ثم جازت الى العدوة ثم تقدموا الى حائط افرنجة واغاروا واصابوا من النهب والسبى كثيرا ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب المجوس واخذوا مركبين آخرين فغنموا مافيها فحمى المجوس عند ذلك وجدوا فى القتال واستشهد جماعة من المسلمين ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبلونة فاصابوا صاحبها غرسية الفرنجى وافتدى نفسه منهم بتسعين الف دينار وفى هذه السنة غزا عامل طرسوسة بنبلونة فافتتح حصن بلسان وسبى اهله ثم كانت على المسلمين فى اليوم الثانى وقعة استشهد فيها جماعة وفى سنة سبع واربعين غزا محمد صاحب الاندلس فى جيوش كثيرة بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فاكثروا فتح حصونا واسر فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم اطلقه وفى هذه السنة قتل المتوكل قتله خدمه الاتراك وبويع ابنه المنتصر ومات بعد ستة اشهر وبويع المستعين بن المعتصم

﴿ ذكر فتوحات وغزوات بافريقية ﴾

لما توفى امير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع واربعين ولى الناس عليهم ابنه عبد الله وكتبوا الى الامير بافريقية بذلك واخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا متعددة وبعد خمسة اشهر وصل من افريقية خفاجة بن سفيان اميرا على صقلية وكان وصوله سنة ثمان واربعين فاكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك النواحى وشن عليهم الغارات ففتح حصونا كثيرة واخربها الى سنة خمس وخمسين وتوفى واقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست وخمسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة سنة سبع وخمسين قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فادركوهم فقتلوهم وفى سنة ثمان واربعين ومائتين سار جيش للمسلمين بالاندلس الى مدينة برشلونة وهى للافرنج فاوقعوا باهلها فراسل صاحبها ملك الافرنج يستمده فارسل اليه جيشا كثيفا وارسل المسلمون يستمدون فاتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فملكوا ارباضها وبرجين من ابراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفى سنة ثمان واربعين غزا وصيف التركى بلاد الروم ومعه اثنا عشر الفا فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية وفى سنة تسع واربعين سير محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة البة والقلاع من بلد الافرنج فجالت الخيل فى ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفى سنة تسع واربعين ايضا غزا جعفر بن ديتار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الاقطع فى المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار فى خلق كثير من اهل ملطية فلقيه الملك فى جمع عظيم من الروم بمرج الاسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم احاطت به الروم وهم خمسون الفا وقتل عمر وممن معه الفان من المسلمين فلما قتل عمر بن عبيد الله

خرج الروم الى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى اموال المسلمين وحرمهم فلم دلك على بن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميافارقين فى جماعة من اهلها ومن اهل السلسلة فنمر اليهم فقتل فى نحو من اربعمائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلى بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما اعظم غناؤهما عن المسلمين فى الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على امور المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد يطلبون ارزاقهم وثار من ذلك فتن متتابعة يطول الكلام بذكرها واستمرت الى ان خلع المستعين وبويع المعتز بن المتوكل سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قتل المستعين سنة ثنتين وخمسين وفى سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم واسر

﴿ ذكر غزوة عظيمى بالاندلس على بلاد الفرنج ﴾

فى سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فساروا وقصدوا الملاحة وكانت أموال الذريق ملك الفرنج ناحية البة والقلاع فلما علم المسلمون بلدهم بالخراب واتيهم جمع لذريق عساكره وسار يريدهم فالتقوا بموضع يقال له فحص المركوبين فاقتتلوا فانهزم الفرنج الا انهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شئ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان عدد ما اخذ من رؤس الفرنج العين واربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون بالغنائم الكثيرة وسير جيشا ايضا فى السنة التى بعدها فقصدوا البة والقلاع ومدينة مانة وقتلوا من اهلها عددا كثيرا ثم قفلوا سالمين وفى سنة ثلاث وخمسين ايضا سير جيش فافتتحوا حصون جرفيق وغلبوا على اكثرها وفى سنة خمس وخمسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبويع المهتدى بن الواثق وخلع ثم قتل سنة ست وخمسين وبويع المعتمد على الله بن المتوكل وفى سنة تسع وخمسين ومائتين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم اهلها فانهزم الروم وقتل بطريق من بطارقتهم وفى هذه السنة سارت مرية للمسلمين بافريقية الى سرقوسة فصالحهم اهلها على ان يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا ثلاثمائة وستين اسيرا فلما اطلقوهم عادوا عنهم

﴿ ذكر القتال مع صاحب الزنج ﴾

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان فى سنة خمس وخمسين ومائتين وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لانه وان كان يدعى الاسلام لكن ما فعله باهل الاسلام اشنع مما تفعله الكفار كما ستراه والكلام على قصته طويل مبسوط فى التواريخ وتلخيصها ان رجلا من بنى عبد القيس اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم كان فى سر من رأى واصله من الرى وكان متصلا بحاشية المنتصر ابن المتوكل يمدحهم بشعره ويستميحهم من عطائهم ثم انه شخص من سر من رأى سنة تسع

واربعين ومائتين الى البحرين وادعى نسبته فى العلويين فقال مرة انه على بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وقال مرة انه من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن ابى طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من اهلها ومن غيرهم وحالفه آخرون فجرى بين الطائفتين عصبية وقتال قتل فيه جماعة وكان اكثر اهل البحرين قد احلوه محل نبى وحبى الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا اصحاب السلطان بسببه فقام منهم جماعة وتكروا له فانتقل الى الاحسا وصحبه جماعة من اهل البحرين ثم تنقل فى البادية وقال اوتيت فى تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتى ظاهرة للناس منها انى لقنت سورا من القرآن جرى بها لسانى فى ساعة وحفظتها فى دفعة واحدة منها سبحان والكهف وص ومنها انى تفكرت فى الموضع الذى اقصده حيث نابت بى البلاد فاظلتنى غمامة وخوطبت منها فقيل لى اقصد البصرة الى غير ذلك من مقالاته المخترعة وفى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى انه ادعى انه ارسل الى الخلق فرد الرسالة وكان له سمير يصعد اليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية والزبير وطلحة وعائشة وفى تاريخ ابن الاثير وابن خلدون انه كان يرى رأى الخوارج وهذا يبطل انتسابه الى العلويين وكان اول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان فى مبدإ امره يدعو العلماء من الزنوج الذين يسكنون السباخ فى جهة البصرة فاجتمع له منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعتق ويرغبهم فى الاحسان فاذا جاء احد من موالى الزنوج يطلبون عبيدهم يأمر كل عبد ان اضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع موالى الزنوج من طلب عبيدهم وكان يحطب العبيد وغيرهم ممن تبعه فى كل وقت ويرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون اليه كثرة ويتابعونه ويدخلون فى امره واتخذ له راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية فكثرت جيوشه واستحكم امره وشن الغارات وبث اصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش الى الابلة فخرجوا له باربعة آلاف فهزمهم وملك الابلة ثم سار الى القادسية فملكها ونهبها فكثر عنده المال والسلاح فخرج جماعة من اهل البصرة لقتاله فهزمهم وقتل منهم واخذ سلاحهم ثم خرج طائفة أخرى فكذلك واخرى فكذلك ثم خرج له قائدان من البصرة بجيش فهزمهما وقتل منهما وكان معهما سفن القتها الريح الى الشط فغنم ما فيها وكثر شغبه وفساده وجاء ابو هلال من قواد الاتراك فى اربعة آلاف مقاتل فلقيه فهزمه وقتل كثيرا من اصحابه ثم خرج اليه ابو منصور احد موالى الهاشميين فى عسكر عظيم فهزمهم وكان من اعيان اصحابه يحيى بن محمد الازرق البحرانى وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذكر ريحان احد غلمان السورجيين وهو اول من صحبه منهم انه قال كنت موكلا بغلمان مولاى انقل لهم الدقيق فاخذنى اصحابه فساروا بى اليه وأمرونى أن اسلم عليه بالامرة ففعلت فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فاخبرته وسألنى عن اخبار البصرة فقلت لا علم لى وسألنى عن غلمان السورجيين وعن احوالهم وما يجرى لهم فاعلمته فدعانى الى ما هو عليه فاجبته فامرنى ان احتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج واقبل بهم عليه ووعدنى ان يجعلنى قائدا على من اتيته بهم فعدت اليه من الغداة وقد اتيته بجماعة من الزنج وجاء

جماعة مع غلمان الدباشيين وما زال يدعو غلمان اهل البصرة وغيرهم فيقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فحطهم ووعدهم ان يجعلهم قوادا ويملكهم الاموال وحلف لهم بالايمان ان لا يغدر بهم ولا يخدلهم ولا يدع سيأ من الاحسان اليهم ولمن اتى بهم وجاء اليه بعض موالي العبيد ودلوا به على كل عبد خمسة دنانير ليسلم كل منهم عبده فطح اولئك الموالي وامر كل من عنده من العبيد فصاروا مواليهم كل سيد خمسمائة سوط وكان اذا خطب العبيد يذكرهم ما كانوا فيه من الستا وسوء الحال وان الله تعالى اسعدهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مره رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح بملاءة من الزنج فلما كروا حمل القواد وهم به وقال لهم كل من اتى منكم برجل وهو مصموم ليه وما له فهو حيوسه تكبر من الزنج وغيرهم حتى بلغت الوفا مؤامة واعدادا لا تحصى وسار العدد على القرى والامصار واكثر القتل والنهب وجهز له الخليفة الجيوش الكثيرة المرة بعد الاخرى وهو يهزم تلك الجيوش ويقتل كثيرا منها ويسبي من القرى والامصار النساء والذرية وما زال امره هكذا اربع عشرة سنة حتى ظهروا عليه وقتلوه واضمحل امره قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب الزنج من حين تولى المعتمد على الله ابن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد سنة ست وخمسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين وقتل هو ورئيس الزنج لعنه الله قال وذكر الصولي ان الذين قتلهم من المسلمين الف الف وخمسمائة الف نسمة وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف ولما قوى امر صاحب الزنج صار الماسر لقتاله وقيادة الجيوش لقتاله الموفق طلحة بن المتوكل وهو اخو الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل وناب معه ايضا لقيادة بعض تلك الجيوش ابنه ابو العباس احمد الذي صار بعد المعتمد على الله خليفة ولقب بالمعتضد قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب سخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه ابا العباس في ربيع الآخر الى سوق الجيش وقيادته وكان رجل يقال له السعراني من اصحاب صاحب الزنج قد تخلص في جمع كثير من الزنج وفتح ابو العباس بن الموفق هذا الموضع وعدم جميع ما كان فيه ثم فتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما افسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل مازلا لصاحب الزنج حتى قتل وكانت مدة ايامه اربع عشرة سنة واربعة اشهر يقتل الصغير والكبير والذكر ولا ينثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى البصرة في وقعة واحدة من وقائعه فقتل ثلاثمائة الف من الناس وكان المهلبي من اصحاب صاحب الزنج بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ويدعو لصاحب الزنج ويلعن جماعة بني العباس وكثيرا من الصحابة فاجتمع من بقي من اهل البصرة واراد والخروج على المهلبي ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فمن ناح سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس في الدور والآبار وكانوا يطهرون في الليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها فيأكلونها والعيران والسنابر فاكلوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد اكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

تنازع وعندها اختها وقد احتوشوها ينظرون ان تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فاماتت حتى انتدرنا فقطعناها واكلناها ولقد حضرت اختها ثم جاءت وهي تبكي ومعها رأس اختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختي فاتركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فطلموني فلم يعطوني من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في اختها ومثل هذا كثير واعظم مما وصفنا ثم قال المسعودي و بلغ من امر عسكر صاحب الزنج انه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة و ينادي عليها بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلاني واكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج و يخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما كانت عند بعض الزنج وسألته ان ينقلها منه الى غيره من الزنج او يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك واولى بك من غيره ثم قال المسعودي وقد تكلم الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس مكثر ومقلل فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا الله تعالى عالم الغيب وما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد اهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة الف الف انتهى وقال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ولما قتل هذا الخبيث لعنه الله تعالى اتى برأسه على رمح ودخلوا به بغداد وعملت الزينة وضجّ الناس بالدعاء للموفق بالنجدة ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التي كان قد أخذها وهي كثيرة كواسط والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظمى على اهل الاسلام هذا تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان اردت تفصيل الوقائع والحروب التي كانت لهذه القصة في تلك السنين فانظرها في التواريخ تجدها مبسوطة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ملك الروم لؤلؤة ﴾

في سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهي قلعة للصقالبة وكان سبب ذلك ان احمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل ان يلي مصر فلما ولي مصر سنة خمس وخمسين كان يؤثر ان يلي طرسوس ليغزو منها اميرا فلم تجب الى ذلك وكان العمال الذين يأتون الى طرسوس يسيؤن السير وآل الامر الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق ذلك على اهل طرسوس لانها كانت شجى في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في برا و بحر الا رأوه وأنذروا به واتصل الخبر بالمعتمد على الله فقلد طرسوس احمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو العدو و يحفظ ذلك الثغر و يقيم الجهاد وفي هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش كثير وجعل طريقه على ماردة فلما جاوزها الى ارض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم اكرمهم الله بالشهادة وفي سنة اربع وستين غزا الصائفة عبد الله بن رشيد بن

كاووس فى اربعين الفا من اهل الثغور الشامية فنخس فى الروم وهزمهم ورجع فلما رحل عن البذندون خرج عليه جمع من الروم فاحاطوا بالمسلمين فاستماتت المسلمون، وزلوا وعرقبوا دوابهم وقاتلوا حتى قتلوا الاجسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد وبحوا على دوابهم وقتل الروم من قتلوا واسروا عبدالله بن رشيد بعد ضربات اصابته وحمل الى ملك الروم وبعث به الى احمد بن طولون صاحب مصر ومعه كثير من الاسرى، وأهدى لابن طولون عدة مصاحف

﴿ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة ﴾

فى سنة اربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهى من اعظم مدائن صقلية وكان سبب ملكهم ان جعفر بن محمد امير صقلية بعد ما افسد زرعها وضياعها من بلاد صقلية التى بارض الروم ودرب سرقوسة وحصرها براً وبحراً وملك بعض ارباضها فوصل مراكب الروم بحدها وبرها فاصطلحوا فاستوهبوها منه فوهبها واحتمل من حصرها فاقام العسكر محاصرا لها تسعة اشهر وبحث عنها وقتل من اهلها عدة الوف، واصيب فيها من العالم مالا يحصى كثرة حتى وجد من جاء الى العدو الناس واقاموا فيها بعد ما بحثها جعفر ثم هدموها ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فاقتتلوا هم والمسلمون فظفرهم المسلمون وحدوا منهم اربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم وفى هذه السنة سير محمد بن عبدالرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش الى مدينة بلونة وحمل طريقه على سرقسطة فقتل اهلها ثم انتقل الى بطليلة وحاصر فى مواضع ثم دخل بلونة فحرب كثيرا من حصونها وادهب زروعها وعاد سالما وفى سنة خمس وستين خرج جيش من بطرقة الروم الى ادنة فقتلوا واسروا قتلوا نحو من الف وأربعمائة واسروا نحو من اربعمائة وكان ارخور والى البقور قد اراد غزوها وفى سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى ديار ربيعة فسبت نحو من مائتين وخمسين نسمة وقتلت بالمسلمين وعرا اليهم اهل الموصل ونصيبين فرجعت الروم وفى هذه السنة لقى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بالمسلمين بعد قتال شديد ولحق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية وفى هذه السنة اضطرب عامل ابن طولون على الثغور الشامية فى ثلاثة آلاف من اهل طرسوس واعترضهم اربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو واصيب من المسلمين جماعة وفى سنة سبع وستين ولى حرب صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج الى قطانية فافسد زرعها وزرع طرمين وقطع اشجارها وسار الى نقارة فافسد زرعها وانصرف الى بلرم واخرجت الروم سرايا فاصابوا من المسلمين كثيرا وفى سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية فلقيهم جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية وواليها محمد بن الفضل وبعث السرايا فى كل ناحية من صقلية وخرج هو فى جيش عظيم فسار الى مدينة قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فاصاب فيهم فاكثر القتل ثم رحل الى طرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقى عسكر الروم فاقتتلوا وانهزم الروم وقتل اكثرهم وكانت

عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤوسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها على قريب وسموها مدينة الملك فملكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها وفي هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فنازل ملطية فاعانهم اهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية العرغاني عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر الفا وغنم الناس فبلغ السهم اربعين دينارا وفي سنة تسع وسبعين خرج محمد بن الفضل امير صقلية في عسكر الى ناحية رمطة و بلغ العسكر الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم ثم انصرف الى المرم وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة الف ونزلوا قلمية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل طرسوس لابن طولون ليلا فهزمهم وقتل منهم سبعين الفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهبا وفضة وكان اعظمها من ذهب مكللا بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن الدروع والسيوف مثل ذلك واربع كراسي من ذهب ومائتين من فضة وعشرين حملا من الدساتيج وآلة كثيرة ونحوا من عشرة آلاف حمل دساتيج وديباجا كثيرا وغير ذلك وفي هذه السنة اراد اسماعيل بن موسى احد امراء الاندلس بناء مدينة ماردة فسمع الفرنجي صاحب برشلونة بجمع وحشد يريد منعه من ذلك فسمع به اسماعيل فقصده وقاتله وهزمه وقتل اكثرهم و بقي اكثر القتلى في تلك الارض دهرا طويلا وفي سنة احدى وسبعين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى رمطة فخربت وعمت وسبت واسرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطانية فاهلك مافيها وسار الى طبرمين فقاتل اهلها واحرق زرعها وتقدم فيها فاتى رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة اشهر وفداه ثلاثمائة اسير من المسلمين ورجع الجيش وفي سنة ثمانين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سرية من صقلية الى الروم الذين بها فغنمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطينية في عسكر كثير فنزل على مدينة سبرية فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر البطريق الى مدينة منية فحصروها حتى سلمها اهلها بامان وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازمار وتوغل في ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وولي بعده ابنه المنذر وتوفي بعد سنة واحد عشر شهرا وبويع اخوه عبد الله

﴿ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار ﴾

في سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا في جيش فبلغوا اشكند ونازلوها فاصاب بازمار شظية من حجر مجنيق فرجع ومات في طريقه ودفن بطرسوس وفي سنة تسع وسبعين توفي المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل وفي سنة ثمانين غزا اسماعيل بن احمد السامانى صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر أباه وامرأته حاتون ونحوا من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب مالا يحصى واصاب الفارس

من المائة الف درهم وفي سنة احدى وثلاثين [illegible] المسلمون لروم وغنموا [illegible] اثني عشر وما قطع المسلمون وعموا غنمة كثيرة وعادوا

﴿ ذكر حصر الصقالبة في القسطنطينية ﴾

في سنة ثلاث وعشرين سارت الصقالبة الى الروم فحصروا القسطنطينية وهم لوا من عليها حلقا كثيرا وحرقوا البلاد فلما رأى ملك الروم منهم ذلك صالحهم على ثلاثمائة الف درهم من اساري المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا لكون الصقالبة كفارا فكشفوا الصقالبة وارحلوهم عن القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك حلف من المسلمين على دمسة درهم واخذ السلاح منهم ورفقهم في البلاد حاربوا من حاربهم على هذه الصفة وكان العدد الذي اسلم والروم قتلوه مرة اذا من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الحر وجماعة واربعة نفس وفي سنة خمس وثلاثين غزا راعب مولى الموفق في البحر معه مراكب كثيرة فصادف اثنين وثلاثين آلافا من الروم كانوا قد اغاروا واحرقوا المراكب وقتلوا كثيرا منهم وغنموا غنائم لا تحصى فقسمها فيهم فاصاب كل واحد منهم اربعة دنانير وفي سنة سبع وثلاثين وجه ابو العباس جيشا الى الصائفة فلما صاروا بالقرب من القسطنطينية ظهر للروم قلة المسلمين وكثرتهم فخرجوا اليهم وقاتلوهم فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وعاد الباقون الى قطاعة الروم فاقاموا عليها ثم ساروا وقاموا بامائهم حتى وصلوا الى برزة وهي على شاطئ البحر الاسود وهي مدينة كبيرة من الروم وفيها لهم بيوت للذخائر والاموال وبها الاسلحة والآلات التي يحتاج اليها في الحرب فاستولوا عليها وغنموا ما فيها من الاموال والذخائر والاسلحة وغير ذلك وعادوا سالمين وفي سنة ثمان وثلاثين وجه الامير خمارويه بن احمد بن طولون الى الثغور الشامية جيشا كثيفا فدخلوا بلاد الروم وغنموا وسبوا وقتلوا وعادوا سالمين وفي سنة تسع وثلاثين توفي المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق وفي سنة اربعين وثلاثمائة خرج الروم في البر والبحر الى ناحية طرسوس فحاصروها من جميع نواحيها وضيقوا على اهلها ضيقا شديدا فلما رأى ذلك اهل طرسوس خرجوا اليهم وقاتلوهم فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير فلما رأى اهل طرسوس ذلك خرجوا اليهم ثانية وقاتلوهم فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير الى ما وراء اللهم فوجدوا النهم صاحب خراسان قد عاث في بلاد الروم عيثا كثيرا وسبى منهم من المطوعة خلقا كثيرا فساروا نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسوهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون وهزم الله الروم واستولى عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفي هذه السنة خرج من الروم مائة الف عشرة فرسان مع كل فارس عشرة آلاف الى الثغور فقصدوا جهة منها يقال لها (بلد الروم) فاغاروا وسبوا واحرقوا وفي هذه السنة سار من طرسوس القائد المعروف بغلام زرافة مع جيش عظيم فاوقع بطائفة من الروم بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم واسر مثلهم واستفاد من الاسارى خمسة آلاف وغنم من مراكب الروم شيئا كثيرا من المال والمتاع فقسمها مع غنائم اصابوها فكان السهم الف [illegible] وفي سنة اثنتين وتسعين اغار الروم على مرعش ونواحيها فغنم اهل المصيصة واهل طرسوس

واجلوهم واصيب جماعة من المسلمين وفي هذه السنة كان الفداء فكان جملة من فودي من اسرى المسلمين الف نفس ومائتي نفس وفي سنة ثلاث وتسعين اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم اكثرهم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها وفي سنة اربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فاصاب من الروم اربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان واسلم وفيها ايضا غزا ابن كيغلغ فبلغ شكندة وفتح الله عليه وسار الى الايس فغنموا نحوا من خمسين الف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق على حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم فارسل ذلك البطريق الى المكتفي يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا اسير من المسلمين كانوا معه في الحصن وكان ملك الروم ارسل ليقبض عليه فاعطا المسلمين سلاحا فخرجوا معه وقبضوا على الدين ارسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وعموا ما في عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريق فسار اليهم جمع من المسلمين ليحملوه ومن معه من اسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم وانصرفوا عنه فانصرف البطريق ومن معه الى بغداد وخرب المسلمون قونية وارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفي يطلب العداء وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل السامانى صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفي وبويع اخوه المقتدر بن المعتضد وفي هذه السنة فودي من المسلمين ثلاثة آلاف خمس رجالا ونساء وفي سنة ست وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بافريقية وتفصيل ذلك طويل مذكور في التواريخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مونس الخادم فظفر وغنم واسر منهم جماعة وعاد وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القائد ابي سيما لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين وفي سنة تسع وتسعين غزا الصائفة رستم امير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن مليح الارمني ثم دخل بلده واحرقها وفي سنة ثلاثمائة توفي عبد الله بن محمد صاحب الاندلس وبويع حفيده عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله واستمر عبد الرحمن الناصر خمسين سنة وهو اول من تسمى منهم بأمير المؤمنين لما رأوا ظهور الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولي منهم الامير فلان وغزا عبد الرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة وانخن فيهم حتى خضعوا له وصاروا يهادونه ويلتمسون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر علي بن عيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وثلج وغزا ايضا نصر الحادم والي طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبى واسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبي نحواً من الفي رأس وفي سنة ثلاث وثلاثمائة اغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس امر عظيم وظهرت الروم ايضا فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها واسر جماعة

ممن حولها وعاد وفى سنة اربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم الى بلاد الروم لغزو الصائفة بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فاكرمه المقتدر وخلع عليه وفى سنة خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فاجيبوا الى ذلك وانفذ المقتدر مع مؤنس للفداء مائة الف وعشرين الف دينار وكان قبل ذلك عقد لثمال الخادم على الغزاة فى بحر الروم وسار وكان قبل ذلك ايضا غزا جنى الصفوانى بلاد الروم فغنم ونهب وسبى وعاد سالما ففرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت رسل ملك الروم بطلب الهدنة وفى سنة ثلاث وثمانمائة غزا عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس الى جليقية فاستخلد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب الحصون وفى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة غزا بذلونة وفعل اكثر من ذلك وله غزوات غير هذا يطول الكلام بذكرها والجلالقة هم الاسفنيول وفى سنة عشر انقضت الهدنة التى كانت بين المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون فى البر والبحر فغنموا وسبوا ودخل اهل طرسوس ملطية فاغاروا ونهبوا من بلاد الروم والطفر بهم مالم يظفروه وعادوا وفى سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وعاد ثمان ايضا فى البحر فغنم من السبى الف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتى الف رأس ومن الذهب والفضة شيأ كثيرا وفى سنة اثنتى عشرة جاء رسول ملك الروم بهدايا يطلب الهدنة وتقرر الفداء فاجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فانتخنوا ونهبوا وسبوا وعادوا وفى سنة ثلاث عشرة كتب ملك الروم الى اهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج فان فعلوا والا قصدهم فقتل الرجال وسبى الذرية وقال انى قد صح عندى ضعفكم ولا تكلم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية واخربها وسبى منها سنة اربع عشرة وفتح الروم ابوابا من الربض فدخلوا فقاتلهم اهلها واخرجوهم وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم وقصد اهل ملطية بغداد مستغيثين فلم يغاثوا فعادوا بغير فائدة وغزا اهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا

﴿ ذكر حرب بين المسلمين والروم ﴾

فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم واسروا من المسلمين اربعمائة رجل فقتلوا اصبرا وسار الدمستق فى جيش عظيم الى مدينة دبيل فحاصرها وضيق عليها والدمستق عندهم ملك عظيم يلى بلاد الروم التى هى شرقى دجلة القسطنطينية ويكون تحت امر الملك الذى فى القسطنطينية وكان مع الدمستق دبابات ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلا يقوم بين يديها احد وكان الرامى بها من اشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله واراح الله المسلمين منه وكان الدمستق يجلس على كرسى عال ليشرف على البلد وعلى عسكره فامرهم بالقتال على ما يراه فصبر له اهل البلد وهو ملازم للقتال حتى وصلوا الى سور المدينة فنقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم اهلها ومن فيها من العسكر قتالا شديدا فانتصر المسلمون واخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو

عشرة آلاف رجل وفى هذه السنة ايضا غزا شمال الصائفة من طرسوس ولقى جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وغانموا فى انعامهم وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقيهم رجل من رؤساء الاكراد يعرف بابن الضحاك وكان له حصن يعرف بالجعفرى وكان قد ارتد عن الاسلام وتنصر وصار الى ملك الروم وخدمه فاجزل له القطيعة وامره بالعود الى حصنه فلقيه المسلمون فقاتلوه فاسروه وقتلوا كل من معه وفى سنة ست عشرة وثلاثمائة خرج الدمستق فى عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب فى جامعها ورحل الى بدليس ففعل بها كذلك وخاف اهل ارزن وغيرهم فغارقوا بلادهم واخذر اعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفى هذه السنة وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم القوس والمعاول واظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر أن مقيمها الارمنى وضعهم ليكونوا بها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم اهل ملطية فقتلوهم واخذوا ما معهم وفى سنة سبع عشرة خلع المقتدر وبويع اخوه القاهر ثم بعد يومين اعيد المقتدر وخلع القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعرضوا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وارسلوا الى بغداد يستأذنون فى التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا فصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفى سنة سبع عشرة ايضا كان دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام وفى البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود واخذوه الى هجر وقلعوا باب البيت واصعدوا رجلا ليقلع الميزاب وكان من ذهب فاصيب بسهم من جمل ابى ثعيس فاخطأ نحره وخر ميتا فأصعدوا آخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على رأسه ومات فهاب الطالب الاقدام على القلع فتركوا قلع الميزاب وكان جملة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمجاورين فى مكة وشعابها زهاء ثلاثين الفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها وكان رئيسهم عدو الله المكنى بأبى طاهر وركض عند الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصفر لفرسه عند البيت الشريف فيقال وراب قيل ان الذين قتلهم فى المطاف الف وسبعمائة وملأ بئر زمزم من رؤسهم والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل مذكور فى التواريخ وقاتلهم خلفاء بنى العباس ولهم معهم وقائع كثيرة وكان ابتداء ظهورهم سنة ثمان وسبعين ومائتين ولهم عقائد قبيحة يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام ويزعمون انهم يدعون الناس للبيعة للمهدى المنتظر وزعموا انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الاثير ولم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ومكث الحجر الاسود عندهم فى هجر اثنتين وعشرين سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما ايسوا من ذلك ارجعوه الى موضعه من البيت وكان ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابتلى ابو طاهر رئيسهم بداء الاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت اوصاله وطال عذابه ومات شر ميتة ولعذاب الآخرة اشد وابقى وانما ذكرنا هذه القصة لان قتال هؤلاء وما فعلوه ملحق بقتال

الكفار وافعالهم ولاعبرة بكونهم يدعون الاسلام فانهم كانوا يستبيحون دماء المسلمين ويرون
ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الزائغة المكفرة ان الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس
وركعتان بعد غروبها فقط وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من الجنابة لا لوضوء
كوضوء الصلاة وان محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى عصر ذلك
من ضلالاتهم واستمرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل امرهم شيأ فشيأ
حتى لم يبق لهم دولة

﴿ سنة ﴾

يوجد على وجه الحجر الاسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به وشتهر على ألسنة كثير
من الناس ان سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما اخرجوا الحجر الاسود وليس الامر كذلك
بل سبب تكسرها ما ذكره السنجاري في تاريخ مكة وهو في عمارته في سنة اربعمائة واربع عشرة
يوم الغد الاول وكان جمعة دخل المسجد رجل اشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد
وتقدم بعد أن فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الحجر الاسود فضربه بالدبوس ثلاث مرات
وقال الى متى يعبد هذا الحجر ومحمد وعلي فليمنعني مانع من هذا وهو يريد ان يهدم هذا البيت فخافه
اكثر الحاضرين وكان هرب منه اليه رجل فضربه بالخنجر وقتله وقطعه الناس بالسلاح ثم
احرقوه فحصل في الحجر الاسود شقوق وخرج منه قطع صغار فاعادها سدنة الكعبة وامير مكة
والصقوها بالملاط فصارت تلك القطع باقية الى الآن اهـ وارجع الى ما انا بصدده وفي سنة تسع
عشرة وثلاثمائة توفي الى طرسوس لاد الروم وعبرها وصال عليهم بلغ الى صدور الخيل وأتاهم
جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستة آلاف واسروا نحوا من ثلاثة
آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا وعاد عائدا الى طرسوس ودخل
بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل فلعنوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم
فحاربوهم فلما سمعوا الخبر عادوا ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامتعة شيأ كثيرا فاحتووه
واحرقوا ما كانوا عجزوه منها واوغلوا في بلاد الروم يغنمون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا القرة
وهي التي تسمى الآن اقريه وغنموا من المواشي ما يقارب مائة الف دينار وستة
وثلاثين الف دينار وفي هذه السنة كاتب ابن الدراني وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية
الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصر فسارت الروم في جمع كثير فخربوا
زكري وبلاد خلاط وما جاورها وقتل من المسلمين خلق كثير واسروا كثيرا منهم فبلغ خبرهم
معلما غلام يوسف بن ابي الساج وهو والي اذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة
الى ارمينية وقصد بلد ابن الدراني ومن وافقه فخربه وقتل اهله ونهب اموالهم وباع الناس
في كثرة القتلى من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة الف قتيل والله اعلم وتحصن ابن الدراني
بقلعة له وفي هذه السنة ايضا سارت الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ اهلها سعيد بن حمدان
صاحب الموصل وديار ربيعة فتجهز وسار مسرعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا
منه فسار الى ملطية وكان اهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد اليهم فحكموا
على المسلمين وكان في ملطية جمع من الروم ومن عسكر ملجح الارمني ومعهم بنى بن نعيس صاحب

المقتدر وكان قد تنصر وهو مع الروم فلما احسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا ان يأتيهم سعيد بن حمدان في عسكره من خارج المدينة و يثور اهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها اميرا وعاد عنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها وفي سنة عشرين قتل المقتدر (استطراد) قال العلامة القطبي في تاريخه كان المقتدر في كل عام يصرف يوم عرفة من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وكان في داره احد عشر الف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وخمن خمسة من اولاده فصرف في ختانهم ستمائة الف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك الروم بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل صفين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد لتمر الرسل بين الصفين في هذه المسافة واقام بعدهم الخدم وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة فبلغت ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين الف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وكان من جملة الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجواهر واغصانها تمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير حاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها في ايام قوة دولتهم في كمال وضعها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴿ انتهى ولنذكر قصة قتل المقتدر فان فيها اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهي تدل على هوان الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى وذوي البصائر من عباده وحاصلها ان مؤنسا الخادم كان عبداً خصياً من عبيد المعتضد والد المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده في رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه وصار من اعظم وزرائه وفي سنة عشرين وثلاثمائة حصلت وحشة بينه و بين المقتدر فسار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر فاستولى المقتدر على اقطاع مؤنس وماله واملاكه واملاك اصحابه وكتب الى بني حمدان امراء الموصل يقصد مؤنس عن الموصل وقتاله فجرى بين مؤنس و بينهم قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشماسية بجنوده فخرج المقتدر الى قتال مؤنس بمن بقي معه من العساكر لان كثيراً منهم انعزلوا عنه وانحدروا الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة النبوية ووقف على تل فألح عليه اصحابه بالتقدم الى القتال فتقدم ثم انهزمت اصحابه فلحق المقتدر قوم من العسكر مغاربة فقال لهم ويحكم انا الخليفة

(فقالوا)

فقالوا قد عرفناك ياسعلة انت حقيقة ابليس فضربه واحد منهم بسيفه فسقط الى الارض فذبحوه وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون و يلعبونه واحدا ماعليه حتى سراويله وكشفت عورته ثم حفروا له فى موضعه ودفنوه وعفى قبره وحملوا رأسه الى مؤنس وهو بالراشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مونس رأس المقتدر لطم وجهه و بكى ثم ان القاهر احاالمقتدر لما بويع بعد قتل المقتدر وتمكن له الامر قتل مؤنسا وهم تطل مدة القاهر بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسملت عيناه وعاش دهرا طويلا اعمى محبوسا فى دار الخلافة ثم اطلقوه واهملوه فوقف يوما لحمامع المنصور بين الصعوف وقال تصدقوا على فانا من قد عرفتم وذلك فى ايام المستكفى ليشنع عليه فمنعوه من الخروج الى ان مات سنة تسع وثلاثين وعمره ثلاث وخمسون سنة ولما خلع القاهر وبويع الراضى بالمقتدر وفى هذه السنة سار الدمستق الى سميساط فى جمع له وحاصرها مدة طويلة هلك اكثر اهلها بالجوع وصرف حيتين على احدهما صليب وقال من ارادالنصرانية اختار الى حيته الصليب ليرد اليه اهله وماله ومن اراد الاسلام فليختر الى الحية الاخرى وله الامان على نفسه وماله ففعلوا ما امرهم به فاختار المسلمون الى الحية التى عليها الصليب طمعا فى اهلهم واموالهم وسيروا الى بطريقة بلدهم مأمنهم وفتحها بالامان ثم توجهوا الى سميساط وخربوا اعمالها واكثروا القتل وسباوا الاخيين الشريفة وصار اكثر البلاد فى ايديهم وتوجهوا الى حدث وقد سبوا اهلها وخربوا وقتلوا واحرقوا وسبوا النساء والذرية وسار الى ملطية واحرقها وسبى واسر فى سنة ست وعشرين كان بين الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة من فودى من المسلمين ستة آلاف و ثلاثمائة اسير ما رد الروم وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفى الراضى وبويع اخوه المتقى بن المقتدر وفى سنة ثلاثين وصل الروم الى قرب حلب وسبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر الف انسان وفى هذه السنة غزا على من ناحية طرسوس الى بلاد الروم وقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد اسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين ارسل ملك الروم الى المتقى لله يطلب منه مديدا يرعم ان المسيح مسح بيده وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه فى بيعة الرها وذكر انه ان ارسل المديل اطلق عددا كثيرا من أسارى المسلمين فاحضر المتقى لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعضهم رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعضهم قال ان هذا المديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الاسلام لا يطلبه ملك من ملوك الروم وفى دفعه اليهم عصاصة وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير وقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه اولى من حفظ هذا المديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الاسرى وعمل ذلك وارسل الى الملك من يستلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا

﴿ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية فى البحر الى نواحى ادربيجان وركبوا فى البحر فى نهر الكر وهو نهر كبير فاتوا الى مدينة بردعة فخرج اليهم نائب الملك الديلم بأذربيجان فى جمع من الديلم والمتطوعة يريدون على خمسة آلاف

رجل فلقوا الروس فلم يكن الا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتلوا عن آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالامان واقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون ويرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا انفسهم وسار العامة والرعاع لا يضبطون انفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج اهل البلد منه وان لا يقيموا بعد ثلاثة ايام فمخرج من كان له ظهر يحمله وبقي اكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا بعد القتل بضع عشرة الف نفس وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا انفسكم والا قتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقرر على كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم الا عقلاؤهم فلما رأى الروسية انه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنموا اموال اهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

﴿ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ﴾

لما فعل الروس باهل برذعة ما ذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين الفا وساربهم فقاتلوهم فامتنعوا عليه فاكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل اميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه وطهر الله البلد منهم وملك الروس ايضا في هذه السنة رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب فهزموهم وكانوا ثمانين الفا مع من سبق وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خلع المتقي وبويع المستكفي بن المكتفي بن المعتضد ومكث سنة واربعة اشهر ثم خلع وبويع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة حين تغلب بنو بويه على الخلفاء وبنو بويه كزبير ويقال ايضا بسكون الواو وفتح الياء ينتهي نسبهم الى ملوك الفرس وانما انسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء حتى صاروا قواد جيوش ثم تقوى امرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بايديهم وليس للخلفاء الا الاسم والدعاء على المنابر وكتابة المناشير وكتابة اسمائهم على الدراهم والدنانير واخبارهم طويلة مذكورة في التواريخ ودخل معز الدولة بن بويه بغداد بجيوشه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفي بن المكتفي واقام في الخلافة المطيع لله بن المقتدر وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة ومازالوا يتغلبون على ممالك بني العباس شيأ فشيأ حتى تغلبوا على بغداد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب الى سنة ثمان واربعين واربعمائة فقامت دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء ايضا وفي سنة خمس وثلاثين كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وحمص وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرا من ذكر وانثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ صار امر الصوائف الى سيف الدولة

ابن حمدان صاحب حلب وحمص وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عزا سيف الدولة بن حمدان الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ الروم معرشن واوقعوا باهل طرسوس وفي سنة ثمان وثلاثين عزا سيف الدولة بلاد الروم واوغل فيها وفتح حصونا كثيرة وسبى وغنم فلما اراد الخروج من بلاد الروم احدوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين اسرا وقتلا واستاق الروم الغنائم والسبي وغنموا اموال المسلمين واموالهم وبجاسيف الدولة في عدة يسيرة

﴿ ذكر - وبا بصقلية ﴾

في سنة اربعين عزا الروم بصقلية الحسن بن علي الكلبي عامل المنصور العبيدي وحاصروه في القسطلية مدة فلما رأى الروم بصقلية وهنا مع المسلمين اشد القتال سمع انهزام الروم وتركهم المسلمون يسلبون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع اثقالهم وسلاحهم ودوابهم وفي سنة احدى واربعين ملك الروم مدينة سرقوسة وسبوا اهلها وغنموا اموالهم واحرقوا المساجد وفي سنة ثلاث واربعين عزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم وقتل واسر وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعلى الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة فالتقوا عند حدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين وانهزم الروم وقتل منهم ومن معهم خلق كثير واسر صهر الدمستق وابن اخته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مخذولا وفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة سار سيف الدولة في جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصاحبها وفتح عدة حصون وسبى واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى ملطية فاقام بها ثم رجع الى حلب فلما سمع الروم بفعله جمعوا وساروا الى ميافارقين واحرقوا اسوارها ونهبوا وخربوا وسبوا اهلها ونهبوا اموالهم وعادوا وفي هذه السنة سار الروم في البحر فاوقعوا باهل طرسوس وقتلوا منهم الفا وثمانمائة رجل واحرقوا القرى التي حولها وفعلوا مثل ذلك ايضا بطرسوس وازالها سنة ثمان واربعين وفي سنة تسع واربعين غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها آثارا كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ من السبي والغنائم والاسرى شيأ كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم احدوا عليه المضايق فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأى ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يجب ان يستبد ولا يشاور احدا لئلا يقال انه اصاب رأى غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم واخذوا اثقاله ووضعوا السيف في اصحابه فأتوا عليهم قتلا واسرا وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى كل من يجهل اراء الناس العقلاء والله اعلم بالصواب وفي سنة ثلاثمائة وخمسين سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فجرح عليهم كمين للروم فأخذ

من كان فيها من المسلمين و قتل كثيرا منهم و افلت صاحب انطاكية وبه جراحات وفى هذه السنة غزا بجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين و غنم ماقيمته قيمة عظيمة وسبى واسر وخرج سالما

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو ثغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام ﴾

فى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهى فى سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم فى جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع فى النقب طلبوا الامان فأمنهم الدمستق وفتح له باب المدينة فدخلها فرأى اصحابه الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى فى البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهله الى المسجد الجامع ومن تأخر فى منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما اصبح انفذ رجاله فى المدينة وكانوا ستين الفا وامرهم بقتل من وجدوه فى منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر بجمع ما فى البلد من السلاح فجمع وكان شيأ كثيرا وأمر من فى المسجد ان يخرجوا من البلد حيث شاؤا يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مرددين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لا يدرون اين يتوجهون وماتوا فى الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ما خلفه الناس من اموالهم واعتقهم وهدموا سور المدينة واقام الدمستق فى بلد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة اربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الخمسون التى فتحت بالامان حصن أمر اهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض احد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا اربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الزمن الذى يصوم فيه النصارى انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج فى اربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما اصابهم هذا الوهن اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وارسلوا له بذلك فلما علم بن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن فى داره فالقى نفسه الى نهر تحته فغرق وراسل اهل بقراس الدمستق و بذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب ﴾

فى هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان

ولاغيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر اعجله الامر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليهم في معه فقاتلهم ولم يكن له قوة لصغر اقلة من معه فقتل اكثرهم ولم يبق من اولاد دوس احد قتلوا جميعهم فلهرم سيف الدوله في دير وطمر الدمستق داره وكانت سارح مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدوله ثلثمائة بدرة من الدراهم وجد له العدد والاثمائة اقل ومن خزائن السلاح مالا يحصى فحمل الجميع وخرب الدار وملك الخندق وحصر المدينة فعاناه اهلها وهدد الروم في السور رسلة فقاتلهم اهل حلب عليها وقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عبروها فلما رأى الروم ذلك ارتحلوا الى جسر حوشم ولما رحلوا عن حلب قصدوا من الناس وحانات التجار اليهود فاخذوا من اموالهم ليعبروها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وعبروا منه فلم يجدهم احد فصعدوا الى اعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى ان تعبوا وضجروا وكان في حلب الف وار بعمائة من الاسارى فخلصوا واخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبى من الله اربعة عشر الف صبي وصبية وحملوا مالا وصفا كثرة فلما لحق مع الروم ما يحملون عيدا عظيمة امر الدمستق باحراق الباقي واحرق المساجد وكان قد دخل لاهل البلد الامان على ان يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ومالا قدره ويصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فلكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتي الف رجل منهم ثلاثون الفا مالجواشن وهي الصدر والدرع والاثنون الفا للهدم واصلاح الطرق من السلح ومعه اربعة آلاف بغل تحمل الحسك الحديد وهي اداة للحرب من حديد لها سوك تلقى حول العسكر للحفظ من الخيل حول اليهم لما دخل الروم البلد قصد الناس البلدة من دخلها نجا ومن لم يدخلها نجا ثم دخل دمشق وقام الدمستق تسعة ايام وارد لانصراف عن البلد فاعلم وقيل له ان اخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في ايدينا فليس من يدفعنا عنه فلا شيء يصرفنا عنه فقال له الدمستق قد بلغنا مالم يكن الملك يؤمله وجمعنا وقتلنا وخربنا واحرقنا وحلصنا اسرانا وبلغنا مالم يسمع عنه فتراجعا الكلام الى ان قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فانى مقيم بعسكري على باب المدينة فقدم ابن اخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة القى عليه حجر فسقط ورمى بحسب فقتل فاخذه اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من اسرى المسلمين وكانوا الفا ومائتي رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم زرعه

﴿ ذكر فتح طرسين من صقلية ﴾

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية وامرهم حينئذ احمد بن الحسن بن علي بن ابي الحسين عامل العبيديين الى قلعة طرسين من صقلية ايضا وهي بايدي الروم فحاصروها وهي من امنع الحصون واشدها على المسلمين فامتنع اهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذي يدخلها فقطعوه عنها واجروه الى مكان آخر فعظم الامر عليهم

وطلبوا الامان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمائهم و يكونوا رقيقاً للمسلمين و اموالهم فيأ فأجيبوا الى ذلك و اخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفاً واسكن القلعة نفراً من المسلمين وسميت المعزية نسبة للمعز العبيدى صاحب افريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيقوا عليها فلما رأى الروم ذلك حافوا وارسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال و يطلبون منه ان ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكراً عظيماً يزيدون على اربعين الف مقاتل وسيرهم فى البحر فوصلت الاخبار الى الامير احمد امير صقلية فارسل الى المعز بأفريقية يعرفه ذلك ويستمده و يسأله ارسال العساكر اليه سريعاً وشرع هو فى اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر واما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجليلة وسيرهم مع الحسن ابن على والد احمد فوصلوا الى صقلية فى رمضان وساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فانهم وصلوا ايضاً الى مدينة صقلية فى شوال ونزلوا عند مدينة مسينى وزحفوا منها بجموعهم التى لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن ابن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها و برز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم واحاطوا بالمسلمين ونزل اهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم و ابعدوهم عما ارادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم و بما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو بخيامهم وايقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه اسلم لهم و اخذوا بقول الشاعر * تأخرت استبقى الحياة فلم احد * لنفسى حياة مثل ان اتقدما *

فحمل بهم الحسن بن عمار اميرهم وحمى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منويل مقدم الروم فقتل فى المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ماعليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقته فلما قتل انهزم الروم اقبح هزيمة واكثر المسلمون فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضاً حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر و بات المسلمون يقاتلونهم فى كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الاموال مالا يحد وكان فى جملة الغنيمة سيف هندى عليه مكتوب هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو واما اهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء و بقى المقاتلة فزحف اليهم المسلمون وقاتلوهم الى الليل ولزموا القتال فى الليل ايضاً وتقدموا بالسلاليم فملكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا مافيها وكان شيأ كثيراً عظيماً ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم ان الروم تجمع من سلم منهم واخذوا معهم من فى صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا مراكبهم

يحفظون نفوسهم فركب الامير احمد في عساكره و اصحابه في المراكب ايضاً وزحف اليهم في الماء وقاتلهم واشتد القتال بينهم والقى جماعة من المسلمين نفوسهم في الماء وحرقوا كثيراً من المراكب التي للروم فعرقت وكثر القتل في الروم فانهزموا لايلوى احد على احد وسارت سرايا المسلمين في مدائن الروم ففتحوا منها فبذل اهلها لهم كثيراً من الاموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والهدنة في سنة اربع وخمسين وهذه الوقعة الاخيرة تعرف بوقعة الخمار ولنرجع الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخمسين ففيها اخذ الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له وفيها سير سيف الدولة جاحده في جيش مع اهل طرسوس الى بلاد الروم فعمروا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصد الروم حصن سيسية فحكموه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فتبعه جمع من الروم فهزمهم واستولى اليه من الروم خمسمائة رجل وفي هذه السنة ايضاً في شوال اسرت الروم ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني الصابي وكان متقلداً لها وكان ذا فصاحة و بلاغة وله ديوان شعر جيد و بقي اسيراً الى سنة خمس وخمسين فافتداه سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم وفي سنة احدى وخمسين ايضاً سار جيش من الروم الى جزيرة اقريطش فارسل اهلها الى المعز العبيدي صاحب افريقية يستنجد وبه فارسل اليهم نجده فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون واخرجوهم من الجزيرة الى بلاد الروم وفي سنة اثنتين وخمسين دخل اهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها ايضاً نجا غلام سيف الدولة من درب آخر واوغل اهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفي هذه السنة اجتمع جماعة كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فاغاروا عليها ففتحوا واسروا وعادوا موفورين

﴿ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان ﴾

في سنة ثلاث وخمسين حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا اهلها ونقبوا سورها واشتد قتال اهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم واحرق الروم رستاقها ورستاق اذنة وطرسوس لمساعدتها اهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر الف رجل واقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً لم يقصدهم من يقاتلهم فعادوا لغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انساناً وصل الى الشام من خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميافارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة في صفر اخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا وافترق الغزاة الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعاد اكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما اراد الدمستق العود الى بلاد الروم ارسل الى اهل المصيصة واذنة وطرسوس انى منصرف عنكم لانجح ولكن لضيق الملوفة وشدة الغلاء وانا عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودي قتلته ثم نزل ملك الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم و بين اهلها حروب كثيرة سقط في بعضها الدمستق الى الارض وكاد يؤسر فقاتلت عليه الروم وخلصوه واسر اهل طرسوس بطريقاً كبيراً من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكراً على المصيصة مع الدمستق فحصرها

ثلاثة اشهر لم يمنعهم منها احد فاشتد الغلاء على الروم وكثر فيهم الوباء فمات كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

﴿ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس ﴾

فى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة سار تقفور ملك الروم الى قيسارية ليقرب من بلاد الاسلام واقام بها ونقل اهله اليها فارسل اليه اهل طرسوس والمصيصة يبذلون له اتاوة و يطلبون منه ان ينفذ اليهم بعض اصحابه يقيم عندهم فعزم على اجابتهم فاتاه الخبر بانهم قد ضعفوا وعجزوا وانهم لا ناصر لهم وان الغلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت واكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فيموت منهم فى اليوم نحو ثلاثة نفس فعاد تتفور عن اجابتهم واحضر الرسول واحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته وقال لهم انتم كالحية فى الشتاء تخدر وتذل حتى تكاد تموت فان اخذها انسان واحسن اليها وادفأها انتعشت ونهشته وانتم انما اطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم احوالكم تأذيتكم واعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتى الف انسان ثم سار الى طرسوس فحصرها فاذعن اهلها بالطاعة وطلبوا الامان فاجابهم اليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وامرهم ان يحملوا من سلاحهم واموالهم ما يطيقون و يتركوا الباقى ففعلوا ذلك وساروا براً وبحراً وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه واحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب المسيرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من اهلها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم والعياذ بالله تعالى واراد الملك المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية واراد الدمستق ان يقصد ميافارقين و بها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطينية وفى هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فاستنصر اهل الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا انتم كفار فان اسلمتم نصرناكم فاسلموا الملكهم فنصرهم اهل خوارزم وازالوا الترك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

﴿ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام ﴾

فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فى شوال خرجت الروم وقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا اهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل واسر نحو اربعمائة اسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين ولقيهم قافلة واردة من ميافارقين فاخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت اجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان فى نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربه فاقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية فاقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون اهلها فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه وعادوا الى طرسوس وفى سنة ست وخمسين توفى سيف الدولة وملك ابنه ابو

المعالى شريف وفى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة من الروم الى انطاكية فعثوا فى سوادها وعموا وسبوا اثنى عشر الفا من المسلمين وفى سنة ثمان وخمسين دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه احد ولا قاتله فسار فى البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها وكان صاحب طرابلس قد جرحه هلها لشدة ظلمه وتعسفه وقعد وقعة عرقة فجاء الروم وجمع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حمص وكان هلها قد انتقلوا عنها وحموها فاحرقها وملك الروم ورجع الى بلدان الساحل وفى عليها بالنهب والتحريق وملك ثمانية عشر حصنا واما القرى فكثير لا يحصى وبقاء فى الشام شهرين قصد اثنى وضع شاء وخرب ما شاء ولم يعرض احد الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على اطرافهم فاتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار لدروم الهيبة العظيمة فى قلوب المسلمين فاراد ان يحصر انطاكية وحث على ذلك فقاعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبى نحو مائة الف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والنشاب فاما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من اطلقه وكان صاحب قرعويه غلام سيف الدولة قد سلم الروم عليها فعادوا الى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل صحبوا من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعادوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم سرية الى الحرة فنهبوا وسبوا واحرقوا وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم انطاكية ﴾

فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالعرب من انطاكية يقال له حصن اوقا وواقعوا اهله وهم يسارى على ان يرحلوا منه الى انطاكية وظهروا انهم بما انتقلوا منه حوفا من الروم فلما صاروا بانطاكية اعانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك واسقل اهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذى فيها فلما كان بعد ثمانية اشهر من حادثة الروم مع اخى نقفور الملك وكانوا نحو اربعين الفا احاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التى بها هل حصن اوقا فلما رآهم اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد وصعوا فى اهله السيف ثم احرقوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم ادهوا حيث شئتم واحدوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها ﴾

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان ابو المعالى شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه غلام سيف الدولة متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالى بخبر الروم فارق حلب وقصد الرملة ليمنعهم وحصروا البلد وبه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا ارادوا العرولا يمكن قرعويه اهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون

اليه منها وكان مع حلب حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وتسلمها المسلمون

﴿ ذكر ملك الروم ملازكرد ﴾

وفى هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملازكرد من اعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون فى اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون ايها شاؤا لضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتن بينهم

﴿ ذكر ما فعله الروم بالجزيرة ﴾

فى سنة احدى وستين وثلاثمائة فى المحرم اغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا واحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من اهل تلك البلاد الى بغداد مستغيثين وقاموا فى الجوامع والمشاهد واستغاثوا المسلمين وذكروا ما فعل الروم من النهب والقتل والاسر والسبى فاستعظم الناس وخوفهم اهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم وانهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم اهل بغداد وقصدوا دار الخليفة المطيع لله واردوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك واغلقت الابواب فاسمعوه ما قبح ذكره

﴿ ذكر انهزام الروم واسر الدمستق ﴾

فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين وكان سببها ما ذكرناه من غزو الروم بلاد الاسلام فلما رأوا انهم لا مانع لهم قوى طمعهم على أخذ آمد فسار الدمستق اليها وبها هزارمرد غلام ابى الهيجاء بن حمدان فكاتب الى ابى تغلب ابن ناصر الدولة يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعا على حرب الدمستق وكان الدمستق فى كثرة فلقياه فى مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير اهبة فانهزموا واخذ المسلمون الدمستق اسيرا ولم يزل محبوسا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وبالغ ابو تغلب فى علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات وفى سنة ثلاث وستين اصاب الخليفة المطيع لله فالج فثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفى سنة ست وستين توفى الحكم بن عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس واقيم بعد ابنه هشام وكان صغيرا ولقب المؤيد وقام بامره الوزير المنصور بن ابى عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا وامتلأت الاندلس [illegible] وسبى منهم فقتل بعضهم واستمر المنصور ستا وعشرين سنة غزا فيها ثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتى ذكر شئ منها ومن محاسن غزواته انه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين واوغل فى بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما اراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فاظهر انه يريد المقام فى بلادهم وشرع هو وعسكره فى عمارة المساكن وزرع الغلات واحضروا الحطب والتبن والميرة وما يحتاجون اليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه فى ترك الغنائم

والجوائز

والجواز الى بلاده فقال انا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فاجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده

﴿ ذكر غزوات بالهند ﴾

وكان القائم بتلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون الكاف الاولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية وبنون بعده وسبكتكين كان في الاصل غلاما لابي اسحق ابن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك خراسان عمال الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه الى ان سبق المذكور فمات ابو اسحق لم يخلف من اهله واقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروأته فقدموه عليهم وولوه امرهم سنة ست وستين وثلثمائة فاحسن السيرة فيهم وصار له ملك صحم توارثه بنوه في كابل والهند وخراسان الى سنة سبع واربعين وخمسمائة فتكون مدة ولايتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة لاسيما السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره في الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة فهي دار ملكهم وهي من مدائن كابل وهذا اول ذكر غزواتهم ففي سنة ست وستين وثلثمائة عزا سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاما حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جيبال ملك الهند مادهمه وان بلاده تقلص من اطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيلة وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فسار سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا اياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقل نجسا ولا قذرا واذا القي فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولا تزال كذلك الى ان تطهر من الذي القي فيها فامر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم رأوا ما لم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وعيب عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عايبوه وارسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فاجابهم اليه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من اهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والفيلة كانت محملة فلما ابعد ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل ما مر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهي من احسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد ويقتل اهلها فلما بلغ ما اراده عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع العساكر وسار في مائة الف مقاتل فلقيه سبكتكين وامر اصحابه ان يثبتوا ويوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل المسلمون ايضا جميعهم واختلط

بعضهم بعضا فانهزم الهنود واخذهم السيف من كل جانب واسر منهم مالا يعد وغنم اموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يقم لهم بعدها راية ورضوا بأن لايطلبوا فى اقاصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الوقعة اطاعه الافغانية والخلج وصاروا فى طاعته

﴿ ذكر غزوة للامير ابى القاسم الكلى امير صقلية ﴾

فى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة فى ذى القعدة سار الامير ابو القاسم من صقلية يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له رد ويل خرج فى جموع كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطه وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير ابو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما قارب بها حاف وجبن فجمع وجوه اصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى رد ويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين هائمون منك فالحق بهم فانك تظفر بجرد الفرنجى من عساكره اثقالهم وسار جريدة وحد فى السير فادركهم فى العشرين من المحرم سنة ثنتين وسبعين فتبعها المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فنقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على ام رأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل واسر من بطارقتهم كثيرا وتبعهم المسلمون الى ان ادركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فانت لولدى فركبه الملك ونجا وقتل اليهودى ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها

﴿ ذكر دخول الروسية فى دين النصرانية ﴾

قد تأخر دخول الروسية فى النصرانية عن بقية الافرنج سكان اوروبا وذلك انه كان اول دخول الروسية فى دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب ذلك انه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الاسلام وذلك البعض هو ورد الرومى وكان من اكابر رؤسائهم وقواد جيوشهم وعظماء بطارقتهم فطمع فى الملك ولا قدرة له على قتال بقية المتنازعين فكاتب اباتغلب بن حمدان امير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستنجد به وصاهره فاجابه ابن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصد قتال الروم بذلك الجيش فاخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه فقصد القسطنطينية ومع تلك الجيوش ايضا ورد الرومى الطالب لتملك القسطنطينية فجمعوا له جيوشا

كثيره وقاتلوه قتالا شديدا حتى انهزم ورجع وردا الرومي الى بلاد الاسلام وقصد ديار بكر وبلاد الجزيرة وكاتب عضد الدوله يدعوه الى التعلب بالعراق على اخيه وعمه وطاعته فاجابه بجواب حسن ووعده بأنه يسيره مع بعض مماليك ابيه وكان معظم عساكره من الاتراك المستركين في ملك القسطنطينية فكاتب عضد الدوله وبعثه بهدايا واسعاله فقوى في نفسه ترجح جانبهما وأعرض عن نصرة وردا الرومي وكتب الى بدر يذكره هو ابو علي حسين يقبض على وردا الرومي واصحابه فلما وقع بدر بذلك عليه وقع بعض اصحاب وردا له ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدوله وسلموه في مرضه ولاشك انهم يريدون الغدر به وغيره فيسلمونهم ويرجعون الى بلادهم فاجتمع رأيهم ان يكتبوا الى اخيهم ويدعوه الى مطاعتهم ومساعدتهم على ورد الرومي فلما رأى بدر ذلك لم ير له بدا من عضد الدوله غير الحمل ولا يحسن ان يصرف عن ذلك فاجابهم الى ما طلبوا منه وكتب الى اصحابه فطمع فيه ابو علي حسين وطلب حصون عضد الدوله وطلب حصون عضد الدوله وطلب حصون عضد الدوله وورد الى ذلك وحصر عضد الدوله فتح منه قلاعا وعلى واسطه وبعض اعماله وذلك سنة سبعين ولا تمكنه وحبسهم بدارقين بحجلهم لعضد الدوله بعد ذلك في الحبس الى ان مات عضد الدولة سنة خمس وسبعين وصار ملك بغداد بعضد الدوله فاطمئن وردا الرومي ومن كان معه ومعه وعزم عليه طلاق عدد كثير من نساء المسلمين وأن لم يطلقهن حرمن عليهما من بلاد الروم وساءت وأن لا يسكن بلاد الاسلام هو ولا احد من اصحابه بعده وحلفهم على ذلك فحلف له على ما طلبه منه وحلفوا له على ذلك فسار وردا الى بلاد الروم واستولى على ما هناك خلقا كثيرا من هل الدوسي وعظم هو وطمعهم في بعض واصبحة فجمع معه جيشا عظيما وقصد حتى نزل عاطية فتملكها وقوى بها وعظم شأنه وقصد من ملوك الروم وبرجان وراسله وسألهم فاستقر الامر بينهم على ان يكون القسطنطينية وما حولها من شمال الخليج الى رديس والجانب الآخر الى دوقية اعالم حتى ما يعرف بورديس على ورد وحدد بينهم وبين الله على قرب وعمر وديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الدمستق وضيق عليهما وكاتبا ملك الروسية واستمده وعرض عليه الترويج بحب اهما فاجابهما لما طلباه منه من استمداده فاشتغلت احتهم من سلانيك سبعة ايام في ادين فتنصر ملك روسيه وكان ذلك اول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها وسار بها الى قسطنطينية ورديس فاقتتلوا فقتل وردس واستقر لمكان في ملكهما وكاتب وردا واصطلحا معه وأقراه على ما بيده من الممالك وبقي دهرا طويلا ثم هلك مسموما

﴿ استطراد ﴾

حيث ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فهنا يحسن ذكر ابتداء دخول غيرهم من دول الافرنج في النصرانية وذلك توفيقا اولا على ذكر ابتداء دوله كل دوله منها وكيف كانت ديانتها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك ان اقدم الدول واقواها في اوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا اقوى الدول وكانت الدول في اقطار الارض تخضع لهم وتنقاد لامرهم وينتهي نسب ملوك الفرس الى وشهنج وهو هلائيل بن

قيمان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وسيم ملكا مسلماً صالحاً له ملك واسع وآثار جميلة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأحدثوا دين المجوسية واتخذوا الهين اثنين النور والظلمة فأثبتوا انهما هو النور وشيطاناً وهو الظلمة وقالوا ان النور هو الله وقالوا انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلمة اله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهرمن فأصل دينهم مبني على تعظيم النور وهو يزدان وتحقير الظلمة وهو اهرمن فلما عظموا النور عبدوا النار وقيل ان الفرس وملوكهم ينتهي نسبهم الى فارس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون انهم من ولد كيومرث وهو آدم عليه السلام ويقولون ان الملك فيهم من كيومرث وهو آدم عليه السلام وبقي فيهم الى ان استلبه منهم المسلمون من هذه الامة في اوائل ظهور الاسلام وكان في زمن قوة ملكهم موجودا في مشارق الارض ومغاربها ملوك كثيرة ولكن هم كانوا اقوى الملوك وكان اكثر الملوك ينقادون لهم ويدخلون تحت طاعتهم ومن جملة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك اليونان وملوك الروم الى ان صار ملك اليونان للاسكندر فقاتلهم وقهرهم واستلب الملك منهم وجعل في ارضهم ملوكا من اكابرهم صاروا تحت طاعته يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين ملكا وكذلك قهر الاسكندر ملوك الروم فكانوا تحت طاعته من حين غلبة الاسكندر للملوك الفرس فصار ملك اليونان اقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك الروم وهذا الاسكندر يقال له الاسكندر الرومي مع انه كان من اليونان لكنه نسب الى الروم لغلبته اياهم وقهره لهم ودخولهم تحت طاعته وانتهى نسب اليونان الى يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار الروم ايضا تحت طاعته وقيل ان اول من ظهر امره من اليونان رجل اسمه اللن ولد سنة اربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك اليونان سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان تاريخ غلبة الاسكندر للفرس والروم بعد مضي خمسة آلاف سنة ومائتين واحدى وثمانين سنة من هبوط آدم عليه السلام الى الارض وذلك ايضاً بعد مضي ثلاثة آلاف سنة وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك ايضاً بعد مضي الف وتسعمائة سنة وثمانية وخمسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام وبعد مضي الف وستمائة سنة وثلاث عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام واما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد غلبة الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام يؤرخون بغلبة الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون بميلاد عيسى عليه السلام وتركوا التاريخ بغلبة الاسكندر ولما بعث نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطلح المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على انهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى عليه السلام ستمائة واحدى وثلاثين سنة وقيل ستمائة واحدى وعشرين سنة وكان اليونان يعبدون الكواكب وكانت لهم اصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليوناني وكان كثير منهم ينكرون حدوث العالم ويقولون

انه قديم و يعتقدون التأثير الطبيعي وذا حلب الاسكندر ملوك فارس والروم بني الملك في
اليونان الى مضي ثلاثة عشر ملكا منهم وملك في مدة مائتين واثنين وعشرين سنة اولهم
علة الاسكندر ثم علبهم الروم واستولى الملك منهم فصارت العلة لملك الروم وهو
الذي حلب فارس والروم غير الاسكندر المذكور والله اعلم اي قال انه ملوك الروم كما
في ذلك جماهير المفسرين لان آخر منهم حقيقة الاسكندر الرومي المذكور في القرآن
مسلما صالحا اقر بنبوة ابراهيم كما قال الاسكندر الرومي مذهور طويلة وانه ملك
علوا اليونان واستولوا على ملكهم وهو من عقب رومي بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم
عليهم السلام وملك الروم الى ان استولوا على ما مضى من ملك اليونان وكان
ابتداء ملك ايليون الى الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمس وعشرين سنة وكان
ولاية الروم عندهم الى ان ملكوا على صور الى ان كبر فكانوا ناصين في دلك
اليونان لان لهم بني اباهم ان اقوياء على دين ملكهم واستقر الروم على دلك الى ان
دخلوا في دين النصرى ودلك بعد مضي مائتين وسبع وثلاثين سنة من ميلاد المسيح عليه
السلام وان بعض ملوك الروم تنصر على يد بعض الاساقفة وصار يقتل من يدعو الى الله المسيحية و بعضهم
يقتلها و يردها الى ان غلب منهم الملك قسطنطين فاراد نصر الله المسيحية ودخل فيها وامر الناس
بالدخول فيها واتسعت بها واقام دلك سنة ثلاثة وسبعين من ميلاد المسيح فنصر الروم حينئذ
وكان مقر ملك الروم بمدينة رومية الى ان بنى القسطنطينية فان ملكها قسطنطين المذكور هو الذي
بناها ونقل كرسي الملك من رومية الى القسطنطينية وكان دلك سنة ثلاثمائة واثنين وعشرين من
ميلاد المسيح عليه السلام وقيل غير دلك والتاريخ بالقسطنطينية واما من كرسي اسمها الى يومنا هذا
فكان سنة ثلاثمائة وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام واما مدينة رومية فمن قول من انها ملك من ملوك
الروم قبل غلبتهم لليونان اسمه روملس و يقال لها رومة و رومة وكان بناؤها الى ميلاد
المسيح عليه السلام بسبعمائة وثلاث وخمسين سنة واما سائر ديار علكة اليونان للروس وعلكة
الروم لليونان واخباريات الواقعة بينهم فلا حاجة لي بذكر شيء منها لان دلك شيء طويل لا فائدة في
ذكره والملك الروم اليونان وعلوا عليهم واستولوا على ملكهم جميع ملوك الروم كثير من الملوك
ودخل تحت طاعتهم كثير من الملوك الذين لا يستطيعون محاربة ملك الروم كملوك الافرنج الذين
في اوروبا وكثير من ملوك اوربيا وآسيا وصار ملك ملك الروم صحيحا قويا و سعا واستمر
دلك الى سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة
استلب ملك ايطاليا ملك رومة وانتزعها من ملك القسطنطينية وهو ملك الامم وعصبها

عن ملكه وصارت من ممالك ايطاليا لكنه لم يستقل بملكها بل نازعه في ذلك كثير من دول اوروبا ووقع بينه وبينهم محاربات وانتزاع ورجوع مرة بعد اخرى والكلام على ذلك طويل وماصار لملك ايطاليا استقلال تام بالملك الا سنة الف وسبع وعشرين من ميلاد المسيح الموافق ذلك سنة اربع ثم ثة وثمانية عشر هجرية فاستقلالهم بالملك تأخر الى هذا الوقت وان كانوا متقدمين بالنسبة الى وجود اصل ملكهم فهم اقدم دول اوروبا بالنسبة لكونهم اول من اخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام استقلالهم متأخرا واما اول الاستقلال فهو سنة اربع مئة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة بل كان لهم ملوك ايضا قبل ذلك لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان اول وفودهم الى ارض ايطاليا وسكناهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بالف وسبعمائة سنة فهذا وجه قول من قال انهم اقدم ملوك الافرنج الذين في اوروبا ومن حين وفودهم في ذلك الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك واما دخولهم في دين النصارى فكان بعد ميلاد المسيح عليه السلام بخمس مئة سنة ولم يزل دين النصارى ينتشر عند الافرنج بمكان اوروبا الى سنة خمسمائة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام تمزداد انتشاره حتى عم اكثرهم وتأخر عن الدخول فيه الروسية لانهم ما دخلوا فيه سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم ولما كانت ايطاليا اقدم تلك الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام على مثل ما كانوا عليه حين كان بين اظهرهم من الاقرار لله بالوحدانية ولنه بالرسالة مع الاقرار بأنه عبد الله ورسوله ثم بعد رفعه دخلت عليهم شبه حصل بسببها الافتراق في دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية ويعقوبية فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهؤلاء يقولون الآلهة ثلاثة المسيح وامه والله ويقولون ان المسيح ناسوت كلي قديم ازلي من قديم ازلي ويقولون ان مريم ولدت الها ازليا ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ويطلقون ايضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا واما النسطورية فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالامتزاج بل قالوا ان الكلمة اشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة او على بلور واما اليعقوبية فيقولون انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم واما المسلمون فقالوا كما ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فهذا هو المراد من الكلمة ومن الشبه التي دخلت على النصارى حتى قالوا بالوهية عيسى عليه السلام انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وما عقلوا ان ذلك بامر الله بل هو فعل الله وخلقه وايجاده أجراه على يد عيسى عليه السلام وقد اقام الله عليهم الحجة في ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات فكيف يكون الها من يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الا به وايضا اكل الطعام يستلزم البول

والعائط فكيف يكون الها من يحتاج الى ان يبول و يغوط فاكل الطعام كناية عن الاكل و لعائط لكن لم يعبر بالبول والغائط لعدم لياقتهما والقرآن اعرض عن اقاطه في عادة نراهة و لعدونة مع عناية مصاحة والسلامة ومن شبههم ايضا كون المسيح ولد بلاب فنسبوه الى الله تعالى وتعالى عن قولهم آما عند المسلام فانه اغرب من عيسى عند السلام فانه بلاب ولام وقد قال الله انهم عندي شبهه حيث قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فعيسى آدم بلاب ولا أم فحب من خلق عيسى من أم بلاب وبعد دهور طويلة افترق نصارى مرقس اخذهم تسمى كاوليكيه والاخرى بروتستانيه ومعذلك فبينهم اختلاف كبير و بشعب من اختلافهم مذهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها وكلهم يقتسمون بالمسيح ثم منهم من يقول ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن والروح ومنهم من يقول انه الروح وقد وفق تلك الثلاثة الامام محمد بن عبد الوهاب الى قيام الساعة هم يؤمن وقرنه جميع اهل الاسلام واعلم انه قد دخل الاشعث والخوس وغيرهم من غير هذا الموحيين ثم قال وكل الذين ذكرناهم يقولون بالله واحد جميع العالم حق لا تعدد الله ثلاثة واحد وهو وثلثة حق لله واحد حق فمنهم من يقول ان الله ثالث ثلاثة هم الاب والابن والروح القدس ومنهم من يقول الاب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم بكرور اسم الله وهو عندهم كلمة كاثوليكيه وهي عندهم مدح عندهم بمثل المسيحة باهل اسمه عند المسيح ان ايقنه به والمسلمون يقولون ان محمدا في الله ثالث ثلاثة في الروح بل هم الآن كلهم معترفون بانه رسول الله وحمدون في اذان الصلوات والمقدسوا ويعتقدون ان محمدا من اولي العزم من الرسل في نصارى الشام ومصر والعراق والحبشة والحاصل ان اهل المذهب الكاثوليكي كانوا هم كلهم ملكانية ورئيس المذهب الكاثوليكي عند النصارى هو الاسقف اعظم وهو لقب كبير القسيس اعظم ويسمونه البابا ومقره وسكنه رومة عاصمة دولة ايطاليه فله ادبسه على كل متمسك بالمذهب الكاثوليكي يعني ان له النظر في احداث الاحكام لدينية الخطة فهو عندهم عبارة عن نائب عن المسيح وكان له عندهم ملك سمى في الاصحاح الذي تحت سلطته واثر ايطاليا على المذهب الكاثوليكي وكانوا في سنة ستمائة وست وعشرين من بلاد مسيح اثنا عشر مائة وثمانية من اهمها وجعلوا الباباوات جهورية تكون تحت رياسة ملك بلاد تريشه بدأ امره ولم يزل في عز الباباوات حتى صارت لهم سطوة لدين والدنيا وكانت لهم ممالك واسعة في الافرنج وكانوا قوة في الدين والدنيا بحيث انهم صار لهم حق كبير في تولية ملوك الافرنج وعزلهم حسب مشيئتهم فكانت سطوتهم نافذة على كل ملوكهم وكان غيرهم من الملوك تاج واحد واما هم فكان لهم ثلاث تيجان واحد فوق واحد دلالة على كمال اسلطنة وملوكها مع اعتبارهم عندهم بهم عند ما كانوا يركبون على الخيل يمسك لهم الركاب كثير من ملوكهم وكانوا اذا امروا بمحاربة امة لا يخالفهم احد ويحرقون من حالفهم بالنار وهو حي وكان البابا مرة لما امر ملوك ان يقف حافيا ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره ليصلب منه العفران ورئيس البابا مرة رجله تاج ملك حرمانيا حيث كان حيا امامه طلب العفران قال بعض مؤرخي الافرنج المتأخرين ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ في رؤساء الدين فكانوا

يذعنون لكل احكامهم و يخضعون لكل مايستقر عليه رأيهم كأنه منزل من الله تعالى لا يشوبه عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق فى اوروبا مملكة الا واضطربت من افعالهم ولا ملك الا تعكر من مطامعهم ولا كرسى الا وارتج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط امر البابا وات شيأ فشيأ الى سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق الف ومائتين وثمان وثمانين هجرية فسقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون الى عاصمة مملكة البابا واخذوها منه وابقوه على الكاتوليكية رئيسا فقط ومقره فى الكنيسة الرومانية وليس له من الرياسة غير ذلك واستمر الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاحكام بين الرعايا وما يتعلق بالسياسة وتدبير الملك فقد جعلوا لها قوانين دونوها بعقولهم واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا سائر دول اوروبا مع انه كان عندهم فى الانجيل وفى الكتب القديمة احكام مدونة تتعلق بالعبادات والمعاملات والانكحة فتركوا كثيرا منها واسسوا تلك القوانين العقلية ورأوها اقوى فى تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تقدم انهم يسمون كاتوليكية استمروا على المذهب الكاتوليكى الى القرن التاسع فما سار المكرون رياسة البابا صاحب رومة صاروا يسمون المنكرين لرياسته بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن مذهب اهل السنة عند المسلمين فالمسلمين من اهل السنة يسمون المخالفين لهم بالمبتدعة فصار عند النصارى الملكانية لا يسمى كاتوليكيا الا من اعترف برياسة البابا ومن لم يعترف بها فهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا الاصطلاح عندهم فى القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثيرهم لا يستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له انت بروتستان يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل انا كاتوليكى وان كان غير معترف برياسة البابا ثم ان بين الفريقين ايضا اختلافا فى مسائل كثيرة فاعظمها ان البروتستان لا يعترفون برياسة البابا بل يقولون هو من جملة رؤساء الاساقفة ولا تنحصر رياسة الاساقفة فيه بل هى فيه وفى اسقف القسطنطينية واسقف اسكندرية لا مزية ولا رياسة لاحدا ثلاثة على الآخرين ولا يزيد قدر احد الثلاثة على الآخرين واما الكاتوليكية الاصليون عندهم فهم المعترفون برياسة البابا صاحب رومة على غيره ومن الاختلاف الواقع بينهم ان بعض البروتستان يخالفون مذهب الملكانية الاصلى للفريقين فى اعتقاد التثليث لانهم نظروا فى كتب اهل الاسلام وادلتهم على وحدانية الله فاعترفوا بصحة تلك الادلة واعترفوا بوحدانية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبد الله ورسوله و يوافقون النصارى فى بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة بينهم وبين الكاتوليكية لكن هذا الاعتقاد اعنى اعتقاد الوحدانية لله تعالى لا يقول به كل البروتستان بل بعضهم والبعض الآخر من البروتستان يقولون بالتثليث مثل الكاتوليكية لكنهم سموهم بروتستان لعدم اعترافهم برياسة البابا بل يقولون اصول الاساقفة اسقف رومة واسقف القسطنطينية واسقف الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مخالفة اختلافا كثيرا لم يتفقوا كلهم على شئ

منها الا لدعاء فانهم كلهم اعترفوا بشروعيته واما صلاتهم وصيامهم وباقي عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فمن ذلك ان الصوم يقول الكاتوليكية انه فرض ويقول البروتستان انه سنة وليس بفرض والصوم المذكور هو صوم اربعين يوما في فصل الربيع الذي يكون قبل الصيف بحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن الكاتوليكية الاكثر منهم وهم اهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو امساك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها في الاربعين يوما واما البروتستان وبعض الكاتوليكية الذين ضعفت ديانتهم فانهم يجوزون في حالة الصيام تناول الطعام والشراب لكنهم يقولون لا يجوز تناول اللحم بجميع انواعه وكذا ما تولد من الحيوان كاللبن والسمن والبيض والحوت فانهم يجوزون تناوله حالة الصيام ويتناولون ايضا الخبز والحلوى وسائر الاطعمة غير اللحم الذي ليس لحم حوت ويشربون الخمر والماء في حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين ان لكل منهم اولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف في بعض الاولياء فهذا البعض يعترف به احد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان الاولياء الذين يعتقدهم الكاتوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروتستان وهنالك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم اهل الديانة الروسية (ارثودكس) وذلك بسبب عدم اعترافهم برياسة البابا وان كانوا موافقين الكاتوليك في جميع ما هم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية واهل الديانة الروسية يقولون نحن كاتوليك افتخارا بهذا اللقب فيقولون لهم كذبتم انتم لاتينية ونحن اهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكثر فيها بعضهم بعضا لا حاجة الى ذكرها واوعى المدار عندهم في الفرق بين الكاتوليكية والبروتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم الاعتراف بها وقد عرفت ان الاصل الاصيل عندهم في تأسيس الديانات والاقدمية في الملك هي دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون رياسة البابا فيكونون عندهم بروتستان لكن الاكثرون منهم يعترفون بها فيقرون لهم بانهم كاتوليك وبعض من الفرنسيس والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى بالكلية في الباطن وان كانوا يعترفون بها في الظاهر واما في الباطن فصاروا كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون في الباطن بشيء من دياناتهم بل ولا بنبوة عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون الصانع ولا يعترفون ببعث ولا نشور ويقولون ما هي الا ارحام تدفع وارض تلفع وما يهلكنا الا الدهر فهؤلاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه ويظهرون انهم على ملة النصارى وفي هذا القدر كفاية فلنتمم الكلام على ذكر بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم في النصرانية (اما دولة الفرنسيس) فأصلهم ايضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد في اوقات مختلفة واستوطنوا تلك الارض التي هم فيها الآن واخص تلك القبائل واشهرها قوم يقال لهم الكليتيين ويقال لهم ايضا الافرنك بالكاف ثم غيرت بجيم فصار الافرنج وقيل اصله فرنك بالكاف فابدلت الكاف سينا فصار فرنسه وفي تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيس قال هذه الامة المعروفة بالافرنجة تسميها العامة بالافرنسيس نسبة الى بلد من امهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهي نسب الاكثر منهم الى يافث بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير جنسهم

وصاروا ملحقين بهم والغالب انه اذا اطلق الافرنج انما ينصرف اليهم فيرادبهم الفرنسيس وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين باوروبا حتى صار هذا الاطلاق شائعا في هذه الازمان وابتدأ الملك في الفرنسيس من سنة اربعمائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين واثنتين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه واما قبل ذلك فكان لهم ملوك لم ينتظم امرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا تارة يكون لهم استقلال وتارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره واما اذا اعتبر ابتداؤهم الاصلي فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم ملك مستقل في تلك الازمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التي على صور الكواكب وعبر بعضهم عن دياناتهم قبل دخولهم في النصرانية بما تشبه دياناتهم عباد الاوثان ثم دخلوا في النصرانية سنة ست وتسعين واربعمائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان اول من دخل منهم في النصرانية الملك كلويس واكثرهم يدعون انهم على المذهب الكاثوليكي وكثير منهم على المذهب البروتستاني ومنهم من لا يتدين بدين النصارى ولا غيرهم وينكرون بعثة الانبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتستروون ويقولون انهم على دين النصارى ومن ملوك الفرنسيس المشهورين كارلوس الكبير المسمى شارلمان كان ساعيا في ترقي اسباب العلوم العقلية والفنون الادبية والصناعية التي يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث في الملك خمسا واربعين سنة وكان معاصرا لهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات واهدى اليه الرشيد مرة شطرنجا عجيبة وساعة فلكية من مخترعات بلاد المشرق واهدى اليه ايضا انواعا كثيرة من البرورات التي تزرع وليست في بلادهم الافرنجية وارسل له مفاتيح كنيسة في بيت المقدس واذن الرشيد العمال الذين كانوا له في بيت المقدس ان يعاملوا الزوار الذين يأتون من بلاد الفرنيس للزيارة احسن المعاملة ومات شارلمان المذكور سنة ثمانمائة واربعة عشر مسيحية الموافق مائتين وتسعة وتسعين هجرية فيكون موته بعد وفاة الرشيد واما عدد سكان ارضهم وعدد رعاياهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الافرنج من المحاربات وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكليز امر غريب عجيب وهو انهم تحاربوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست عشرة سنة تارة تكون الغلبة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من سنة الف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سبع مائة وثمان وثلاثين هجرية وانتهاؤه بالصلح بينهم سنة الف واربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية وذلك مبسوط في تواريخهم ويسمونه حرب المائة سنة وكان استيلاء الفرنسيس على الجزائر بافريقية سنة الف ومائتين وست واربعين وفي سنة الف ومائتين وست وتسعين ادخلوا المحاكم التونسية في حمايتهم (واما دولة الانكليز) ويقال لها دولة انكلترا او برطانيا فكان اول ظهورهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمس وخمسين سنة وكان بينهم وبين الافرنج دول اوروبا محاربات كثيرة ولم ينتظم

الملك لهم ويتم الاستقلال الاسبانية ثمانمائة وسبع وعشرين مسيحية الموافق مائتين وثلاث واربعين هجرية وكان اول دخولهم في النصرانية سنة خمسمائة وست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم اصل القبائل العربية بالمغرب وهم الكاتوايكده وهم برتستان والدهرية واما اصلهم الذي ينتمي اليه نسبهم فهم اصناف مجتمعون من اصناف وفروع شتى وفيهم جماعة من الكلتيين وجماعة ينتهي نسبهم الى افت بن نوح عليه السلام ولهم حديث مفصل لست اذكره هنا جزيرة بريتانيا والاخرى جزيرة ارلندا ولذلك اشتهرت عملكة بريتانيا وبرتستان وكانوا في اول امرهم كاوحوش يسكنون جلود الوحوش وكانت مساكنهم جحرة القيمونها تارة الاصواء واوراق الشجر وتارة من القنن وكانوا يعيشون كالحيوانات يتعيشون بها وجاءهم سنة جدب لم يجدوا فيها شيئا يقتاتون به فجاعوا وطحنوا ويبيع الماء يحملون مرهم سهر ويبوح حتى صارت لهم دولة وكان استيلاؤهم على الهند مبتداه سنة الف وسبعمائة وسبع وخمسين مسيحية الموافق سنة الف ومائة وتسعين هجرية وغاية استيلائهم على الهند سنة الف وثمانمائة وست عشرة مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وغانية هجرية وكان استيلاؤهم المذكور بعد حروب شديدة وما استيلاؤهم على جل طارق التي في المغرب وكان سنة الف ومائة وست عشرة هجرية انتزعوه من الاسبانيول في السنة المذكورة وقد حاول الاسبانيول والفرنسيس انتزاعه بعد ذلك من الانجليز مرارا عديدة فلم يتيسر لهم ذلك وكان الاسبانيول هم الذين حاصروهم في السنين سنة ثمانمائة وسبعة وتسعين هجرية وهذا الجبل من اعظم الحصون في العالم ويعد مفتاحا للبحر المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الاندلس فاصل بينها وبين اوربية ويسمى حينئذ الفتح وجبل طارق وهو طارق بن زياد الذي فتح الاندلس سنة تسعين وتسعمائة من الهجرة وطارق هذا هو مولى موسى بن نصير نصر اللون وفتح الله على يديه وموسى المذكور هو مولى عبد العزيز بن مروان حوعبد الملك بن مروان ووالد عبد العزيز فسمي الجبل باسم طارق المذكور لانه نزل بالمسلمين عنده بقصد فتح الاندلس وتسمى جبل الفتح ايضا للعلة المذكورة وتعدد بعضهم جبل الطارق وصوابه جبل طارق

﴿ واما دولة اسبانيا المسماة ايضا اوسترا ﴾

فهم ايضا من اصناف شتى واكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دون وروبا يدخلونهم تحت طاعتهم ويتعلون عليهم وما حصل للنمسا استقلال الملك التام الا من سنة تسعمائة ومثتين وعشرين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانية واربعين هجرية ودخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال فيمن يأتي ذكرهم من الدول الاالروسية فانه تأخر دخولهم في النصرانية الى سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

﴿ واما دولة الروسية ﴾

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال جرمانيا ايضا المانيا وهم امم كثيرة بعضهم مغول شتى وبعضهم

طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة اربع وخمسين من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة مسيحية الموفق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حمايتهم كثير من الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع

﴿ واما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ﴾

فهم ايضا متجمعون من اجناس كثيرة ومنهم من ينتهي نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وكانوا قبل استقلالهم في الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم لما تقوى بعض دول اوروبا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنتين وستين مسيحية الموافق مائتين وثمانية واربعين هجرية وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول اوروبا ودخولهم في النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

﴿ وامادولة اسبانيا ويقالهم ايضا الاسبانيول ﴾

فهم ايضا من اجناس مختلفة وكان لهم ملوك في القديم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو اقوى منهم من ملوك اوروبا ثم استولى المسلمون على اكثر ممالكهم لما فتح الاندلس فكان الاندلس تحت يد اسبانيا الى سنة ثنتين وتسعين هجرية فانتزعه المسلمون منهم وبقي لهم ملك ضعيف في آخر الاندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الاندلس من المسلمين شيأ فشيأ الى اواخر التسعمائة من الهجرة ثم اخرجوا من بقي من المسلمين بالاندلس في سنة الف وعشرة واستقلوا بالملك وكانت ديانتهم عبادة الاوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه من تقدم ذكرهم

﴿ واما دوله البرتوعال ﴾

فكانت تابعة ايضا للرومانيين وكانت ممالكهم في اواخر الاندلس لما استولى المسلمون على الاندلس اضافوها الى ما بيدهم من الاندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة اربعمائة وتسع وثمانين هجريه واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوعال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة الف وخمسين هجرية

﴿ واما دولة هولاندا ويقال لهم الفلمنك ﴾

فكانت تحت طاعة اسبانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة الى ان استقلوا بالملك في حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان في السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة الدنيمارك ﴾

فكانت تحت طاعة ملوك اوروبا الى سنة ست وتسعين وثلاثمائة والف مسيحية الموافق سبعمائة وتسع وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

﴿ وامادولة السويد والنورويج ﴾

فكانت ايضا تحت ملوك اوروبا ثم ساروا تحت طاعة الدنيمارك ثم استقلو بالملك سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

﴿ واما دولة البلجيك ﴾

فهى من ممالك جرمانيا وما صار استقلالها الا من سنة الف وثمانمائة وثلاثين مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وست واربعين هجرية

﴿ واما دولة السويسره ﴾

فكانت ايضا يتداول التملك عليها ملوك اوروبا واستقلت بالملك سنة الف وستمائة وثمان واربعين مسيحية الموافق سنة الف وثمان وخمسين هجرية

﴿ واما دولة باواريا ﴾

فملكتهم تجمع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الممالك وملوكها تحت طاعة من قوى من ملوك اوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة سنة خمسمائة وثلاثين مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثنين وتسعين سنة ثم صارت هذه الممالك فى هذه السنين تابعة لملك السروسية

﴿ فائدتان ﴾

الاولى تتفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف فى دين النصرانية وهى انه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون باهل الكتاب فى حل اكل ذبيحتهم وفى حل تزوج المسلمين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد نسخه فلا يلحقون باهل الكتاب فيما ذكر ونسخ دينهم انما كان ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازى فى تفسيره عند تفسيره قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح الكتابية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن قالوا والدليل عليه قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من دان بالكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم اهل الكتاب اه وذكر الخطيب الشربينى فى تفسيره مثل ذلك فى حل اكل ذبائحهم وهذا الذى ذكره كل منهما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه واما اهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل اطلقوا القول بحل اكل ذبائح اهل الكتاب ونكاح التزوج من نسائهم ولو دخلوا فى دين اهل الكتاب بعد نسخه

﴿ الفائدة الثانية ﴾

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام فى غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرف والصنائع وانواع السياسات وتدبير الحروب وانواع العلوم العقلية وما وجد ذلك فيهم وانتشر الا بعد ظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم التمدن والحضارة قال بعض مؤرخيهم عند ذكر الحروب التى كانت بينهم وبين المسلمين فى القرن السادس ايام السلطان صلاح الدين الايوبى المسماة بحرب الصليب مانصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير من النفوس وذهب فيها كثير من الاموال من غير حصول على المقصود لكنه اعقب نتائج نافعة لهم منها أنهم من ذلك الوقت شرعوا فى ترتيب العساكر وتعلموا مواصلتهم المسلمين صناعة التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألفوا التواريخ النافعة وتوسعوا فى معرفة علم الفلك وألفوا فيه وتخلقوا باخلاق الحضر وتعودوا الاسفار براو بحرا الاستكشاف

احوال الاقطار واكتشفوا على امريكا فى اسفارهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ولم تكن قبل ذلك معلومة لاحد قط واكتسبوا من المسلمين انواع الفروسية واللعب بالخيل والرماح وتعاطوا المعانى العربية فى كلامهم واشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين بالاندلس وتعلموا ايضاً المشورة فى الاحكام وعلموا ان الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة فدونوا لهم احكاما وقوانين يرجعون اليها واستكثروا من جمع كتب الاسلام وترجمتها لمسامعهم ليعلموا معانيها فأخذوا منها مايكون به صلاح الملك واتخذوا مدارس لتعليم انواع العلوم وعلموا ان الملك لاينتظم الانذلك كله ومن مقالات بعض مؤرخيهم لا تصلح السكنى ببلد حتى تكون الشريعة فيها اقوى من السلطان ومراده بالشريعة ماأسسوه من القواعد العقلية لاحكامهم وسياسة ملكهم واذ كان هذا فى تلك الاحكام المنقلة فكيف اذ رجع المسلمون الى شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحى من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم السلطان تابعا لحكمها ولا شك انها تكون اقوى من السلطان وقال بعض مؤرخيهم ايضا ما لعب امة من الامم بمنزلة الاستقامة الا باحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل كما ان عدم احترامها يكون مدعاة لرجوعها الى التقهقرى ولاسوهم ان ذلك لبركة فى قوانينهم العقلية وانما ذلك بسبب انتسابها على التحريف لما دنى ومراعاة الوازع الدينى واما الشريعة المطهرة فهى اقوى من ذلك كله لانها مؤيدة على الوحى الالهى الذى يحصل من اتباعه كمال البركة واذا كانت محافظة قوانينهم رومية موجبة لانحطاط فلاشك ان محافظة الشريعة المطهرة تحصل منها كمال الانحطاط مع مايعقب ذلك من العذاب فى الدار الآخرة وقال بعض مؤرخيهم وبالجملة فالسبب الذى كمل به ملة الاوربا ون من الامم الاسلام المتقدمة عليهم فى التمدن والحضارة كان اخذهم التمدن عند الاوربيين

* تتميم *

ذكر كثير من المفسرين للقرآن العزيز وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا الدنيا من مشرقها الى مغربها لاثة مسلمان وكافر فالمسلمان منهما سليمان بن داود عليهم السلام وذو القرنين واما الكافر منهما فهو النمرود الذى كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ورد بعضهم رابعا كافرا وهو بخت نصر فيكونون اربعة مسلمان وكافران لكن قال ابن الاثير فى الكامل أن بخت نصر لم يملك الدنيا كلها وانما كان له ملك واسع وهو الذى خرب بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل واسر سبعين الفا منهم لان الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصى والمخالفات وبخت نصر هذا كان مجوسيا من مجوس بابل ولم يعرف له اب وكان عاملا على العراق لملك الفرس وكان ابتداء ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة وبين الهجرة وتخريبه بيت المقدس الف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وبقى خرابا سبعين سنة ثم عمر وتراجعت اليه بنو اسرائيل والذى عمره بعض ملوك الفرس بوحى من الله تعالى الى النبى ارميا عليه السلام فاخبر ذلك النبى ملك الفرس فامتثل امره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد رفع عيسى عليه السلام بأربعين سنة وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخمسين سنة

(١ وكان)

وكان ذلك التخريب لما وكل ليهود بحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فقتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم وخربوا بيت المقدس وقد ذكر الله تعالى هذين التخريبين في القرآن العزيز في سورة الاسراء في قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً أولي بأس شديد الآية وذكر المرة الثانية في قوله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم اي بعثناهم وسلطناهم ليسوؤا وجوهكم وبقي خبر الى ان عمره ملك من ملوك الروم بعد نصرهم وبنى كنيسة عظيمة على الصخرة التي يزعم النصارى ان عيسى عليه السلام دفن فيه وحرفوا هيكل بيت المقدس الى الارض وألقوا في موضعه وامات البلد ورملته وبقي موضع الصخرة اسفل بعيدة مزبلة وبقي على ذلك الى ان فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس وأزال ذلك وارجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى اعلم ورجع الى ما نحن بصدده من ذكر الموجبات للاسلام فنقول وبالله تعالى وثقته وبالاعتماد على فضله ورحمته ان الله تعالى لما اراد حفظ بيضة الاسلام وحماية حوزته وحراسة أرجائه وحصر حلاله وحرامه وحدوده ومعالمه وسوس الى عدوهم الملعون الكردي ماه عشر بن مروان ملك الروم الى ان قال وفي هذه السنة اعني سنة احدى وثلاثين ومائتين جهز جيوشاً كثيرة ولعنهم الله فقهرهم فعادوا الى ثغورهم وهو في ارضهم فتح لا بد منه وسائر عساكره ولديه وتلوه الاشد فالاشد حتى استولى على جميع بلاد الروم وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة جمع الملك الرحيم وسار الى حدود بلاد الخلاف ووقع بين المسلمين وبينهم وقعة عظيمة وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وقع الخلاف بين ملوك الاسلام وتحاربوا فملك الروم ملطية وسار حتى نزل على عمورية وهي حصن منيع وحولها ملك كثير من الخلق لا يحصى عددهم الا الله وفي هذه السنة اعني سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

* ذكر ما وقع من الوقائع بين المسلمين والكفار *

في سنة ثلاث وثلاثين جهز جيوشاً كثيرة لغزوه وفتح حصوناً كثيرة وغنائم واسرى والله تعالى ملك الهند في عصرنا هذا ملكاً عظيماً وله من الجيوش ما لا يحصى عددها ولا يحد مدها وهم يحبونه ويعظمونه ويقدمونه ويقاتلون معه اقوياء اشداء ويقاتلون قتالاً شديداً وصبراً عظيماً فلما اتصف الهند بهذه الصفات الجميلة وقاتلوا اعداءهم مقاتلة عظيمة واسر ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وعظم المسلمون فيهم القتل واخذوا اموالاً جليلة وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك قلادة كانت في عنق ملكهم من الجوهر العديم النظير قومت بمائتي الف دينار واصيب امثالها في اعناق مقدمي الاسرى وعمموا جميعاً الف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة فلما وقع من سوء حظه احب ان يطلق ملك الهند الذي اسره ليراه الهنود في شعار الذل فأطلقه على ما قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهند انهم من حصل منهم في ايدي المسلمين اسيراً لم يعتقد له بعدها رياسة فلما رأى ملك الهند

حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم القى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ ذكر غزوة اخرى الى الهند ايضاً ﴾

ثم مرع يمين الدولة السلطان محمود سكتكين من امر جيال رأى ان يغزو غزوة اخرى فسار نحو الهند فأقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهراً و بلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد و العناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم و أكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالماً ظافراً

﴿ ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند ﴾

فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطية من اعمال الهند وهى مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة ايام ثم انهزم فى الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو واصحابه فسبقه المسلمون الى باب البلد فغلقوه عليهم واخذتهم السيوف من بين ايديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية واخذت الاموال واما الملك فانه لما عاين الهلاك اخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر الملك الا وقد احاطوا به وحكموا السيوف فى اصحابه فلما ايقن بالعطب اخذ خنجرا فقتل نفسه واقام يمين الدولة ببهاطية حتى اصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من اسلم من اهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقى فى عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق بما معه ومن عسكره شئ عظيم

﴿ ذكر غزوه المولتان ﴾

فى سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان والبهاكان قد اسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب الى الالحاد ودعا اهل ولايته الى ما هو عليه فاجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التى فى طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى انندبال يطلب اليه ان يأذن له فى العبور من بلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان فدخل بلاده وجاسها واكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر انندبال من بين يديه وهو فى أثره كالشهاب فى أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع ملك المولتان بجر اقباله علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل امواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فادا اهلها فى ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم اهلها عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم

﴿ ذكر غزوة كواكير ﴾

ثم سار عن المولتان الى كواكير وكان بها ستمائة صنم فافتتحها واحرق الاصنام فهرب صاحبها الى قلعة له فسار خلفه اليها وهى حصن كبير يسع خمسمائة الف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون الف دابة وفى الحصن ما يكفى الجميع مدة فلما قام بها يمين الدولة

(و بقى)

وبقي بينهما سعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا حد طاقة عليه فأمر بقطعها ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار مابسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة ورمى نوحا وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ثم نازله احتلال في حراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف مناصفة وليس خلعة يمين الدولة بعدان سقى من شد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وانفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتمدونه وعاد يمين الدولة الى خراسان لاسلاح ما اختلف فيها وكان عازما على الدخول في الاد الهند

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة سار يمين الدولة نحو الهند وسبب ذلك ان بعض اولاد ملوك الهند كان قد اسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم فكان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه محاربا فجرى بينهما حرب قتل فيها كثير من رجاله واستعاد يمين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض اصحابه وعاد الى غزنة

﴿ ذكر غزوه بهم نغر ﴾

في سنة ثمان وتسعين غزا يمين الدولة وانتهى الى شاطئ نهر دمند فلقيه هناك ابرهمن پال ابن انندپال في جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على اعقابهم واحدهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة اثر ابرهمن پال حتى بلغ نهيم نغر وهي على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها انواع الذخائر قربا تعدقرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان مالم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال ورجعهم اليهم مرة بعد اخرى حملوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها في خواص اصحابه وثقاته فاخذ منها من الجواهر مالا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاواني الذهبية والفضيات سبعمائة الف وار بعمائة منا وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم فعرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فادخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله

﴿ ذكر غزوة بالهند ﴾

في سنة اربعمائة نحو يمين الدولة الى الهند عازما على غزو ناريين فسار اليها واحرقها واستباحها ونكس اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لاقوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وحسين فيلا وان يكون له في خدمته الفافارس لايزالون قبض منه ما بذله وعاد عنه الى غزنة

﴿ ذكر غزو بين الدولة بلاد الغور وغيرها ﴾

في سنة خمس وأربعمائة غزا بين الدولة بلاد الغور وهي بلاد تجاور غزنة وكان الغور كفارا يقطعون الطريق ويخيفون السبل وبلادهم جبال وعرة ومضايق علقة وكانوا يحتمون بها ويمتنعون بصعوبة مسلكها فلما كثر ذلك منهم أنف عن الدولة ان يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الغوريون فسمع بين الدولة الحال فجد في السير اليهم وملك عليهم مسالكهم وتمزقوا وساروا الى عظيم الغورية فمر من مدينته في عشرة آلاف مقاتل فقابلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فرأوهم أنجم الناس واقواهم على القتال فأمر بين الدولة عسكره ان يولوا الادبار على سبيل الخديعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك تبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم وضعف المسلمون عما بهم ووضعوا السيف فيهم فأثبتوهم قتلا وأسرا وكان في الاسرى كثير منهم وتبعهم المسلمون الى مدينتهم وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعا فلما رأى كبيرهم ما فعل المسلمون بقومه تلقاهم بما كان معه من الذهب والجواهر وسائر الذخائر وكان ذلك هو الحسران المبين واظهر بين الدولة في تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه ويأمرهم بالصلاة الى طائفة اخرى من الكفار فقطع مفاوز ورمالا وقطع عسكره عطشا شديدا كادوا يهلكون منه فلطف الله سبحانه وتعالى بهم ورحمهم فأنزل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير في الرمل فوصل الى الكفار فهجم عليهم ومعهم سعاة قليلة وعاجلهم اشد معاجلة فسلم منهم قوم وقتل قوم ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار واخذ اموالهم وأسكنهم الرعب منهم وعادوا منصورا

﴿ ذكر فتح بين الدولة ميافارقين ﴾

في سنة اربع واربعمائة سار بين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده واصحابه وسار الى حيث سلك المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاوع المسلمين وذهب الى الهند يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم خلق من تحمل سلاحا فلما تكاملت عنده الرجال ونصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين اكتافهم فهزموهم واكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوته ارسل الى الخليفة القادر بالله يخبره ويكتب له منشورا وعهدا بخراسان وما يليه من الممالك ولقبه نظام الدين

﴿ ذكر غزوة تانيشر ﴾

في سنة خمس وأربعمائة ذكر بين الدولة ان ناحية تانيشر فيها من جنس فيله الفيلة الموصوفة في الحرب وان صاحبها عال في الكفر والطغيان والفساد للمسلمين فعزم على غزوه في عقر داره وان يدهمه شرة من كاس قتاله فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة فلقي في طريقه اودية مهيبة للغور وغير الممالك وقد مسحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والاطراف

قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الحرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على ضفته بجمع من عسكره ومعه عساكره وفيلته التي كان يدل بها اى يتعزز بها فأمر يمين الدوله بحمل عسكره بعبور النهر واشعال النار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المحصنات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهنود وطنه المسلمون وعموا ما معهم من اموال وفيلة وعادوا الى عزنة موفورين ظافرين

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

في سنة ست واربعمائة غزا يمين الدوله الهند على عادته فحصن ادلاؤه بشرقوه وقع هو وعسكره في مياه قاصف من البحر وعر في حصى كثير تغص معه وحاص الماء به يما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ ذكر غزوه قشمير وقنوج وغيرهما ﴾

في سنة سبع وربعمائة سير يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنه الى الهند عازما على غزو قشمير وكان قد ولي على ما بينه وبين قشمير من بلاد الهند واتاه المنصوعة نحو عشرين الف مقاتل مما وراءه وغيره من بلاد وسا الهند لانه اسمه سرا نما وغير نهر سيحون وحيلوم وهم نهران عظيمان شديدا الجريه فوسط ارض الهند واما رسل ملوكها بالصاغة وبذل الاتاوه فلما قرب قشمير من حدها واسد على بلده وسار بين يديه الى مقصده فلما بلغ ماحون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات المسجده والحصون المنيعه حتى بلغ حصن هودب وهو احد ملوك الهند فطن هودب من اعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وارعبه وعلم انه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشره آلاف يبادون بكلمة الاخلاص طالبا للخلاص فعدله يمين الدوله وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من اعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عسكره وحمله الى اطراف تلك الغياض فمنعوه من سلوكها فترك يمين الدوله ما يهم من يقاتلهم وسلك طريقا يحصره الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا واحدهم السيف من خلفهم فلقوا نهرا عميقا دون ايديهم فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كلجند الى روحته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وعم المسلمون اموالهم وملكوا حصونه بمسار نحو بيت متعبد لهم وهو من مهر ة الهند وهو من احصن الابنية على نهر وانهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام من الذهب الاحمر من صنعة ماخواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فاخذ يمين الدوله ذلك جميعه واحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل اليها في شعبان فراى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يروون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائتي الف سنة الى ثلاثمائة الف سنة

منهم وزورا ولما فتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا القليل ثم سار نحو قلعة آسى وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه وما فيه ثم سار الى قلعة شروة وصاحبها جندرآى فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمى بها وعمى خبره فلم يدر اين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه وسار فى طلب جندرآى حريدة وقد بلغه خبره فلحق به فى آخر شعبان فقاتله فقتل اكثر جند جندرآى واسر كثيرا منهم وغنم ما معه من مال وفيول وهرب جندرآى فى نفر من اصحابه فنجا وكان السبى فى هذه الغزوة كثيرا حتى ان احدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة امر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وانفق ما غنمه فى هذه الغزوة فى بنائه وفى هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار عامل كل قطر منه متغلبا على ما بيده لضعف ملوك بنى أمية وكثرت الفتن بينهم وبين العلويين بنى ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى

﴿ ذكر خروج الترك من الصين ﴾

فى سنة ثمان واربعمائة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة الف حركاه وكانوا احياسا منهم الخطابية الذين ماكوا ماوراء النهر وكان خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان اقرب بلاد الاسلام اليهم بلاساغون وكان ملكها من صالحى ملوك الاسلام يحب العلم واهله ويميل الى اهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك ايضا تركستان ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليه وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فبلغه الخبر وكان مريضا فلما سأل الله ان يعافيه فينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يعمل به بعد ذلك ما اراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى الف رجل واسر نحو مائة الف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين ما لا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وما اشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى فى غزوة الخندق فانه دعا الله ان لا يميته حتى يأخذ ثاره من بنى قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانتقام منهم وقتلهم انفجر جرحه ومات رضى الله عنه ولما مات طغان خان ملك بعده اخوه ارسلان خان ولقب شرف الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية ﴾

فى سنة تسع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد واعد اكثر مما تقدم وقصد بيدا اللعين وكان اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشا وتسمى مملكته كجوراهة وسار يمين الدولة عن غزنة وابتدأ فى طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال

(١ ويفسدون ؟)

و يفسدون فى الارض و يقطعون الطريق بين غزنة و بينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم اموالهم واكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على المسير و بلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته و عبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى فعلا قد بلغت عدة احماله الف عدد فغنمها وهى من العود والامتعة الفائقة وجد به السير مأتاه فى الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له پروچيبال قد سار من بين يديه ملتجئا الى بيدا يحتمى به عليه فطوى المراحل فلحق پروچيبال ومن معه رابع عشر شعبان و بينه و بين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض اصحابه و شغلهم بالقتال ثم عبر هو و باقى العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهزم پروچيبال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر واسلموا اموالهم واهليهم فغنمها المسلمون واخذوا منهم الكثير من الجواهر واخذوا ما يزيد على مائتى فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير فى امره وارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره مالا يحصى وسار پروچيبال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة ماري وهى من احصن القلاع والبلاد واقواها وارآها من سكانها حالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متاهبة الحصانة وقتل من اهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر واجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يسيرا يقاتل منه اذا اراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين الف فارس ومائة الف و اربعة وثمانين الف راجل وسبعمائة وستة و اربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد اصحابه حتى كثر الحمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد كر يمين الدولة اليهم فرأى ادبارهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا لطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم فى الغياض والآجام واكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

* ذكر فتح قلعة من الهند *

فى سنة اربع عشرة واربعمائة غزا يمين الدولة الهند واوغل فيها فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهى كبيرة تسع خلقا و بها خمسمائة فيل وفى رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وادام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثيرا فلما رأوا ما حل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم وأقرهم فيها على خراج يأخذه منه وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمرى من خاصيته انه اذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منهما ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة الحمها

﴿ ذكر فتح سومنات ﴾

فى سنة ست عشرة واربعمائة فتح يمين الدولة فى بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان اعظم اصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده مايزيد على مائة الف انسان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الوقوف مايزيد على عشرة آلاف قرية وقد احتوى فى البيت الذى هو فيه من نفيس الجوهر مالا يحصى قيمته ولاهل الهند بحر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتى فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات مايغسل به ويكون عنده من البراهمين كل يوم الف رجل لعبادته وتقديم الوقود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل وجسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شئ معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات واوانه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا فى الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة لعشر شعبان فى هذه السنة فى ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتسوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفى طريقه الى الهند بريه قفر لاساكن بها ولا ماء ولا مير فقهرها وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف رجل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى فى طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد عوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله له فتحها عند قربه منها بالرعب الذى قذفه الله فى قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها واهلك اوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذى القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن فى الهرب وقصد حصنا له يحتمى به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى فى طريقه عدة حصون وبها كثير من الاوثان شبه الحجاب وانتقى لسومنات على ماسول لهم الشيطان وقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر اصنامها وسار الى سومنات فى مفازة قفرة قليلة الماء فلقى عشرين الف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فارسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهى على مرحلتين من سومنات وقد ثبت اهلها له ظنا منهم ان سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم اموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذى القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه امواجه واهله على الاسوار يتعرضون على المسلمين واثقين ان معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله فغارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم

وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعملت الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات وعفروا له جدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان بعد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فكثروا في الهنود القتل واجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه اشد قتال وكان الغريق منهم بعد الغريق يدخل الى سومنات ويعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى ان يقتلوا حتى كاد الله ان يستوعبهم وفي منهم القليل فدخلوا البحر الى مراكبهم ليتحولوا فيها فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض وامتلأت لدى فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر صلد خمسة اذرع وثلاثة ما ورة ظاهرة دون ذلك في البناء وليس بصورة مصورة وحده بين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأحدر بعضه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر العائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كل منى طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فتقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في الديوان يزيد على عشرين الف الف دينار فاحدا الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين المرس جهة سومنات اربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من البراهمين يسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه انه عكن حوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه وستجار الله تعالى وخاصته هو ومن معه فخرجوا سالمين ورأوا بهيم قد فارق قلعته وأخلاها وسار عنها وقد سلمها وقد سلم المصورة وكان صاحبها قد اسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فيه واحتمى بعض اثرة فعصمه يمين الدولة من موضعه من فأحاطه به وبمن معه فقتلوا اكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه اهلها ودخلوا له وحمل الى غزنة فوصلها عامه ذلك من سنة تسع عشرة واربعمائة

* ذكر غرق اسطول الجزيرة الصقلية *

في سنة ست عشرة واربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية وجمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قلورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن يتطرقون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن خت الملك وبلغ ذلك المعز بن باديس عامل افريقية للعبيديين فجهز اسطولا كبيرا اربعمائة قطعة وحشد وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الاسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديد دوى عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

* ذكر غزوة للمسلمين الى الهند *

في سنة احدى وعشرين واربعمائة غزا احمد بن بلتكين النائب عن يمين الدولة بلاد الهند

مدينة للهنود وهي من اعظم مدنهم يقال لها نرسي ومع احمد نحو مائة الف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الاعمال واكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون فى ذلك الجانب يوما من بكرة النهار الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقى اهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر احد على المبيت فيه لكثرة اهله فخرج منه ايأ من على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة مانهب انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله فلما فارقه اراد العود اليه مرة اخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه اهله وفى هذه السنة توفى بمرو الدولة السلطان محمود ابن سبكتكين وعمره احدى وستون سنة ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا محبا للعلماء مكرما لهم ومحبا للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنيه محمد ومسعود وتم الملك لمسعود

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه ﴾

فى سنة احدى وعشرين واربعمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية فى ثلاثمائة الف مقاتل الى الشام فلم يزل يسير حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان اصحابه مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن انها كبسة فخاف ورحل وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شئ البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى ان الملك لبس خفا اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ماكان معهم

﴿ ذكر غزو فضلون الكردى الخزر وما كان منه ﴾

كان فضلون الكردى هذا بيده قطعة من اذربيجان استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا الخزر فى هذه السنة وقتل منهم وسبى شيأ كثيرا فلما اراد العود الى بلاده ابطأ فى سيره وظن انه دوخهم وشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمتطوعة الذين معه اكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التى اخذت منهم وغنموا اموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة الرها ﴾

فى سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرها برجان حصينان احدهما اكبر من الآخر الكبير يدا بن عطير والصغير يدا بن شبل فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه ما بيده بعشرين الف دينار وعدة قرى فتسلموا البرج الذى له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه اصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد فسمع نصر الدولة بن مروان مالك بلاد الكرد الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى غيرهم بالبيعة التى لهم وهى من اكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا اكثرهم ونهبوا البلد

(وبقى)

وبقى الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخل الروم البلد وملكوها وماجاورهم من بلاد المسلمين فصالحهم ابن وثاب النميرى على حران وسروج وحمل اليهم خراجا وفى هذه السنة توفى الخليفة القادر بالله وكانت خلافته احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وبويع بعده ابنه القائم بأمر الله

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

فى سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم قلعة افامية بالشام بسبب اختلاف اهمال من المسلمين فدخل حسان بن المفرج الطائى بلد الروم هاربا من الدزبرى عامل الشام لخليفة مصر ولبس حلية ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فملكها وغنم مافيها وسبى اهلها واسرهم

﴿ ذكر فتح قلعة سرستى وغيرها من بلاد الهند ﴾

فى سنة خمس وعشرين واربعمائة قصد السلطان مسعود بن محمود سكتكين قلعة سرستى وهى من امنع حصون الهند واحصنها فحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على اخذ اموالهم وحملها لمسعود من جملة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة فى نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صارهم ملكهم فرجع عن الصلح وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم واخذ ماجاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة نفسى وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه اقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندى طويلا واخذت مكنسة فلطمتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فرض واصبح لا يقدر ان يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ماكان به واقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾

هذه قلعة متاخمة للارمن كانت فى يد ابى الهيجاء بن ربيب الدولة ابن اخت وهودان بن عملان فتنافرهو وخاله فارسل خاله الى الروم فاطمعهم فيها فسير ملك الروم اليها جمعا كثيرا فملكوها سنة خمس وعشرين واربعمائة فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى ابى الهيجاء وحاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها وفى سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا جموعا وامدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعا الى السويدا وربضها وكان الروم قد احدثوا عمارتها فى ذلك الوقت واجتمع اليها اهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الامر فخرج البطريق الذى فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه

الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب وقدم عساكر نصر الدولة الحدن فكمنها لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير و اسر مثلهم واسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا الباب والا قتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا الباب للحرص على حفظه وتخلص اجنادا لروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا مافيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبي واكثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصراً للقلعة ثم ان حسان ابن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بمسيره فسار اليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها بجمع من الروم الى حران فقاتلهم اهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون الى الرها فصالح ابن وثاب الروم الذين بالرها فخرج عنهم وسلم اليهم بعض الرها وكثر الروم بها وعمروها وحصنوها وفي سنة تسع وعشرين هادن المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قمامة وارسل الملك اليهم من عمرها واخرج على عمارتها مالاً جليلاً ثم انتقضت الهدنة سنة ٣٢ وجهز الروم جيشاً فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حماة وافامية واشتد القتال ثم ان الله نصر المسلمين وادال الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم للملك وبذلوا في فدائه مالاً جزيلاً وعدة وافرة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى بعدها وفي سنة اثنين وثلاثين ايضاً قتل مسعود بن محمود سبكتكين وقتل ابنه مودود والقتل لمسعود اولاد اخيه محمد والقصة طويلة ليس هذا محل ذكرها وفي سنة خمس وثلاثين اخرج ملك الروم من القسطنطينية المسلمين والغرباء وبقي ان لا يقيم احد ورداً لبلد منذ ثلاثين سنة على اقدم بعدها كل فخرج منها اكثر من مائة الف انسان ولم يبق بها اكثر من اثني عشر الف صنمهم الروم فتركهم

﴿ ذكر قتل مودود بن مسعود بن محمود سبكتكين عدة من حصون بلد الهند ﴾

وفي سنة خمس وثلاثين وار بعمائة اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لهاور وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وارسل الى صاحبه مودود ويستنجده فارسل اليه العساكر فاتفق ان بعض اولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلدهما فسارت العساكر الاسلامية الى احدهما فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاعتصموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم واكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يصيروا الى ذلك باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغنموا الاموال واطلقوا ما في الحصون من اسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت

الهند

الهنود واحلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح واسر ضعفاؤهم وعم المسلمون اموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند مالقى هؤلاء اذعنوا بالطاعة وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

﴿ ذكر اخبار الروم والروسية ﴾

وفي سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية في البحر يريدون حرب الروم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر فالتقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق واما الذين في البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم اولا استرق ومن امتنع حتى اخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا القليل مع ان ملك الروسية وفي سنة تسع وثلاثين سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

﴿ ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم ﴾

ولنذكر اولا ابتداء ظهور الدولة السلجوقية اصلهم من الترك الذين ماوراء النهر اسلم جدهم سلجوق ووافقه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار الحرب الى ديار الاسلام وصار يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك خراسان المسلمين وقائع وقتال يطول الكلام بذكره وولد له اولاد قاموا بالجهاد بعده وكثرت جموعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان والعراق شيأ فشيأ الى ان دخلوا بغداد وادهشوا دولة بني بويه وتغلبوا على الخلفاء كما كان بنو بويه وكان دخولهم بغداد في خلافة القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر سنة سبع واربعين واربعمائة وكان الداخل منهم بغداد السلطان طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق وتوفي السلطان طغرلبك سنة خمس وخمسين واربعمائة وصار الملك بعده لابن اخيه الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك في بنيه الى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان ابتداء تملكهم طوس وقيل الري سنة اربعمائة وتسع وعشرين فتكون مدة ملكهم مائة وستين سنة وطغرلبك ضبطه ابن خلكان بقوله بضم الطاء وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بعدها كاف وهو اسم تركي مركب من طغرل وهو اسم علم وبك معناه امير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف وكانت هذه الغزوة التي سنذكرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التي سنذكرها هي انه في سنة اربعين واربعمائة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم اينال اخو السلطان طغرلبك السلجوقي فظفروا وغنموا ووصلوا الى ملازكرد وأرزن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر للروم يبلغون خمسين الفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فاكثروا القتل في الروم وهزموهم واسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن اسر قاريخ وكان من ملوكهم فبذل في فداء نفسه ثلاثمائة الف دينار وهدايا بمائة الف فلم يجب الى ذلك ولم يزل السلجوقية يجوسون تلك البلاد الى ان صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا اكثر من مائة الف

راس واخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالايقع عليه الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف عجلة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف درع ثم فى سنة احدى واربعين واربعمائة ارسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمعاهدة فاجابه اليها وعمر ملك الروم مسجدا بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فاقاموا بالمسجد المذكور الصلاة والخطبة لطغرلبك بامر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرلبك وتمكن فى ملكه وتملك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

﴿ ذكر غزوة اخرى للسلجوقية ﴾

فى سنة ست واربعين واربعمائة سار طغرلبك سلطان السلجوقية الى ارمينية وقصد ملازكرد وهى للروم فحصرها وضيق على اهلها ونهب ماجاورها من البلاد واحرق بها وهى مدينة حصينة وانار السلطان المذكور فى هذه الغزوة آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا ولم يبلغ فى غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء ومن السلجوقية قتلمش ابن عم طغرلبك كانت له وليعهده دولة فى قونية واقصرا وبلاد الروم لان السلجوقية لما انتشروا فى البلاد طالبين للممالك دخل قتلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها وافتتح بلادا واسعة وبقى الملك فى بنيه الى ظهور الدولة العثمانية فى تلك الممالك التى افتتحوها وكانت تحت ايديهم قونية واقصرا وسيواس وتوقان وانقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية ونيكسار واماسية واعمال هذه المدن

﴿ ذكر فتح الب ارسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية ﴾

فى سنة ست وخمسين واربعمائة غزا السلطان الب ارسلان بلاد النصارى فسار من الرى الى اذربيجان ثم سلك مضايق الى ان وصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر ارس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالايحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرا مع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وانزلوا منها اهلها وكان بالقرب منها قلعة اخرى ففتحها ملكشاه واراد تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى اهل هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فأعد نظام الملك

(لقتالها)

لقتالها مايحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار واخذهم الاعيا والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليها السلالم وصعدوا الى اعلاها لان المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى اهلها المسلمين على السور فت ذلك فى اعضادهم اى اضعفهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه ونظام الملك البلد واحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من اهلها واسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان ابنه ملكشاه و نظام الملك فلحقوه فى بلاد الكرج وفرح بما يسره الله من الفتح على يدولده وفتح ملكشاه فى طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى مالايحصى ثم ساروا جميعا مع السلطان الب ارسلان الى تسبيذ شهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين كثير ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان و يطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من اهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار وقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من اهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة مالا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة ثم سار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونوره فخرج اهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منهما الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الجارة الكبار لاخذها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها مايزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله مالم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة

وقتلوا من اهلها مالا يحصى عددهم تعيب ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد بسبب كثرة القتلى واسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذا الفتوح فى البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخليفة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا فى عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج فى الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة وقبل ذلك وفى سنة ثنتين وستين واربعمائة اقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم جموعا للعرب ثم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره ﴾

فى سنة ثلاث وستين واربعمائة حرج ارمانوس ملك الروم فى مائتى الف من الروم والفرنج والروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو عدينة خوى من اذربيجان وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن معه من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وحد فى السير وقال لهم انى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى وسار واقاربوا العدو وجعل له مقدمة فسارت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه واذنيه وسلمه الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لا هدنة الا بالرى فازعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين الله وقد وعدالله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فليصرف فها هاهنا سلطان يامر وينهى وألقى القوس وانشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فخصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الارض من جثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض الغلمان فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذى اسره قد عرضه سيده على نظام الملك فرده استحقارا له فأثنى عليه سيده فقال نظام الملك عسى ان يأتينا

ملك الروم اسيراً وكان كذلك فلما اسر العلام ملك الروم احضره عند سيده وقصد السلطان
وحبره بأسر الملك فأمر باحضاره فلما احضر صربه السلطان اثنا رسلان بلاثة قرع
بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فأبيت وقتل رعيتي واخربت وافعل ما تريد وقال
السلطان ماعزمت ان تفعل بي ان اسرتني وقال افعل القبيح قال له ما تصنع بي افعل بك
قال اما ان تقتلني وما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى تعيدة وهي العفو وقبول
الاموال واصطناعي بائتاً عليك قال ماعزمت على غير هذا وفداه بألف الف دينار وخمسمائة
الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اي وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم
واستقر الامر على ذلك واقامه في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار بجهة وخلع عليه
جماعة من البطارقة وخلع عليه من عنده وقال ملك الروم ان جهة الخدمة فدل عليه وقام
وكشف رأسه وومأ في الارض بخدمته وهذه الخدمة عندهم حيث سيره الى بلاده
وسير معه عسكراً وصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان مرجعاه من الروم فلما لقيهم خبر
بوفاة ابن ملك الروم وتمهد على مملكة فلما بلغه وصول ارمانوس الملك الى قلعة
سوقيه لعبد الحق فلبس الصوف وظهر الزهد وارسل الى محتشل يعرفه حقيقة مع السلطان
وقال شئت ان تفعل مع سيدك وان شئت مسكت وأخذته محتشل بأيسر ما سعى وعلمت
وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال وكان مائتي الف دينار
وأرسله الى السلطان وطلما شهد عليه جواهر بمبلغ الف دينار وخلع عليه خلعة لا مزيد
على غيرها وأمر ارمانوس ان يتولى على عمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان
الب ارسلان وذكروا هذا الفتح فأكثروا لأنه شبيه فتوحات الصحابة رضي الله عنهم

﴿ ذكر مقتل السلطان الب ارسلان ﴾

في سنة خمس وستين واربعمائة قصد السلطان الب ارسلان ما وراء النهر لقتال ملك من
ملوك الاعاجم فلما وصل الى بلخ عرض عساكره فبلغ شمس الملك محمد على ستمائة الف فارس
سوى من عنده وعبر النهر بعساكره في ثلاثين يوماً وعسكر على مدينة الف فارس فأتاه الخبر بمسيره
فعبر النهر بعساكره وسار حتى نزل على مدينة سرخس فلما بلغه مسيره مع علامين فأرسل
عليه على ركابه وأمرهما ان يضربا له اربعة اوتاد ويشداها اليها ففعلا به ذلك
وتعجب مثلي يقتل هذه القتلة فعبى السلطان الب ارسلان واحد نفوسه وانشب وقال
للعلامين حاياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف وزيد
والسلطان على سريره فقام عنه وعثر ووقع فمرك عليه يوسف وضربه في حاضرته
بسكين كانت معه وقتل الاتراك يوسف وقطعوه وهجم السلطان ودخل الى خيمة اخرى
ومات السلطان من جراحته تلك بعد ثلاثة ايام وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر
اجتمعوا وحتموا حتمة وسألوا الله ان يكفيهم امره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان
قال ما من وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان امس صعدت
على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر وقلت في نفسي ان ملك الدنيا

ومايقدر احد علي فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله واستقيله من ذلك الخاطر وتملك بعده ابنه ملكشاه وفي سنة سبع وستين وار بعمائة توفي القائم بأمر الله و بويع حفيده المقتدي بأمر الله وفي سنة ثمان وستين اخذت مدينة منبج من الروم ورجعت الى الاسلام والذي انتزعها منهم نصير بن محمود بن مرداس

﴿ ذكر فتوح في بلاد الهند ﴾

في سنة اثنتين وسبعين واربعمائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين صاحب غزنة بلاد الهند فحصر قلعة اجور وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه وفتح ايضا قلعة روبال وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق مملوء بالفيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب الى ان ملك القلعة واستنزلهم منها وكان في موضع يقال له دره نوره اقوام من الكفار لم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام اولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم منهم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة الف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره في طريقه عقبات كثيرة واشجار ملتفة واهله كفار فقاتلهم ثلاثة اشهر الى ان نصره الله عليهم فقتل كثيرا منهم وسبي وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأي متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه السلجوقي جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور في غزنة وينتزع الملك منه ونزل باسفزار فكتب ابراهيم بن مسعود كتبا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وامر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده بجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل على امرائه وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلاده ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زوج ابراهيم ابنه مسعود بابنة ملكشاه

﴿ ذكر فتح انطاكية وانتزاعها من الروم ﴾

في سنة سبع وسبعين واربعمائة سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية الى الشام فملك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حصرها بعساكره ونصب السلالم فصعدوا عليها واخذ البلد فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم اذعنوا له فعفى عنهم وتسلم القلعة واحسن الى الرعية ورجع سالما

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ﴾

في سنة اربع وثمانين واربعمائة خرج الفرنج بجموع كثيرة وتملكوا جزيرة صقلية بعد حروب

كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف امر الخلفاء قد تفرقوا ممالك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك متغلب عليها مستبد لا يسأل عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى ان بقي بايدي المسلمين قصريانة وحرجنت فحصرهما الفرنج في سنة اربع وثمانين واربعمائة بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل للمسلمين وتضييق شديد عليهم حتى اكلوا الاموات فلما اشتد الامر عليهم ادعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله تعالى في السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بايديهم وفي سنة خمس وثمانين توفي السلطان ملكشاه السلجوقي ووقع بين اولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب الملك وفي سنة سبع وثمانين واربعمائة توفي المقتدي بامر الله وبويع ابنه المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجار الفرنجي من ملوك ايطاليا ثم طمعوا في املاك كثير من افريقية فخرجوا في اسطول كبير وجم غفير من مشهوري فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة ونزلوا بساحتها واداروا المراكب بجهاتها فاجتمع اهلها وقاتلوا قتالا شديداً فقتل منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وعموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك اكثر رجالها ومن بقي منهم احموا لانفسهم اماناً من صاحب صقلية وافتكوا اسراهم وسبيهم وحريمهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وعلقوا الكلاليب في سور البلد ونقبوه ثم وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوي اهل البلد بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا اسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى حيجل فلما رآهم اهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من ادركوا فيها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذي بناه الامير يحيى بن عبد العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا ثم جهزوا اسطولا كثيرا وسيروه الى طرابلس الغرب فاحاطوا بها براً وبحراً فخرج اليهم اهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين اهل طرابلس مع بعضهم آل الامر فيه الى قتال بعضهم بعضا فانتهز الفرصة الفرنج ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج البلد عنوة وقهراً بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجا الى البربر والعرب ثم نودي بالامان في كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة اشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما رجعوا اخذوا رهائن من اهلها وولوا عليها رجلا من اهلها واخذوا رهائنه وحده واعادوا رهائن غيره واستقامت امور المدينة والزم ملكهم اهل صقلية والروم بالسفر اليها وعمرت سريعا ثم ان اهل قابس عصى اميرهم على الحسن بن علي بن يحيى بن تميم امير افريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك فسير اليه صاحب صقلية الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بمجمع من الناس فسمع بذلك الحسن امير افريقية فجهز عسكراً كثيراً فساروا الى قابس ونازلوها وحصروه وثار اهل البلد

بالامير الذى ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم و بينه وسيروه الى امير افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك انهم قطعوا ذكره وجعلوه فى فيه وتولى على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من اقارب الامير الاول الى صقلية وشكوا الى صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهز اسطولا كثيراً بلغ نحو مائتين وخمسين شينياً مملوءة رجالا وسلاحاً وقوتاً وقصدوا المهدية وكان بها امير افريقية الحسن بن على وكان قد حصل بافريقية فى تلك السنين قحط وغلاء شديد حتى ان اكثر الناس فارقوا البلاد والقرى وساروا الى صقلية فلما علم الحسن بن على بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والاعيان وشاورهم فى القتال فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان يحصرونا براً وبحراً ويحولوا بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهراً فنؤخذ قهراً و انا أرى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك فاذا رأى ان نخرج بالاهل والولد ونسلم البلد فمن اراد أن يفعل ذلك فليباد رهم امر فى الحال بالرحيل و اخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج ناس كثير معه بأهلهم واموالهم واولادهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفى الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا ممانع ولا مدافع ووجدوا قصر الامير خاليه لم يأخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من خطاياه ورأوا الخزائن مملوءة من الذخائر وكل شئ نفيس عز بحيث يقل وجود مثله فختم الفرنج عليه وجمعوا سراري الحسن من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم ناد وا بالامان فخرج من كان مستخفياً و بعد جمعة رجع اهل البلد واما الحسن امير افريقية فانه سار الى ملك مراكش عبد المؤمن بن على فأكرمه واحسن نزله و بقى عنده مكرماً الى ان فتح المهدية عبد المؤمن بن على كما سيأتى ذكر ذلك ولما استقر الفرنج بالمهدية سيروا اسطولا الى سفاقس واسطولا الى مدينة سوسة واسطولا الى قابس فأما اهل سوسة فانهم لما سمعوا بخبر المهدية وكان اميرهم على بن الحسن امير افريقية خرج على المذكور والتحق بأبيه الحسن وخرج الناس لخروجه ودخل الفرنج البلد بلا قتال و اما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد وملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقى من الرجال وسبى الحريم ثم نودى بالامان فعاد اهلها اليها واقتكوا حريمهم وفعلوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج الى قلعة قليبية وهى قلعة حصينة فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقاتلوا الفرنج حتى هزموهم وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فرجعوا خاسرين الى المهدية ثم رجع الفرنج اليهم مرة اخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا صقلية تتابعت اغاراتهم على افريقية فملكوا جزائر ومانطة وجربة وقطاون وغير ذلك وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن العرب الى القيروان وكانت هذه الوقائع متتابعة فى سنين وكان ابتداؤها سنة ثلاث و ربعين وخمسمائة وذكرناها متتابعة ليتصل بعضها ببعض وفى سنة اربع واربعين وخمسمائة اختلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى

بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم عن المسلمين ولولا ذلك لملك صاحب صقلية جميع بلاد افريقيه وكان اقتتالهم ودين صاحب القسطنطينية برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل فم الميناء واخذ عدة شوانى لصاحب القسطنطينية واسر كثيرا من الروم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم وبالمسلمين حرحى وزير صاحب صقلية ثم هلك حرحى ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه فعقد صلحا مع صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة وفي سنة ثمان وارمين وخمسمائة هلك رجار ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غليام وكان فاسد التدبير وسلك طريقة مدارك الاسلام من الجنائب والحجاب وغير ذلك واسكن في الجزيرة صقلية لفرنج مع انسيين واكرم المسلمين ومنع من التعدي عليهم وقربهم فخرج عن حكمه عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الامر الى افريقية فانه كانت سنة احدى وخمسين وخمسمائة قوى صبح الناس وه فخرج عن طاعته جريدة وجريدة فرقسه واظهروا الخلاف عليه وحالف عليه اهل افريقية منهم اهل سفاقس وقد كان ابوه رجار لما فتحها استعمل عليها ابا الحسين الفرياني وكان من اعظماء الناس فاقدم الجور والضعف وعلم انه استعمل واديء فاستعمل ولده عمر بن ابي الحسين واخذ امواله وهيبة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر انى كبير السن وقد قاربت اجلي حتى امكنك الفرصة في الخلاف على العدو وافعل ولا تراقبهم ولا تطرني اني اقتل واحسب اني قدمت فما وجدت الفرصة سانا أهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة تقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا انه ان سيدنا الشيخ والدك تخاف عليه قال هو امرني بهذا واد قال ما شيخ أوف من الاعداء فاقامات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم تبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقفاس وسار عسكر له دائم من الى بونة فملكوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرصهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقسم عرب البلاد الى زويلة فاغاروا اهلها على من بها من الفرنج وقطعوا المادة عن المهدية فلما اتصل الخبر بعليا ملك صقلية أحضر ابا الحسين والد عمر صاحب سفاقس وعرفه ما عمل ابنه وامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لا يرجع فكتب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست لامراء فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليام فاخبره بما صنع عمر بن ابي الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب وبأهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من العدد

فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واما اهل سفاقس فانهم ركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فجاءلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فمن قتلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها عبد المؤمن وسيأتي ان شاء الله ذكر ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج في افريقية واما ما كان منهم في هذه السنين في الديار الشامية فسيأتي ذكره عند ذكر الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان نذكر بقية ما كان بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما تبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك نذكر حرب الصليب

﴿ اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك ﴾

وقد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولو بسط الكلام فيها لطال وبقي كثير من غزواتها واخبارها لم يذكر فينبغي تمام الكلام على ذلك تتميما للفائدة واكثر المؤرخين لم يذكروا فيها كثيرا من اخبار الاندلس فصار المشهور المستفيض عند اكثر الناس اخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم بالاندلس ملك ضخم وكانت لهم وقائع ومجامع واخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من ذلك وان كان في بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التي لاجلها كان جمع هذا الكتاب لان ذكر ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغرا والصاد المهملة وهو مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز وعبد العزيز هو اخو عبد الملك بن مروان والاندلس مشتمل على فحول العلماء المبرزين في كثير من الفنون ومشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال في نفح الطيب نقلا عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الربع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الغواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض الوان الاسنان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام اتقدس بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها اعادها الله للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايضا ان الاندلس بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجنبات منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة وفي نفح الطيب ان من الاندلس مدينة شنترة من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دوركل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابن اليسع قال لي ابو عبد الله الباكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح مايقل الحامل على رأسه غيرها دوركل واحدة خمسة اشبار وفي الاندلس

ذكر عجائب من اخبار الاندلس

ذكر اختيار هذا
لسبوكير

من انواع المعادن ما لا يحصى وبها المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوماً وعرضه سبعة ايام ويشقها انهار كبار كثيرة وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وازيد من ثلاثمائة من المتوسطة وفيها من القرى والمحصون ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وقيل ان طول الاندلس اربعون يوماً وعرضه ثمانية عشر يوماً واما طيب ثمار الاندلس فلا يعلم له شبيه في الدنيا قال بعض العلماء ان النصارى حرموا الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا يعني بذلك الاندلس وقال بعضهم ان لمرية مدينة من مدائن الاندلس كان يباع فيها نسيج طرز الحرير بمعامله بول وللحمل العنبة والدراهم لعجز الجمال بول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الحرجانية كذلك وللاصبهانية كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف واتسع ملك الاندلس فيما وكانت دور قرطبة زمعة عشر ميلا وعرضها ميلان وعدد دور الرعايا الواجب على اهلها اهلت داخل السور مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار غير دور الوزراء والكبار الناس وعدة دور اهل الدولة ستة آلاف دار وثلاثمائة دار ومساجدها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثون مسجداً وحماماتها سبعمائة وكانت قرطبة قبة الاسلام وبها استقر سرير الخلافة والامارة وهي معدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومحصولها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه مائتان وخمسون ذراعاً وسوارها الف وارمعمائة وهو مرخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازورد وخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منها منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام اليه وكانوا لا يكون فيهم مقلس الا من حط الوطأ وقبل الامن حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويجعلون في مساجدهم نواباً يصلون بالناس الجمعة نيابة عنهم وتقدم ان ملوك بني امية الذين كانوا بالاندلس اول من تملك منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ويقال له عبد الرحمن الداخل كان ابتداء ملكه بالاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة هرب من الشام مستخفياً حين كان ابتداء دولة بني العباس وكانوا يقتلون بني امية فلما كان بالاندلس تغلب على عمال بني العباس الذين كانوا بالاندلس واتسع الملك منهم فكان له ملك صحيح وكان في عصر المنصور بني خلفاء بني العباس وكان المنصور يسميه صقر قريش قال المنصور يوماً لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو قالوا امير المؤمنين يعنون المنصور الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما عدتم شيئاً قالوا فمعاوية قال ولا هذا قالوا فعبد الملك ابن مروان قال ولا هذا قالوا فمن يا امير المؤمنين قال عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقلع القفر ودخل بلدا اعجمياً مفرداً فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام الملك بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعمرون ودلالة صنعه وعبد الملك كان بيعة له عقدها وامير المؤمنين يعني نفسه بطلب عبره واجتماع شيعته وعبد الرحمن معتمد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه اه وقد كانت مدة ملك عبد الرحمن الداخل ثنتين وثلاثين

ذكر ما انفقه في بناء مدينة الملك الناصر

سنة وخمسة اشهر توفى سنة اثنتين وسبعين ومائة وعمره تسع وخمسون اوثمان وخمسون سنة ومن عقبه الخليفة عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ولى الملك سنة ثلاثمائة وتوفى سنة ثلاثة وخمسين واتسع الملك بالاندلس فى مدته ومن اتساعه انه بنى تجاه قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكناه هى من محدثات الدنيا دالة على عظم قدر بانيها وانفق فيها من الاموال خمسة وسبعين مائة الف دينار وكان عدد العتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر الف رطل غير انواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة آلاف وثلاثمائة واربعة عشر وعدد الصبيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون وميل ستة آلاف وثمانمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف حبزة وينفع لها من الحمص كل يوم ستة افرق واما اوصاف مدينة الزهراء فانها طويلة ثم لما كثرت الفتن فى الاندلس هدمت تلك المدينة ومن اعرب ما يحكى عن الناصر انه اراد التفصد يوماً وفعد فى البهو الكبير المشرف بأعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وحس يد الناصر فبينما هو كذلك اذ أطل زرزور فصعد على اناء من ذهب فى المجلس وأنشد ذلك الزرزور

* ايها الناصر لله أبشر المؤمنينا * انما تفصد عرقا وهو محى العالمينا *

وحمل تكرر ذلك المرة بعد المرة فتطرف الناصر ذلك وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكروا له ان ام ولده الحكم صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين الف دينار وتقدم ان الناصر مكث فى الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسروراً فيه بدون نكد وتكدير يكتبه ووجد ذلك مكتوبا بخطه فاذا هى اربعة عشر يوما فى تلك الخمسين سنة وكان جده هشام بن عبد الرحمن الداخل يقتدى فى سيرته بعمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته يسألون الناس عن سيره عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انهى اليه جور من احد من عماله اوقع به واسقطه ونسخ منه ولم يستعمله ولما وضعه زياد بن عبد الرحمن للامام مالك رضى الله عنه قال نسأل الله ان يرينا موسما بمثل هذا وفى رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم اوكلاما هذا معناه فبلغ هشاما ما قاله مالك مع ما بلغه من جلالة مالك ودينه فحمل هشام الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعى فهشام هو السبب فى انتشار مذهب الامام مالك بالمغرب وغرا هشام مدينة اربونة الشهيرة وافتتحها واشترط على المعاهدين من اهل جليقية ان ينقلوا عدداً من احجار التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذى قدام باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال فى العقد الفريد فى وصفه هو احسن الناس وجها واشرفهم نفسا الكامل المروءة الحاكم بالكتاب والسنة الذى اخذ الزكاة على حلها ووضعها فى حقها لم يعرف منه هفوة فى حداثته ولا زلة فى ايام صباه وكان يصر الصرر بالاموال فى ليالى المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عماره المساجد بالعلم والعبادة واوصى رجل فى زمنه

بمال فى فك سبية من ارض العدو فطلبت فلم توجد اسيرة احتراسا منه للثغر واستقادا لاهل السبى وكان فى ايامه المنجم الصبى وكان مشهورا بكمال المعرفة فى علم النجوم فلما ولى هشام الملك سأله عن مدة ملكه فاخبره انه ثمانية سنين فاطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال ياصبى ماأحوفنى ان يكون التدبير كلنى بلسانك والله ان هذه المدة لو كانت فى سجدة لله تعالى لكانت قليلا فى طاعته ثم ازداد زهدا فى الدنيا وعملا للخير توفى سنة ثمانين ومائة وولى بعده ابنه الحكم بن هشام وكان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل يشبه بابى جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس فى توطيد الدولة وشدة الملك وقمع الاعداء وعصب الحكم يوما على خادم له فامر بقطع يده وحصر عنده زياد بن عبد الرحمن وقال له زياد اصلح الله الامير ان مالكا حدثنى فى خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على امضائه ملأ الله تعالى امنا وايمانا يوم القيامة فامر أن يمسك عن الخادم وأن يعفى عنه ثم قال له الله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد الله ان مالكا حدثنى بهذا ومما يحكى عن الحكم بن هشام ان عمه سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل كان له خصومة مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وبينة فيها شهادات شهود من جملتهم الحكم بن هشام كان شهد بها قبل ان يصير خليفة فجاء عمه سعيد الخير يطلب منه اسقاط شهادته وهو خليفة فخشى أن القاضى يرد شهادته فارسل قبل ان يؤدى الشهادة ورقة تحذله للقاضى يخبره بانه يشهد على دلالت القاضى ان يقبل فأبى شهادته فلم يعصب من رد شهادته بل قال ان القاضى رجل صالح ولا أحده فى لله لومة لائم ومن اخبار عبد الرحمن بن الحكم بن هشام انه اغتصب جارية طروب فهجرته وكان يحبها فارسل اليها يترضاها فأبت واغلقت باب مجلسها فامر هم بسد الباب عليها من خارجه بدر الدراهم فعملوا وبنوا عليها بالبدر فاقبل حتى وقف بالباب وكلمها مستوصيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ماسد به الباب من البدر فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الحصى فلا يرد شيأ تبرمه وخلف عبد الرحمن المذكور من الذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين وكانوا يسمونه عبد الرحمن الاوسط ومن اخبار عبد الرحمن الناصر انه لما بنا الزهراء صنع له قبة خلوسه وزخرفها وزينها بالذهب وصنع طعاما دعى اليه العلماء وجلس فى تلك القبة فما حصر العلماء ومعهم القاضى منذر بن سعيد البلوطى فلما رأى تلك القبة حملت دموعه تتحادر على لحيته ثم قال والله ياامير المؤمنين ماظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى بلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ماآتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين فانفعل عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ماتقول وكيف ازلتنى منزلتهم قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية فوجم الخليفة واطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم اقبل على منذر فقال له جزاك الله ياقاضى عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين اجل جزائه وكثر فى الناس امثالك وامر بنقض سقف القبة الذى طلوه بالذهب واعادها على صفة ليس فيها ماينكر عليه فيه وكان القاضى منذر بن سعيد ذا علم متين وذكا رصين متفننا فى العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية فى الوعظ لايسمع

احد وعظه الاخشع و بكى وكان حاضر الجواب قوى الحجة ذا منظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم فدافردت ترجمته بالتأليف ولد رضى الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة ولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى ان توفى الناصر فابقاه فى قضاء الجماعة الحكم بن الناصر واستمر منذر المذكور فى القضاء الى ان توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته لقضاء الجماعة ست عشرة سنة وقضاء الجماعة عند اهل المغرب هو المعبر عنه عند اهل المشرق بقاضى القضاة وله رحمه الله تآليف منها كتاب احكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من كتب الفقه وغيرها وقد تقدم ذكر غزو عبد الرحمن الناصر الجلالقة سنة ثمانية وثلاثمائة وطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بطليوسة سنة ثلاثمائة وثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح اماقل وخرب الحصون وافسد الغائر وجال فيها وتوغل فى قاصيتها والعدو يحاديه فى الجبال والاوطار فلم يقدر العدو أن ينتفر منه بشئ ورجع سالما وقسم الغنائم ثم بعد مدة ثار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى فحذر بذلك الثائر وقتله وقتل من كان معه من النصارى اهل البسة وسار اليهم وفتح ثلاثين من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه وبينهم صلحا ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس فى بنبلونة ودوخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا الجلالقة سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة وسار اليهم بنفسه ونزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة عليها سبعة اسوار من اعجب البنيان فداحكمته الملوك السابقة وبين الاسوار وصلات ومياه واسعة ففتح منها سورين وكان جيشه مائة الف اويزيدون واتفق مع ردمير ملك الجلالقة وكان معه جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين فكان النصر فى اول الامر للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحمل الانهزام للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين القائم والى عليهم الغزوات وصار يبعث الجيوش مع قواده وقتل منهم اضعاف ماقتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة احمد بن عبد ربه الاندلسى فى كتابه المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها فى منظومة من الرجز وكان معاصره اله قاب واوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطؤوه قبل ذلك فى ايام سلفه حتى اذعن له امم النصرانية واوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة و بنبلونة وما يليها من الثغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه ثم سما ملكه فتملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره واطاعه بنوا دريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر حتى صار ملكه فى غاية الضخامة ورفعة الشان وتقدم ان مدة ملكه كانت خمسين سنة وانه توفى

سنة خمسين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم المستنصر بالله فقام باعباء الملك اتم قيام ولما توفى والده الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزاهم الحكم بنفسه واقتحم بلد فردلندين فنازل شنب اشتبير وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم اغزا غالبا مولاه وسار الى مدينة سالم ليتوصل منها الى دخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واثخن فيهم واوطأ العساكر بلد فردلندين وذوخهما وكان البشكنس قد انقض فاغزاه الحكم صاحب سرقسطة فى العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعاثوا فى نواحيها ثم اغزا الحكم ابن يعلى ويحى بن محمد التجيبى الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر فى نواحيها واغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القوص فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور فى كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلمرية من بلاد البشكنس على يد غالب مولاه ثم عمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبى مالا يحصى كان كل ذلك فى اقرب الزمن وفى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلد البة ومعه يحى بن محمد التجيبى وقاسم بن مطرف فدوخوا بلادهم ورجعوا غانمين وفى هذه السنة ظهرت مراكب للمجوس فى البحر الكبير فافسدوا بسائط اشبونة من الاندلس وناشبهم الناس القتال واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ثم جاءت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى مراكبهم ثم كانت وفادة اردون ابن ادفونش ملك الجلالقة يتوقع مظاهرة الحكم مستجيرا به من ابن عم له خرج عليه فاكرمه الحكم ووعده النصر من عدوه وخلع عليه ثم بعث ابن عمه ايضا يطلب البيعة والدخول فى الطاعة فتقبل بيعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج كلهم يطلبون المعاهدة والدخول فى طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلها الحكم وعقد لهم الصلح والبيعة وشرط عليهم ان يهدموا الحصون التى تضر بثغور المسلمين وان لا يظاهروا عليه اهل ملتهم وان يتذرواء يكون من النصارى فى الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية ملك بشكنس يسألون الصلح والدخول فى الطاعة والبيعة فعقد لهم فاغتبطوا ورجعوا ثم وصلت ام لذريق وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدومها فعقدت السلم لابنها فرجعت وصنع لقدوم هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام يطول الكلام بذكرها وكلها مذكورة فى التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون رؤسهم ويخلعون برانطهم اعظاما له ويقبلون يده ويقول كل واحد منهم انا عبد امير المؤمنين واذا قام كل واحد منهم للانصراف يكون متهقرا الى ولى الخليفة ظهره تعظيما له ويعلنون له بالدعاء وكان الحكم عالما نبيلا اقام للعلماء والعلم سوقا نافقا واجتمع عنده من خزائن الكتب مالم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابن حزم ان عدد الفهرست التى فيها اسماء بعض الكتب اربع واربعون فهرست وفى كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الا اسماء الدواوين واما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فشئ كثير قيل ان كتبه كلها

كانت اربعمائة الف مجلد وقلما يوجد كتاب منها الا وله فيه قرائة ونظر ومكتوب على هوامشه خطه ولما الف ابو الفرج الاصفهانى كتابه المسمى بالاغانى بعث للحكم نسخة فاجازه بالف دينار تولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف ابنه هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جعله ولى عهده واستوزر له محمد ابن ابى عامر الملقب بالمنصور المعافرى ومعافر بطن من حمير وكان يخدم ام هشام المؤيد ثم ترقى الى ان ولاه الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجابته ثم ترقى الى أن ولاه الزكاة والمواريث ثم استوزره لابنه فحجب الخليفة هشاما المؤيد و باشر الوزير المذكور تدبير الملك بنفسه وله صفات جيدة مذكورة فى التواريخ ومفردة بالتأليف وجاشت الروم فى اول ولاية هشام فجهز عليهم الوزير المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فتمكن حبه من قلوب الناس خاصتهم وعامتهم واستجلب الناس بكرمه وحسن اخلاقه فانتشر صيته واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البدع واوسع الجند فى العطاء وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متعنتا وسيرة هذا الوزير وهو منصور بن ابى عامر طويلة مذكورة فى التواريخ وأباد المتغلبين على الخلافة المارقين عن الطاعة وكرر الغزو والجهاد واستبد فى جميع الامور بحيث لم يبق ذكر لاحد من رجال الدولة ولا من اولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له وحده والخليفة محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل سنة غزوتين غزوة فى الصيف وغزوة فى الشتاء قال فى نفح الطيب ان المنصور بن ابى عامر غرس ببلاد الشرك اعظم غرس ومحا من طواغيتها كل تعرف ونعطرس وغادرهم صرعى فى البقاع وتركهم اذل من وتد بقاع

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أن احد رسله سار فى بعض مسيراته الى غرسية ملك الشكنس ابن شانجة فوالى فى اكرامه وتلقاها فى بره واحترامه وطالت اقامته عنده فلا منزله الا منزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الا سار اليه معرجا فحل مرة اكبر الكنائس هناك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاثر قويمة على طول الكبر فكلمته وعرفته بنفسها وقالت له ارضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية ولى سنين مأسورة مختبية وناشدته الله ان يبلغ المنصور خبرها فلما رجع الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على امر انكرته ام لم تقف على غير ما ذكرته فتذكر امر المرأة المأسورة فاعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه ثم اخذ للتجهز للجهاد من فوره فلما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وافى ابن شانجة فاخذت هيبته بسمعه وبصره فبادر بالكتاب اليه ليتعرف ما الجلية ويحلف انه ما جنى ذنبا ولا اجفا عن مهيع الطاعة فعنف المنصور رسل شانجة وقال لهم قد كان عاقدنى على انه لا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور ولو بعثه الى فى حواصل الطيور وقد بلغنى بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة والله لا انتهى عن ارضه حتى اكتسحها فرحلوا الى شانجة واخبروه فارسل المرأة ومعها امرأتان اخريان واقسم

انه ماابصرهن ولاسمع بهن قبل ذلك واعلم ان تلك الكنيسة قد بالغ في هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه في الاخذ فيه بطوله فاستحى منه وصرف الجيش عنه واوصل المرأة ومن معها الى نفسه والحق توحشهن بانسه واوصلها الى اهلها ورجع من غزوته وكان الخليفة هشام لايراه خاص وعام ولايخاف منه باس ولايرجى منه انعام واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لايعرفونه وامرهم لايذكرونه ولايعهد فيه الا الاسم السلطاني في السكة التي يتعامل الناس بها والدعوة على المنابر وربما اركبه في بعض السنين وجعل عليه برنسا ويركب معه بعض جواريه ويجعل عليهن مثل ماعليه فلايعرف من بينهن، يأمر من ينحي الناس عن طريقه حتى ينتهي الى موضع تنزهه ثم يعود واخذ في اغتيال من يخشى منه خوفا من ان يثوروا به وكانت غزواته نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر الاسلام حتى اشتدت هيبته في قلوب الكفرة اللئام ومما يحكى مما كان في بعض غزواته ان بعض الاجناد نصب رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فاقامت عدة ايام لايعرف الروم ماوراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفتخر به اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشربت قلوبهم الخوف من المنصور وعلم كل من ملوكهم انه لاطاقة له بحربه لجئوا الى الفرار وتحصنوا بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين في طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقمرت البلاد مسافة ايام ثم عاد من ذلك الطريق فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق الذي بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى مافعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم لجيشه ونزل به فبين معه من العساكر وامرهم ببناء دور ومنازل وان يجمعوا آلات الحرث ونحوها ليعلم الفرنج انه اراد الاقامة بارضهم وبث سراياه فسبت وغنمت فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه في طلب الصلح وان يخرج بغير اسرى ولاغنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فاجابهم ان اصحابي قد ابوا ان يخرجوا وقالوا انا لانكاد ان نصل الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزوة الاخرى فاذا غزونا عدنا فازال الفرنج يسألونه أن يرتحل الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم مامعه من الغنائم والسبي وان يعدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان يخلوا جيف القتلى عن طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولعمري ان هذا العز ماورائه مطمح ونصر لايكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا ازا لتهم جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصرا فاعادتها لاتخلوا من فائدة

﴿ خبر عجيب من اخبار المنصور ﴾

ومن اخبار المنصور بن ابي عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه ان يطلع على احوال المسلمين وقوتهم

فلما علم المنصور به قبل وصوله امر ان يغرس نيلوفر كثير عند بركة عظيمة فى بستان من بساتينه ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ماتسع النيلوفر ثم ملاء بها جميع النيلوفر الذى عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه فحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى فى موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الفجر جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة منهم اطباق من الذهب وبيد خمسمائه اطباق من الفضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل هيئتهم ولم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا لاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وصاروا يجتنونه كما يجتنى الثمر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب فى اطباق الفضة والفضة فى اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ذلك وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب رسول ملك الروم من ذلك واعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لاتعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمه بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابى عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى فى السعد ونصرة الاسلام

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة انه اتته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يامنصور استمع ندائى فانت فى طيب عيشك واما فى بكائى فسألها عن مصيبتها فذكرت ان لها ابنا أسيرا فى بلاد سمتها له واخبرته انها لا يهنأ عينها لفقده فرحب المنصور بها واظهر الرقة بسببها وأمر بالتجهز الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التى سمتها له وفيها ابنها فجاسوا أقطار تلك الديار وتخللها قتلا وأسرا ونهبا وتخريبا حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الاسرى ورجع مظفرا منصورا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنجدة الايمانية ومن مناقبه التى لم تكن لغيره من الملوك أن اكثر جنده من السبى الذى كان يأخذه من العدو ومن محاسن اخباره انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى اسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انداعتنى بجمع ماعاق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد اليهم ان يجعلوه فى حنوطه فكان كذلك وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن اوضح الدلائل على سعده انه لم ينهزم فى حرب قط وما انصرف من موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب قيل له مرة ان فلانا مشوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يغطى على شومه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى به جرت العادة شئ

﴿ ذكر غزوة اخرى من غزواته ﴾

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهى قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس ومايتصل به من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة

الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فيها يحلمون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحوارى احد الاثنى عشرة الحوار يين وكان اخصهم بعيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وهم يسمونه اخاه للزومه اياه وياقب لسانهم يعقوب وكان استقصا ببيت المقدس ثم خرج يستقرى الارض داعيا الى الله لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فمات بها وعمره مائة وعشرون سنة فاحتمل اصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع احد من ملوك الاسلام فى قصدها والوصول اليها لصعوبة مدخلها وحشونة مكانها وبعد مشقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة سنة سبع وغانين وثلاثمائة لست بقين من جمادى الاخرة ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمكنين فى الطاعة فساروا فى عسكر المسلمين وكان المنصور امر بانشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل فى الاسطول الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على تعود العزيمة الى ان خرج ذلك الاسطول بموضع رتقال على نهر دوين فدخل فى النهر الى المكان الذى عينه لهم المنصور للعبور منه فعقدوا هنالك جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل بالاسطول فوجهوا ما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم مد الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى ارض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد قرطارس وما يتصل بها ثم افضى الى جبل شاخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لوسعة شعابه وتسهيل مسالكه حتى قطعه العسكر وعبروا بعده وادى بنيرة وانبسط الملون بعد ذلك فى بسائط عريضة وارضين واتهت مغيرتهم الى ديرفشان وبسيط بانبونة على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلاية وغنموا وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتحللوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبر بن ارشد الادلاء عليه ثم نهرا بلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصد نساكهم اليه من اقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا صفصفا ثم كان النزول بعده على شنت ياقب وذلك لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كان لم تغن بالامس وبشفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت ماتكس منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير اهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب

شنت ياقب وقد باسغ غاية لم يبلغها قبله مسلم فجال فى طريقه وهو راجع القصد على عمل برمندين اردون تميش جيوشه فى عمله تخر به وتفسده حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين كانوا معه فى عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى خرج على حصن بايقية فاجاز هناك القوامس الذين كانوا معه واكرمهم على اقدارهم وكساهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه فى غزاته هذه ملوك الروم ولمن حسن غذؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازى واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمسة عشر مرشيا وسبعة اغماط ديباح ونوبى ديباج رومى وفروة فنك ووافى قرطبة بجميع العساكر سالما غانما وعظمت المنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن ابى عامر من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فاكرمهم واجرى عليهم الوظائف وسألهم عن سبب انتقالهم من افريقية الى الاندلس فقالوا انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد فى سبيل الله تعالى فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فاقاموا اياما ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ماوعدهم به من الغزو فقال انظروا ما اردتم من الجند لاجل ان نعطيكم فقالوا مايدخل معنا بلاد العدو غيرنا الا الذين معنا من بنى عمنا ومن بقية صنهاجة وموالينا فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقا فأتوا ارض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا فى بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا اشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فصربوا عليهم واخذوا جميع الخارجين وقتلوهم جميعهم ورجعوا فتسامع العدو فركبوا فى اثرهم فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا فى ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا ان العدو كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن ابى عامر ورأى من شجاعتهم مالم ير من جند الاندلس فأحسن اليهم وجعلهم بطانته فلما رأى اهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا فى الجهاد فقالوا للمنصور بن ابن عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه وكان رأى فى المنام تلك الليلة كان رجلا اعطاه الاسبراح وهو اسم انبيت فأخذه من يده واكل منه فعبره على ابن ابى جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك ستفتحها فقال من اين اخذت هذا فقال لان الاسبراح يقال له فى المشرق الهليون كبرذون فلك الرؤيا قال لك هااليون فخرج بتلك الجيوش ونازلها وهى من اعظم مدائنهم واستمد اهلها الفرنج فأمدوهم بجنود كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا فكثر القتل فى الفرنج وصبرت صنهاجة صبرا عظيما ثم خرج قومص

كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فحمل بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه حلالة بن زيري الصنهاجي فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضرب الفرنجي بالسيف على عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن ابي عامر غنيمة عظيمة لم يرمثلها واجتمع من السبي ثلاثون الفاً وامر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وامر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامرنة ورجع سالماً هو وعساكره قال في نفح الطيب واتهمت هيبة المنصور ابن ابي عامر وضبطه للجند الى نهايه لم يصلها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل في الاطراق مثل فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سله بعض الجند اقصى الميدان لهول او جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فعدا على بشاعر السيف فقتل بين يديه لوقته فقال ما حملك على ان شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني اشرت به الى صاحبي مغمداً فرأق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وامر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه وتودي عليه بذنبه وذكر ايضاً ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج فيه الى الكي فامر الذي يكويه ان يكويه وهو قاعد في موضع مشرف على اهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويتصرف في اموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم وهو غير مكترث بذلك فتعجب الناس من ذلك وذكر في نفح الطيب كثيراً من اخباره في الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال واخبار المنصور تحتمل مجلدات فلنمسك العنان توفي المنصور بن عامر في غزوة للافرنج في شهر صفر سنة ثلاثمائة واثنتين وتسعين عن نيف وسلم لسبع وعشرين سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابناه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد واحد فقام بالامر اولا ابنه عبد الملك فجرى على سنن ابيه في السياسة والعزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجرى على سنن ابيه واخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم تاب له رأى في الاستبداد بالمملكة فطلب ان هشاما يجعله ولي عهده فاجابه لذلك لتغلبه عليه واحضر لذلك ارباب الشورى واهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرئ في ذلك المجمع وكتب التعضة والوزراء وسائر الناس شهاداتهم بخطوطهم ثم سعى كثير من الامويين وغيرهم في نقضه وأثاروا لذلك فتنة الى ان قتلوا عبد الرحمن سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم خلعوا الخليفة هشاما وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر ثم اعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث واربعمائة وقيل قتل وثار من ذلك فتن كثيرة يطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال ملكهم وافتراق كلمتهم وكل يوم يخلعون خليفة ويبايعون آخر ثم صار في كل مملكة خليفة يدعى امير المؤمنين وتبدد شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك في طوائف متغلبين في كل ناحية ملك مستقل متغلب ولا حاجة بنا الى ذكر اسمائهم وعند ذلك استفحل امر النصارى وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس ويملكونها قطرا بعد قطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لا يسأل بعضهم عن بعض ولا يحامي ولا يدافع الا عن نفسه وربما تقاتلوا مع بعضهم وتغلب بعضهم على البعض

﴿ ذكر اول مدينة تملكها الطاغية ﴾

اول مدينة تملكها الطاغية بالنسية سنة ست وخمسين واربعمائة وتعرف هذه الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك ان الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بالنسية فى السنة المذكورة واعلمها جاهلون بالحرب معرضون عن امر الطعن والضرب مقبلون على لذات الاكل والشرب ولما نازلها لفرنج اظهروا لاهلها التندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من ملوك الطوائف عبد العزيز بن ابى عامر المعافرى ثم ان العدو جعل فى مواضع حارج المدينة كمناء وجماعة من الفرسان فطن اهل البلد ان العدو تفرق وارتحل عنهم فخرجوا فى زينتهم ومعهم اميرهم فصبر العدو لهم استدراجا ومكرا حتى خرج الناس كانهم فى عيد فخرج عليهم الكمناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسر حتى استأصلوهم وما نجا منهم الا من بقى اجله وخلص الامير نفسه واستولى العدو على بالنسية وكانت بالنسية فى شرقى الاندلس وكان فى شرقى الاندلس من المدائن العظيمة بالنسية ومرسية وتطيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى ولكل واحدة من هذه اعمال واسعة وكان ابو ايوب سليمان ابن محمد بن هود الجذامى ملكا مستبدا بمدينة تطيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى وبالنسية ولاردة ودانية والسهلة فكان استيلاء العدو اولا على بالنسية فى السنة المذكورة وسيأتى ذكر رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة اخرى

﴿ ذكر تملك العدو برشتر وسرقسطة وذلك قصبة برطانية ﴾

من الممالك التى فى شرقى الاندلس برشتر وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تطيلة ومرسية وبالنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوايف بنو سليمان بن محمد بن هود الجذامى مدة احدى وثلاثين واربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو مذر بن مطرف التجيبى فانتزعها منهم بنو هود فى السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخمسين واربعمائة نازلها جيش الاردمليش وحاصرها وقصر الامير يوسف بن سليمان بن هود فى حمايتها ووكل اهلها الى نفوسهم فاقام العدو عليها اربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تنازع فى القوت لقلته واتصل الحرب بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الاولى خمسة الاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجى ثم اتفق أن القناة التى كان الماء يجرى فيها من النهر الى المدينة تحت الارض فى سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فسألوا ذوا بطلب الامان على انفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضى ابن عيسى ومعهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذى خص بعض مقدمى العدو الف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الحلى والكسوة ما يحمل خمسمائة جمل وقدر القتلى والاسرى مائة الف نفس ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت

تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منها ان يعطيها جرعة ماء لنفسها او لولدها فيقول لها اعطني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيرها وكان السبب في قتلهم انه خاف من وصول احد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم فلما قتل منهم نيفا على ستة الاف نادى الملك بتأمين من بقي وامر ان يخرج من بقي بالبلد فازدحموا على الباب الى ان مات منهم خلق كثير وبرز اليهم من الاسوار بالحبال خشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحير في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن امر وقتل واحرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية ان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وارهقوا وازعجوا فلما حصل كل منهم بين معه من اهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بامر الملك واخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها نعوذ بالله تعالى وكان جماعة من اهل المدينة قد ذعروا ولاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فانهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهالكين من العطش فاطلق سبيلهم فجاءهم في الطريق اذا يتهم حيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن بقي احياء وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة يفتضون البكر بحضرة ابيها والثيب بحضرة زوجها واهلها وجرى من هذه الامور والاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم ان يطأ بعض النساء ذوات المهنة اعطاهن خدمه وغلمانه يعبثون فيهن وبلغ الكثرة منهم مالا يمكن ان يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على الرحيل الى بلده اختار من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حملهم معه ليهديهم الى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله دير بشترا الفا وخمسمائة ومن الرجالة الفين ومما كان في هذه الوقعة الشنعاء ان بعض تجار اليهود جاء ليشتري بعد الحادثة ملثما فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا كان حصان في سهم فوقع منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نعيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من رياشهما وبنتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما ابذله في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما اسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك اعرض عنهن وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسرى من اقاربك فقلت له اما الدخول الى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك انست وبكنفك اطمأننت فأعطني بعض من هنا فأني اعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي يا باجه ينادي بعض اولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته فقومي فأعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه واقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها ادني الى

من تلك التخوت فادنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك ناظري و بهت واسترذلت ماعندي ثم قال لي لقد كثر هنا عندي كل شيء حتى ما التذبه ثم حلف لي انه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم بذل لي احد مثل ذلك ماسخت بهذه الجارية التي تطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسي لزيد جمالها لاجل ان تلد لي وفعلنا هذا مثل ماكان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه واز يدك بأن تلك الخودة الناعمة واشار الى جارية اخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يافلانة خذي عودك فأخذت العود وقعدت تسويه وانى اتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارع العلج فمسحه بيده واندفعت تغني بشعر مافهمته انا فضلا عن العلج واظهر الطرب فلما يئست مما عنده قمت منطلقاً واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهذا مقتنع لمن تدبره وتذكرة لمن تذكره ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم فأن اهل الاندلس لما توالت عليهم النعم انهمكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد امروا بالتواصل والالفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لامحالة وانهم كانوا يعللون انفسهم بالباطل و يغترون بالنعيم الزائل وقد بعدوا عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى البثق اليهم جميعاً فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ذكر استرجاع المسلمين بر بشتر وسرقسطة ﴾

لما كانت السنة التي بعد اخذها وهي سنة سبع وخمسين واربعمائة ثار احمد المقتدر بن هود المفرط فيها والتهم على اهلها لانحرافهم الى اخيه صمدها مع امداد المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وسعى لاصمات سؤالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها مالايمحوه الاعفوه تعالى فتأهب لقصد بربشتر في جموع من المسلمين فجاهدوا الكفار بها جلاداً ارتاب منه كل جبان واعز الله تعالى اهل الحفيظة وانشجعان وحمى الوطيس بينهم الى ان نصر الله تعالى اولياءه وخذل اعداءه وولوا لادبار مقتحمين ابواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم اجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين واستوصلوا اجمعين الامن استرق من اصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارى واصيب في محفة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين في نصرة الدين نحو الخمسين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من اعداء الله الكافرين نحو الف فارس وخمسة الاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدى الافك واسترجع بلنسية المأمون بن ذي النون وولى عليها ابابكر بن عبد العزيز المنصور فداخله بن هود في الانتقاض ففعل واستبد ببلنسية وضبطها وذلك سنة ثمان وستين واربعمائة ثم مات ابو بكر بن عبد العزيز فتملكها بعده ابنه القاضي عثمان بن ابي بكر وبقي الى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملك الطاغية طليطلة في هذا العام كما سيأتي وتسلمها من القادر

ابن ذى النون شرط عليه القادر ان يمكنه من تملك بلنسية فسار معه الطاغية بجيوشه الى ان ملكه بلنسية وذلك ان المسلمين لما اقبل عليهم القادر بن ذى النون ومعه جيوش الطاغية خافوا ان يملكهم الصعبة فخلعوا القاضى عبد الله بن ابى بكر وسلموها للقادر بن ذى النون وذلك سنة ثمان وسبعين واربعمائة وبقى الى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان ذلك بعد دخول يوسف ابن تاشفين الاندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كما سيأتى بيانه فجهز جيشاً لتخليص بلنسية من القادر بن ذى النون وجعل امارة بلنسية للقاضى ابى احمد جعفر بن عبد الله بن حجاف فحصر بها القادر بن ذى النون الذى مكن الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضى فى جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وتملك ابن حجاف بلنسية ثم رجع عنه طائفة المرابطين الذين كان استنصر بهم واعانوه على تملكه اياها وصار خائفاً من استيلاء الطاغية عليه وجعل يستصرخ الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فيطأ عليه النصر وفى اثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن حجاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فأحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وكان الاستيلاء عليها سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل فى التى قبلها وهذا للطاغية الذى اخذها يقال له ايضاً القمبيطور وحاصرها قبل اخذها عشرين شهراً قيل انه دخلها صلحا وقيل بل عنوه وحرقها وعاث فيها وممن احرقوا فيها الاديب ابا جعفر ابن السناء الشاعر المشهور ثم وجه اليها جيشاً امير المسلمين يوسف بن تاشفين وجعل امراً على الجيش ابا محمد مزدلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين الى سنة ستمائة وثلاثين ثم اخذها العدو وسيأتى ما كان بعد ذلك ومما استولى عليه العدو مدينة المرية وهى من مدائن الاندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين واربعين وخمسمائة واحصى عدد من سبى من انكارها فكان اربعة عشر الفاً قال ابن حبيش وهو آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله الاسلام فتقدمت الى زعيم النصارى وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى احفظ نسبك منك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج انت واهلك ومن معك طلقاً بلا شئ ثم انها بعد ان اخذت فى السنة المذكورة استرجعها المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين الى ان اخذها الكفار مرة اخرى سيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الطاغية طليطلة ﴾

قال فى نفح الطيب ان الاندلس ينقسم الى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الاقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على اعمال وقرى ومزارع وبساتين واقطار واسعة وخلائق لا يحصون فى غاية التنعم والرفاهية فمن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطلة وغرناطة والمرية ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن شرق

الاندلس مرسية و بلنسية وشنطبة ووادي والسهلة والثغر الاعلى وسرقسطة وتطيلة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن غرب الاندلس اشبيلية ومارده واشبونة وشلب وشريش ولبلة والخضرا و بطليوس وغير ذلك مما يطول ذكره ولما ضعف امر الخلافة وافترق ملوك الاندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ امره ونهيه فيما كان تحت يده من الممالك وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك واستبداد تملك الطوائف من سنة سبع واربعمائة وصاروا يقاتل بعضهم بعضاً فيتغلب بعضهم على بعض و يستولي على ما بيد الآخر وكان عدد اولئك الملوك خمسة عشر لاحاجة الى ذكر اسمائهم وكان اعظم الممالك عندهم قرطبة وهي مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولي على قرطبة من ملوك الطوائف المعتضد بن عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور المغافري الكلبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ثم صارت لبنيه من بعده فأخذها منهم ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة احدى وستين و بقيت عنده الى سنة تسع وسنين واربعمائة فانتزعها منهم المعتضد بن عباد بعد قتال وضمها الى ما كان بيده من الممالك فصار ابن عباد اعظم ملوك الطوائف فكانوا يهابونه و يهادونه و يخضعون له و يخشون سطوته وكان ابو المعتضد هو الذي اسس له هذا الملك قيل انه من لخم و ينتهي نسبه الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية وتوفي المعتضد بن عباد سنة احدى وستين واربعمائة وصار الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشمخ سلطانه اكثر مما كان لأبيه وكان ايضاً من اعظم الممالك طليطلة وكانت لبني ذي النون وكانت قبلهم ليعيش بن محمد بن يعيش من اول الفتنة والتفرق الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فانتزعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون اصله من البربر من قبيلة هوارة وضمها الى ما كان بيده من الممالك فاتسع ملكه وتوفي سنة تسع وعشرين واربعمائة فولي بعده ابنه المأمون ابو الحسن يحيى فاستقل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفي سنة سبع وستين واربعمائة فولي بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى فانتزعها الطاغية منه وهي من المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها الثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها الثغر الاعلى وتسمى طليطلة ايضا مدينة الاملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها ايضا ذو القرنين وهي مدينة حصينة قديمة من بناء العمالقة ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبها القنطرة العجيبة البناء يعجز الواصفون عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى اعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة وبنى المأمون فيها قصرا تأنق في بنائه وانفق مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها

قنة وسيق الماء الى اعلى القنة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القنة تواليها كلها محيطاً بها متصلا بعضه ببعض فكانت القنة في غلالة من الماء يسكب ولا يعتر والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولو شاء ان يوقد فيها الشمع لعمل فيبقى موقدا يوماً اد سمع مغنياً يقول

اتى ساء الخالدين واعمـ ... ـد ظنوك فيهم لو علمت قليل
لقد كان في طول الارتكاب كفاية ... لمن كل يوم بعد تربه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيراً حتى قضى نحبه وذلك سنة خمس وثلاثين واربعمائة وولي بعده ابنه يحيى القادر بالله الى ان احدث معه ما صارت له بلنسية بواسطة الطاغية الى ان قال كما تقدم و بسليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وهواء كهواء حسان مختلفة الطعوم والالوان وفيها ايوان كبير يقال ان الخيل تلعب فيه وكان بنو ذي النون ملوك طليطلة لهم دولة كبيرة و بلغوا في البذخ والترف الى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالادفونش واشتغل القادر يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون و اكثر مهادنة الافرنج ومصادقتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده الى اموال الرعية ولم يترك المرتج تأخذ حصنه منه شيئا بعد شيء حتى اخذت منه طليطلة وسلمته ملكه ولما ارادوا اخذها سار اليها الادفونش بجموعه وصار يقلب قراها واعمالها و يضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع سنين فلما اشتد عليهم الحصار رضي صاحبها والمسلمون ان ينزلوا عنها وقد فني بالقتل والاسر والنهب كثير منهم في قراها و نواديها قال ابن حيان بعد ذكره وقعة بطريانة المتقدم ذكرها وذكر ما صار للمسلمين عند اخذها وهكذا جرى لاهل طليطلة طال العهد وحدثه الله استصهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان مرحلة ما غنمه المرتج من اهلها لما خرجوا اليهم من ثياب الترفه الف عماره خارجاً عما سواها وكان اخذ الطاغية طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة واعطى الامان لصاحبها القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستعمل اهلها الباقين فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حسب انتصر الى كثير من الطغام منهم وقيل لملكهم الطاغية ينبغي ان تلبس التاج لكن كان قبلك من الملوك من لا حتى تأخذ قرطبتهم واعد لذلك نافوساً تأنق فيه و احسد في الاستعداد لتلك قرطبة ومما يدل على عظم مدينة طليطلة وحصانتها ان المسلمين لما استرجعوا ما تملكه الاعداء من المدائن والقرى عجزوا عن استرجاع طليطلة و بقيت في يد العدو الى آخر المدة ولما فتح المسلمون الاندلس في اول الامر القى الله الرعب في قلوب النصارى وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم احد بعد اول وقعة كانت بينهم و بين المسلمين حتى انهم اخلوا طليطلة فوجدها المسلمون خالية ووجدوا فيها مائدة سليمان عليه السلام وقيل انها ليست لسليمان و انما هي لملوكهم تأنقوا في صنعها وكانت مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الراؤن مثلها وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا بكسر الراء وسكون الجيم وكان عليها طوق من اللؤلؤ وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكللة بالجواهر حافاتها وارجلها وكانت ارجلها منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الاندلس واتحف بها الوليد بن عبد الملك

﴿ ذكر ماجرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو والمعتمد بن عباد صاحب قرطبة ﴾

قد تقدم ان ابن عباد كان اعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك الطوائف وانتزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطليوس وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقون من ملوك الطوائف يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صاريدا هنه ويهاديه ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة وارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وارسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليعتصبها الا ان يسلم اليه الحصون المنيعة التي يربدها فيبقى العهد للمسلمين وكان رسول الاذفونش الى المعتمد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتمد انزله وحده وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر المعتمد قواد عسكره ان يقتل كل منهم من كان عنده من اولئك النصارى الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلوهم واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من اولئك النصارى المرسلين ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش واخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليزيد في التجهز ويجمع مابقي من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتمد اهتمام الطاغية في التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء من مشايخ قرطبة وتحققوا جميع ماجرى وعلموا قوة الفرنج وضعف المسلمين وتأملوا في امر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين في اللذات والشهوات ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرنج فاجتمع العلماء يتشاورون في هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوا اكثرها ولو استمرت الحال على ماترى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا الى قاضي القضاة المسمى عندهم بقاضي الجماعة وكان في ذلك الوقت هو القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى مافيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية للطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ماهو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا انصاف اموالنا ويخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا ويطمعون فينا ويبدؤن بنا قبل الافرنج ثم يذهبون باموالنا الى بلادهم ويتركونا مع الافرنج فيزدادون قوة علينا والذي اراه ان المرابطين اتباع يوسف بن تاشفين ملك مراكش اقرب الينا من عرب افريقية وكان يوسف بن تاشفين له ملك ضخم وقوة عظيمة في مراكش وفاس واعمالهما فاستحسن العلماء ماقاله قاضي الجماعة ثم ذهب قاضي الجماعة الى المعتمد بن عباد وعرض عليه ماقالوه واستحسنوه فاستحسنه المعتمد بن عباد وقال للقاضي المذكور انت الرسول الى ملك مراكش يوسف بن تاشفين فامتنع واراد ان يبرئ نفسه من تهمة تقع عليه فلم يقبل منه المعتمد هذا الامتناع بل الح عليه المعتمد الى ان رضي وعزم على المسير اليه فكان ماسيأتي ذكره وينبغي قبل ذكر مسير قاضي الجماعة ان نذكر شيأ مما يتعلق بدولة يوسف بن تاشفين ملك مراكش وكيف كان ابتداء امره ليعلم بذلك كيف ترقت دولته

حتى كانت فى غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة المرابطين والملثمين لانهم كانوا يتلثمون دائما وهم عدة قبائل اشهر تلك القبائل قبيلة لمتونة وكان يوسف بن تاشفين منهم ومنهم قبيلة جدالة ولمطة واختلفوا فى انتهاء نسبهم اختلافا كثيرا فاختار بن الاثير انهم ينسبون الى حير فهم على قوله من العرب وكان اول مسيرهم من اليمن فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا المغرب مع موسى ابن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الاندلس ثم احبوا الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم توحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار ابن خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينتهى الى يافث بن نوح عليه السلام ولما توحشوا فى البوادى صاروا لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين والصلاة ثم حج رجل منهم سنة ثمان واربعين واربعمائة فلما رجع صحب معه واحدا من العلماء وكان فقيها صالحا اسمه عبدالله بن ياسين الكزولى وقصد بمجيئه به الى قومه ان يعلمهم الاحكام والشرائع فجاء معه فاكرموه وصار يعلمهم ويقادون له ثم جعلوا عليهم اميرا من لمتونة وهو ابو بكر بن عمر وكان هو رأس لمتونة ثم صاروا يقاتلون اهل البغى والفساد ممن كان قريبا منهم فقوى امرهم ثم خرجوا الى السوس الاقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع بينهم وبين اهل السوس قتال الى ان انقادوا لهم ثم قاتلوا اهل سلجماسة الى ان انقادوا لهم ايضا ثم توفى اميرهم ابو بكر بن عمر بعد ان استخلف بن اخيه ابا بكر بن ابراهيم بن عمر ثم توفى ابو بكر ايضا سنة ثنتين وستين واربعمائة فاجتمعت طوائفهم على بن عمه يوسف ابن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين فكثرت جموعهم وقوى امرهم وكان يوسف المذكور مشهورا بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر امرهم وعلا شأنهم فقصدوا موضع مدينة مراكش وكان قاعا صفصفا لا عمارة فيه فاختط يوسف هنالك مدينة مراكش ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يتملك مدائن المغرب مدينة بعد مدينة حتى صار له من القوة والمتانة ما هو مشهور مذكور فى التواريخ والكلام على ذلك طويل فلما نزل باهل الاندلس ما نزل من الكفار قصدوه فبعثوا اليه قاضى الجماعة بقرطبة القاضى عبدالله بن محمد ابن ادهم فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمكاتبة من المعتمد بن عباد وعلماء قرطبة فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففى الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار الى ان اجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية فكانت غزوة الذلاقة المشهورة

﴿ ذكر غزوة الذلاقة ﴾

لما اجتمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد بن عباد باشبيلية وجده قد جمع عساكره وكان فيهم من اهل قرطبة عسكر كثير ومعهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خلق كثير فلما وصلت الاخبار الى الاذفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب الى امير

المسلمين يوسف بن تشفين كتابا باللسان العربي كتبه له بعض المحذولين ممن يدعون الانتساب الى الاسلام يغلط فيه القول و يصف ماعنده من القوة والعدد والعدة و بالغ الكاتب في الكلام وتجاوز الحد فامر يوسف بن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب كلاماً كثيراً فلما قرأه على امير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ماستراه لاماستقراه فلما رجع الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعداداً وكان في جيشه اربعون الف دارع وجملة جيشه ثلاثمائة الف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كانه راكب على فيل وبين يديه طبل صغير وهو يقرفيه فقص رأياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه الرؤيا فاحضر رجلا من علماء المسلمين فقص الرؤيا عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فطلب منه الامان على نفسه اذا عبر هاله فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عزوجل وهو قوله تعالى الم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضي هلاك هذا الجيش الذي جمعته فقال الاذفونش للذي عبر له الرؤيا بهذا الجيش الذي له محمد صاحب كتابكم واقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع و اعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع اهل بلاده ومايليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم وايقنوا بالنصر والظفر اغتراراً بكثرتهم وقوة استعدادهم وماعلموا ان النصر من عند الله وان العاقبة للمتقين ثم سار امير المسلمين والمعتمد ابن عباد بجيوشهما وجيوش ملوك الطوائف حتى اتوا ارضا يقال لها الذلاقة من بلد بطليوس واتى الاذفونش بجيوشه فنزل موضعاً بينه و بينهم ثمانية عشر ميلا ولم يبق احد من ملوك الطوائف بالاندلس الامادر و اعان بالمال والرجال وخرج بنفسه و اخرج عساكره لكن لم يبلغ عدد مقدار جيش العدو وقيل لأمير المسلمين ان ابن عباد ربما انه لا ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل امير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراؤن ونزل امير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن عباد فتيقنوا الغلب و ارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا فركب الاذفونش ليلة الجمعة سحراً وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون واحاط عليهم الاذفونش بجموعه من كل جهة وحمي الوطيس واستحر القتل في اصحاب ابن عباد وقاتل ابن عباد بنفسه قتالا لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي

(حاصر

حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى امير المسلمين يستحث نصرته فبيناهم في القتال اذ وصل امير المسلمين بجيوشه بعد ان كاد المسلمون ينهزمون وقصد خيام الفرنج ومحلة الاذفونش فاقتحموها واحرقوها وفتكوا فيها وضربت الطبول ورعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان امير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كروا عليهم فاخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان امر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء اربعة آلاف ودخلوا المعترك بالدرق والسيوف والمزاريق فطعنوا الرجال والخيل فرمحت الخيل بفرسانها واجمت عن اقرانها وكان اهل الاندلس لا يعرفون الجمال وليست في بلادهم فجاء امير المسلمين معه بجمال كثيرة فكانت من جملة اسباب النصر لان خيل العدو كانت تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وارتفع رغائها الى عنان السماء ومن منفعة تلك الجمال انه كان يحدق بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغائها ثم تحمل الناس . من حيش امير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقيهم من بين ايديهم ووضع السيف فيهم فلم يتمالكوا الثبات وانزل الله النصر وانزل السكينة على المسلمين فانهزم العدو واخذهم السيف من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم واظلم النهار بالعجاج والغبار وحاضت الخيل في الدماء فانكشف العلاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن في احدى ركبتيه طعنة بقي يخنع بها وافلت فارا مع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال متسعا جدا فما كان فيه موضع قدم الا وفيه من تلك الوقعة ميت او دم وجمع المسلمون من رؤس القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها قيل لم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجمع امير المسلمين الغنائم وعف عنها واعطاها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم واقام اربعة ايام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضرا وعبر الى سبتة وسار الى مراكش ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجعانه واصحابه فعقدهم ولم يسمع الا نوح الثكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما وغما وهوى الى امه الهاوية وكانت هذه الوقعة في يوم الجمعة في العشر الاول من رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة فكانت هذه الغزوة من اعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم

﴿ ذكر ما كان بعد غزوة الذلاقة ﴾

ولما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الذلاقة اقام بالاندلس اياما ثم لما اراد التوجه الى مراكش ترك جيشا عظيما بالاندلس لقصد غزو الافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانهماكهم في اللذات والشهوات والمعاصي فوعظ الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهماك في اللذات والشهوات ثم رجع الى مراكش فجاءته الاخبار بأنهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات في اللذات والشهوات وزادوا في الظلم عما كانوا فاستفتى علماء العراق فيهم فأفتوه بجواز

انتزاع الملك منهم فعبر اليهم فى سنة اربع وثمانين واربعمائة وانتزع الملك منهم واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المتملكين لها وقتل بعضهم واسر بعضهم وحملهم الى مراكش وحبسهم الى ان ماتوا وصار ملك الاندلس كلها بيده ويد عماله مضافاً ذلك الى ما بيده من المغرب الاقصى واكثر من الغزو والجهاد بالاندلس هو وجنوده وتوفى سنة خمسمائة وكان الامام الغزالى لما بلغه حسن سيرته اراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل ان يصل اليه فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبنى العباس وكان قد طلب منهم تقليداً لانه قيل له لاتجب طاعتك وتنفذ احكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل رسلا الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباسى بن المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التى كانت تحت يده ولقبه امير المسلمين وناصر الدين وبايعوا بعد وفاته ولده على بن يوسف بن تاشفين وكان حليما عاقلا صالحاً عادلا

﴿ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين ﴾

لما توفى يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى فى الاستيلاء على الاندلس فخرج الاذفونش الافرنجى صاحب طيطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب ما بأيدى المسلمين من ممالك الاندلس فجمع وحشد فاكثر فسار اليه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من مراكش فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا اشد القتال فكان الظفر للمسلمين وانهزم الافرنج وقتلوا قتلا ذريعاً واسر منهم شئ كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة فالتقى مع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل امير المسلمين بأمر محمد بن تومرت الذى ادعى انه المهدى فاتسع الخرق فى الاندلس فأرسل امير المسلمين ابنه تاشفين اميراً على الاندلس لجهاد الكفار ووقع بينه وبين ابن ردمير وقائع وانتصر فى بعضها على ردمير فمات مغموماً من الهزيمة بعد عشرين يوما وكان من أشد ملوك الفرنج على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقى من ملوك الفرنج الاذفونش الذى كان قد قتل طيطلة فوقع بينه وبين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحاً عشرين سنة

﴿ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى انه المهدى المنتظر ﴾

اعلم ان هذه القضية الكلام عليها طويل مذكور فى التواريخ وتلخيص ذلك باختصار ان محمد بن تومرت رجل من جبل السوس يدعى انه شريف علوى حسنى قرأ علوما بالمغرب ثم ارتحل الى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء واخذ عنهم قيل منهم الامام الغزالى وقيل لم يجتمع بالغزالى وكان يرى منامات يؤولها بالقيام بأمر الامة منها انه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل والنجوم فقام فى نفسه انه المهدى المنتظر وكتم ذلك فى اول امره واظهره فى آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتقشف فابتدأ اولا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم ويجتمعون معه على الذكر

وكان اعظمهم عبد المؤمن بن على الكومى القيسى وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وعبد الله الونشريسى ٨ وكان الونشريسى عالما متضلعا بالعلوم فامره ان يكتم ما عنده من العلوم و يجعل نفسه ابكم و يقوم بخدمة الشيخ وقال له ابق العلوم عندك مكتومة الى ان تحتاج الى اخراجها فى وقت يكون اخراجها فيه كالمعجزة والبرهان لاتمام ما نريد فامتثل امره وبقى ابكم بين الناس ابله ولعابه يجرى على صدره ولا يتكلم الا مع الشيخ فى وقت الخلوة ثم انهم دخلوا مراكش فرأوا نساء راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن فى تلك البلاد فانكروا عليهن وضربوا بعض البغال فسقطت من فوقها امرأة فاذا هى احت امير المسلمين فرفع الامر الى امير المسلمين واخبروه بان هذا الرجل يتحدث فى تغيير الدولة فاحضروه ومن معه وحصر عند امير المسلمين جماعة من العلماء ووقع بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فاقام الحجة عليهم بوجوه كثيرة من المنكرات التى اظهرها ولم ينكروها ووعظ امير المسلمين حتى انكاه فقال مالك بن وهيب وكان عالما صالحا يكثر مجالسة امير المسلمين بل كان احد وزرائه ان عندى نصيحة ان قبلتها حدثت عاقبتها فقال امير المسلمين ماهى فقال انى خائف عليك من هذا الرجل وارى انه لا يريد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يريد فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى دمه وان لم تقتله فخلده فى الحبس فقال بعض الحاضرين من جلساء امير المسلمين يقبح على امير المسلمين ان يبكى من موعظة هذا الرجل ثم يسىء اليه فى مجلس واحد وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون امره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لاصحابه لا مقام لكم بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى اغمات ثم ذهبوا الى جبل تينمل وكان جبلا عظيما فيه كثير من القبائل وكثير من الزروع والفواكه واتصلوا بالسوس وذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به اهل تلك النواحى وجعل يعظهم و يذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غيروه وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يحل طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فتابعه قبائل كثيرة وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلا وان مكانه الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا وسيره اليه مع بعض اصحابه ووعد المهدى اصحابه بالنصر فلقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا اسلابهم وقوى ظنهم فى صدق المهدى واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا و بايعوه والف لهم كتابا فى التوحيد سماه المرشد وكتابا فى العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن و يزهدهم فى الدنيا وكان قوته كل يوم برغيف وقليل من زيت او سمن وكان يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة بالراء بعد الغين المعجمة وكان ذو والحلم والعقل من اعمالهم ينهونهم عنه و يحذرونهم من اتباعه و يخوفونهم من سطوة الملك فلما علم بذلك خشى ان يفسدوا عليه من تبعه ويسلموه للملك فسار يسأل و يتجسس عن

٨ قوله الونشريسى ضبطه ابن خلكان بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت و بعد الياء سين مهملة نسبة الى وانشريس وهى بلدة بأفريقية وفى المغرب جبل يقال له وانشريس النسبة اليه وانشرنسى فهو غير وانشريس اه مؤلفه

هؤلاء الذين يمنعون اولادهم وعشائرهم من اتباعه ويكتب اسمائهم فى جريدة عنده ولم يطلع على ذلك احدا الا عبد الله الونشريسى الابكم الذى يخدمه ليرتب الامر معه وقد تقدم انه امره ان يكتم ما عنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له فى هذا الوقت هذا وقت اظهار ما عندك وامره ان يعمل ما سنذكره فخرج المهدى يوما لصلاة الصبح فرأى فى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الرائحة فاظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا الونشريسى فقال المهدى ما قمستك فقد كنت ابكم لا تتكلم فقال اتانى الليلة ملك من السماء فغسل قلبى وعلمنى الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول وبقية العلوم فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله اعطانى نورا اعرف به اهل الجنة من اهل النار وامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله ملائكة الى البئر التى فى موضع كذا يشهدون بصدقى وكان قد وضع فى البئر رجالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدى عند رأسها ركعتين وقال يا ملائكة الله ان عبد الله الونشريسى قد زعم كيت وكيت فقال من فى البئر صدق فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة او مالا يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون السر فيفسد الامر الذى دبره فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها واهلك من فيها من الرجال ثم نادى اهل الجبل بالحضور الى ذلك الموضع فحضروا ليتميز اهل الجنة من اهل النار فكان الونشريسى يعمد الى الرجل الذى عرفه المهدى به انه يخاف عاقبته وكتبه فى الجريدة التى اطلعه عليها فيقول هذا من اهل النار فيقتل والى الشاب الغر ومن لا يخاف منه فيقول من اهل الجنة فيترك على يمينه ولم يزل يجمعهم فى ايام مرة بعد اخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه فقتله قال ابن الاثير فى الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين الفا وصار الباقون معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وجعل الامير عليهم عبد المؤمن بن على وسيرهم لقتال المرابطين قوم امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وتتابع القتال بينهم مرارا وشرح ذلك يطول واستمر امره يعلو الى سنة اربع وعشرين غرض مرضا شديدا وكان عبد المؤمن غائبا مع الجيوش التى تقاتل اهل مراكش فاوصى المهدى بان خليفته عبد المؤمن وامرهم باتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ثم توفى فلما رجع عبد المؤمن بايعه الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدى سماهم بذلك كما تقدم فجهز الجيوش وازال ملك بنى تاشفين وفتح البلدان وملك كثيرا من مدائن المغرب وكل ذلك مبسوط فى التواريخ وصار لعبد المؤمن ملك عظيم فى المغرب والاندلس توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وستمائة فانتزع الملك منهم بنو مرين فكانت مدة دولة بنى عبد المؤمن مع مهديهم مائة وثنتين وخمسين سنة قال فى نفح الطيب كانت دولة بنى عبد المؤمن من اعظم الدول الاسلامية وكان كل واحد منهم يلقب امير المؤمنين ومسلكهم مسلك الخلفاء وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة

(وتوفى)

وتوفى عبد المؤمن سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما سديد الرأى حسن السياسة كثير التنقل للاموال الا انه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين و يلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان القائم على مجلسه اهل العلم والدين ومما نقل من كرمه ان شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

* ماهر عطفيه بين البيض والاسل * من الخليفة عبد المؤمن بن على *

فاشار اليه ان يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وامر له بالف دينار فقيل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبد المؤمن وما عسى ان يقول بعد قوله ماهر عطفيه البيت يعنى انه لا يمكنه ان يأتى بمدح اعظم مما فى هذا البيت وفى المونس فى اخبار تونس للعلامة ابى القاسم الرعينى القيروانى ان هذا الشاعر بعد ان قبض الالف الدينار عاد اليه من الغد والتمس البيت المذكور فأسكته وامر له بالف دينار اخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بالف دينار الى ان وصله مار بعين الفا فحسده بعض الشعراء وقال له الى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير اخلاق امير المؤمنين وقد وصلك بما ذكر فارتحل من فوره الى بلده ثم سأل عنه عبد المؤمن فاخبر برحيله فقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ظن بنا غير ما ظناه ونوطأ مقامه ازدناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب يحكى عنه انه مر ببعض طرق مراكش ومعه وزيره ابو جعفر بن عطية فأطلت من شباك جارية مارعة الجمال فقال عبد المؤمن * فدت فؤادى من الشباك اذ نظرت * فقال ابن عطية * حوراء تربو الى العشاق بالمقل * فقال عبد المؤمن * كانما لحظها فى قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن على ويقال لعبد المؤمن القيسى نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال له الكومى نسبة الى كومية قرية بتلمسان وكان المهدى محمد بن تومرت يقول له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين فى اخر الزمان برجل من قيس وارجو ان تكون انت وكان ابوه صادقا فى عمل الطين يعمل منه الآنية و يبيعها قال ابن حماد كان فى ترجمة عبد المؤمن كان فى صباه يوما نائما تجاه ابيه وكان ابوه مشتغلا بعمل الآنية من الطين فسمع ابوه دويا فى السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على راس عبد المؤمن وهو نائم فعضنه ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه على تلك الحالة فصاحت خوفا على ولدها فسكتها ابوه فقالت احاف عليه فقال لا بأس عليه بل ارى متعجبا مما يدل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من امر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبى وما به الم فتفقدت امه جسمه فلم تر به اثرا ولم يشك انها النحل وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى اليه ابوه واخبره عما رأه من النحل مع ولده فقال ذلك الرجل يوشك ان يكون لولدك هذا شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من امره ما كان وتقدم ان من اصحاب المهدى عمر بن يحيى الهنتانى قيل انه ينتهى نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه صار بعد المهدى من وزراء عبد المؤمن واعطى بنو عبد المؤمن اولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون الحفصيين استمر ملك تونس فيهم

الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالحفصيين وكانت مدة ملكهم تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت واختلف الناس فى امر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه اراد اظهار الحق فاجتهد واخطأ وقال بعضهم انه كان على الامة شرا من الحجاج ويزيد والله اعلم بحقيقة الحال ولنذكر ما كان من الفتوحات فى مدة عبد المؤمن وبنيه وفى مدة الحفصيين ملوك تونس

﴿ ذكر اول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس ﴾

قال ابن الاثير فى الكامل فى حوادث سنة احدى واربعين وخمسمائة فى هذه السنة عبر عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاءته جماعة من اعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره ففعل عبد المؤمن منهم ذلك وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين وهم اتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها وهى برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وامن الناس فملكوها واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من كان بها وانتزعت عساكر عبد المؤمن كثيرا من مدائن الاندلس التى كانت فى طاعة المرابطين مدينة بعد مدينة بعد حروب يطول ذكرها وفى سنة ثنتين واربعين حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة وكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة شاسة وولاية جيان وكلها بالاندلس وفى سنة ثلاث واربعين ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا منها جميع قلاعها وحصونها لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين شئ فى تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه وفى سنة خمس واربعين سار السلطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز مقدمهم ابا زكريا يحيى بن يرموز ونهضهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلقوا عسكر السلطين فى الوطاء واراد والاجتماع بالمسلمين المحصورين بقرطبة فسلكوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما فى الوعر فى مسافة اربعة ايام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السلطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة ليذهب اليهم وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد ابن غنيون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائهم فما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وقال له ادخلوا البلد فنزلوا وباتوا فيها فلما اصبحوا من الغد رأوا عسكر السلطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم ابو الغمر هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السلطين ما ارتحل الا طالبا لكم فان من

الموضع الذى كان فيه الى الجبل طريقاً سهلا ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انهم دخلوا قرطبة ولم يبق له طمع فى قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر وفى سنة ست واربعين سير عبد المؤمن جيشاً كثيفاً نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابى حفص عمر الهنتاتى وسير معهم نسائهم فكن يسرن مفردات عليهن البراتس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضربه الخدم بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين جماعة ابن تاشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آس واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه واتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووحدوا وصاروا ايضاً معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى القوارة وبينها وبين مرسية التى هى مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنجى مع ملك برشلونة فرجع جيش عبد المؤمن وحصروا مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها وفى سنة احدى وخمسين استعمل عبد المؤمن ابنه ابا سعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة فعبر ابو سعيد البحر الى مالقة وهى من الاندلس واتخذها دار اوكاتبه ميمون بن بدر الملتونى صاحب غرناطة ورضى انه يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ذلك منه ابو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى ابيه عبد المؤمن بمراكش فاقبل عليه عبد المؤمن واكرمه وانقرض بذلك دولة المرابطين ويقال لهم ايضا الملثمون كما تقدم ولم يبق لهم الا الجزيرة ميرقة مع احمد بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهى بأيدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة ثنتين واربعين وخمسمائة فلما نازلها واتاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحراً فلجأ الفرنج الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سوراً على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصوراً بهذا السور والخندق ولا يمكن من يجدهما من ان يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسليطين جموعا من الفرنج بلغت اثنى عشر الف فارس ومعه محمد بن سعد ابن مردنيش فى ستة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى الغد عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشرسنين وفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ارسل اهل غرناطة من بلاد

الاندلس وفى لعبد المؤمن الى الامير ابرهيم بن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد كما تقدم وصار من اتباع عبد المؤمن وفى طاعته وممن يحرض على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة طمع فى الملك فسار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر اباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة اصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه الفى فارس من ابجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جاءتهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن من قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد بمن معه فاقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر فسير فى الحال ابنه ابا يعقوب يوسف فى عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجدوا السير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى امر به لابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا فى سفحه اياما ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جميع جهاتهم فما لحقوا ان يركبوا فقتلوهم عن آخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لا طاقة لهم بهم ففروا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفى عبد المؤمن فبايع الموحدون ابنه محمدا ثم خلعوه بعد خمسة واربعين يوما وبايعوا اخاه يوسف بن عبد المؤمن وتلقب بأمير المؤمنين كأبيه قال ابن خلكان كان يوسف فقيها حافظا متقنا نشأ فى ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفى قراءة العلم بين افاضل العلماء كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لأيامها فى الجاهلية والاسلام ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسيأتى الكلام على فتوحاته ولنتمم الكلام على جميع فتوحات ابيه عبد المؤمن فى غير الاندلس

﴿ ذكر فتوح المهدية ﴾

المهدية مدينة من مدائن افريقية كانت المهدية فى يد الحسن بن على بن محمد بن تميم الصنهاجى وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فملكها الفرنج وانتزعوها من يده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفر الامير المذكور منها وقصد عبد المؤمن فأكرمه واحسن نزله وكان اهل سفاقس وزويلة يقاتلون الفرنج لتخليص المهدية فلم يقدروا وانهزموا مرة بعد اخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا

من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال فقصد جماعة من اهل زويلة عبدالمؤمن وهو بمراكش يستجيرون به مما كرههم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك الاسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وأمر بأنزالهم وان يعطوا الفي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث سنين فاجتمع معه مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وسار بجيوشه في شهر صفر سنة اربع وخمسين وخمسمائة وكان يقع من حفظه لعسكره انهم كانوا يمشون بين الزرع فلا يتأذى منهم اهل الزرع ولا يصيبون شيئاً منه واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف منهم احد كائناً من كان خوفاً من عقابه لانه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه امير افريقية الذي فرمنها حين اخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان ملك تونس بيد احمد بن خراسان واقبلت اساطيل عبدالمؤمن في البحر سبعين شينياً وطريدة وشلندى فلما نازل تونس ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا لينا كروا القتال ويملكوا فلما حن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهل تونس الى عبدالمؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فأجابهم الى الامان لهم في انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم على انفسهم واهليهم ويقاسمهم اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله منها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس اموالهم واقام عليها ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن اسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ثم سار عبد المؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاديه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان بالمهدية اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غاية رمية سهم فدخل عبدالمؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يجد له موضعاً من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكان اول من بناها واتخذها مدينة عبيدالله المهدي اول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة وكان الفرنج يخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فينالون منهم ويعودون سريعاً فأمر عبدالمؤمن ان يبنى سور من جهة غرب المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبدالمؤمن في شيني ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال لا براً ولا بحراً وليس لها الا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وامر بجمع

الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات والاقوات في العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هي حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك وتؤدي الحصار وفي مدته اطاع عبد المؤمن اهل سفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف فلما رأى اهل قفصة ذلك اطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية في سنة اربع وثمانين واربعمائة جاؤها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل العبيديين وبقيت في ايديهم وصار لهم فيها قوة عظيمة فكانوا يغزون هؤلاء المحصورين في المهدية ففي شهر شعبان من السنة المذكورة اعني سنة اربع وخمسين وخمسمائة جاء اسطول صاحب صقلية من ملوك الفرنج في مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبي اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليه ملك الفرنج يأمره بالمجيء الى المهدية فقدموا في التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن ورتب فيه العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب في قلوبهم وبقي عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكي ويتضرع الى الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا في البحر فانهزمت شواني الفرنج وعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فاخذوا منهم سبع شواني ولو كان معهم شواني لاخذوا اكثرهم وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس اهل المهدية من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر الحجة من السنة المذكورة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فني حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فأجابهم الى ذلك وأمنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم في البحر ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله اكثرهم بالغرق في البحر وكانت مدة ملكهم المهدية ثنتي عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة واقام بها عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما ثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وامره ان يقتدي برأيه في افعاله واقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدية اول صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهز جيوشا الى الاندلس

﴿ ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن ﴾

لما استقرت البيعة له بعد موت ابيه وخلع اخيه اخذ منهج ابيه وسار سيرته واستكثر من الجيوش

وعهد البلاد فصار له ملك صحم اكثر من بيد فكان ملكه من قاصية افريقية الى بلاد القبلة وبلاد الاندلس يجبى اليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الاموال وأمنت الطرق ثم رحل الى الاندلس لاكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وفي صحبته مائة الف فارس ورجل اشبيلية وشرع في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الافرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فاتسع ملكه وحاصر الاذفونش في طليطلة وضيق عليه شهورا فراسله الاذفونش في انه يسلم المدينة ويعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فسمعهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارووا وتقووا على المسلمين فهادنهم سبع سنين وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه في كل سنة من خراج اشبيلية واعمالها حمل مائة وخمسين بغلا خارجا عما يرتسم اليد من بقية البلاد وفي سنة خمس وستين وخمسمائة اتفق ان مردنيش ملك شرق الاندلس هو والافرنج على يوسف بن عبد المؤمن واستعجل امرهم فجهز يوسف العساكر فجازوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينتين من بلاده وأحاطوا عسكره وحنوده وأقاموا ببلاده مدة يتنقلون فيها ويجبون اموالها وفي سنة سبع وستين توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد شرقي الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما واوصى اولاده أنهم بعد موته يقصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان وداجة زال الاندلس في هذا العام في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت ابيهم فحينئذ أكرمهم يوسف فرح بهم وسر بقدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه وفي سنة ثمان وستين توجه يوسف الى الاندلس بعساكره ونزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الافرنج ونزل على مدينة رندى فحصرها واجتمعت الافرنج على ابن الفنش في جمع كثير فلم يقدروا على لقاء المسلمين فاتفق ان العلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الافرنج فعادوا الى اشبيلية وهو مع ذلك يجهز العسكر ويسيرها الى غزو الافرنج في كل وقت فكان لها عدة وقائع وغزوات ظهر منه للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الافرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مراكش واما وقائعه مع من خرج عن طاعته من المسلمين في افريقية وكثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها وهي مذكورة في التواريخ وفي سنة ست وسبعين أتاه رسول ملك الافرنج صاحب شنترية يلتمس الصلح معه فهادنه عشرين وفي سنة ثمانين وخمسمائة سار يوسف الى الاندلس في جمع عظيم من عساكر المغرب وقصد غربي بلاد الاندلس فحصر مدينة تشتير شهرا وهي للافرنج فأصابه بها مرض هلك فيه في ربيع الاول من السنة المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية وقيل انه اصابته طعنة مات منها وبعد أن وصلوا به اشبيلية حملوه في التابوت الى جبل تيخل ودفنوه هناك عند بيه عبد المؤمن بجانب قبر المهدي محمد بن تومرت واتفق شيوخ الموحدين على مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان الاديب احمد بن عبد السلام الكوراني كان من ظرفاء الندماء وكان ان فيلة من الترك وكان يجالس عبد المؤمن

ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق انه حضر يوما عند يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطبيب سعيد الغماري وغمارة ايضا قبيلة من البربر فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فقال الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خلقية من كومية فقال يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفى عنه ولم يعاقبه

﴿ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

كان يعقوب المذكور دينا مقيما للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه بأسرها فأقام راية الجهاد وأحسن السيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلاده وكان يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وكان مشاركا في علوم كثيرة ومن لطائفه انه بعث لبعض عماله أن ينظر له رجلا لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه بعثت اليك برجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع على ظهر كتاب العامل ظهر الفساد في البر والبحر وفي سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بار بعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الامر الى يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى وتسعين فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وبعد أن عزم يعقوب على المسير بعد جمع جيوشه أصابه مرض شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر عن المسير فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس فاقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خذل الله ممن يدعى انه من المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد ايها الامير فلا يخفى على كل ذي عقل لازب ولاذى لب ثاقب انك امير الملة الحنيفية كما انه هو امير الملة النصرانية وانك لا يخفى عليك ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا واخلادهم الى الراحات وانا أسومهم بحكم القهر الخسف وأخلي الديار وأسبي الذراري وامثل بالكهول وأقتل الشبان ولا عذر لكم عن التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون

(١) امتناعا

امتناعا ثم حكى لى انك اخذت فى الاحتفال و اشرفت على ربوة القتال وتعلل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى ولا ادرى الجبن ابطأ بك ام التكذيب عما تزن عليك ثم حكى لى عنك انك لاتجد سبيلا الى الحرب لعلة مايسوغ لك التقحم بها انا اقول لك ماهى ذلك واعتذر عنك ولك ان تتوجه بجملة من عندك بالمراكب والشوانى واحوز اليك بجملتى وابارزك فى اعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنيمة عظيمة جعت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والحكم على السربن والله يوفق الارشد ويوضح السعادة بمزيد وتخير للامير فلو علم ماكتبا وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه ارجع اليهم فلا تأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ولحق ابن مردنيش بما اراه لا ماتسمعه اوتقرأه وكتب ايضا بيتا مشهورا للمتنبى

ولا كتب الا للثغور وقائد ❊ ولا رسل الا للخميس العرمرم ❊

وعاد الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضاء فجمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها واقبلوا اليه مجدين مصممين على القتال واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالى قرطبة واقتتلوا قتالا شديدا اشتشهد فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة فى اول الامر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج فانهزم الفرنج أقبح هزيمة و نصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفاً واسر منهم ثلاثة عشر الفاً وقيل ثلاثون الفاً وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً فمن الخيام مائة الف وثلاث واربعون الفاً ومن الخيل ستة واربعون الفاً وقيل ثمانون الفاً ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وقيل اربعمائة الف جاءبها الاسعار لحمل اثقالهم لانهم لا ابل عندهم بالاندلس ومن الدروع التى صارت لبيت المال ستون الفاً غير ما اخذه المسلمون منها واما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا تحصى و بيع الاسير بدرهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الغنش بروحه وهو ملك النصارى اذ ذاك الى طليطلة فى اسوء حال وحلق رأسه وكسى الصليب وحلف ان لايتم على عرش ولايقرب النساء ولايركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ باثاره وسار يجمع الرجال من البلاد البعيدة و يستعد للقاء ثم لقيه يعقوب بالجيوش مرة ثانية فهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحصره فيها ورمى عليه بالمجانيق ولم يبق الافتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه يبكين بين يديه و يسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن اموالا كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فاقام بها شهراً يقسم الغنائم فجاءته رسل الغنش يطلب الصلح فصالحه وهادنه خمس سنين و أمن الناس وكان يعقوب قد نادى فى عسكره من غنم شيئاً فهوله واحصى ماحمل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين الفاً وهذه الوقعة تسمى وقعة الارك وهو اسم للموضع الذى كانت فيه الوقعة ولم يسمع بعد وقعة الذلاقة التى كانت على يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمثل وقعة الارك هذه بل صرح بعض المؤرخين بأنها

اعظم من وقعة الذلاقة وكان جملة من استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة نحو عشرين الفاً وعظم امر الاسلام بالاندلس بعد هذه الوقعة ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد كثيرة واجازهم بعطيات وافرة فمنهم ابن منقذ وكان شاعراً بليغاً مدحه بقصيدة منها قوله

* سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل *
* الى معدن التقوى الى معدن الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل *
* اليك امير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل *
* قطعت اليك البر والبحر موقنا * بأن ندالك الغمر بالنجح كافل *
* وحرت بقصديك الغنا فبلغتها * وادنى عطاياك العلا والاناضل *
* ولا زالت للعليا مراد مجسوداً باقياً * تبلغك الآمال ما انت آمل *

وعدد ابيات القصيدة اربعون بيتاً فأعطاه اربعين الفاً وانه صالح يعقوب الفرنج وهادنهم لانه بلغه قيام ثائر من المرابطين بأفريقية فأراد يعقوب الرجوع الى مراكش لقمع هذا الثائر واخماده فرجع وقمعه واخمده (لطيفة) قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى الفتوحات المكية كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد جازت الى الاندلس لقتال العدو فلقيت رجلا من رجال الله فسألنى ما تقول فى هذا الجيش هل يفتح له ويه تصر فى هذه السنة ام لا فقلت له ما عندك انت فى ذلك فقال ان الله تعالى قد ذكره فى كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبيناً وموضع البشرى فتحاً مبيناً من غير تكرار الالف فى مبيناً فأنها لاطلاق الوقوف فى تمام الآية فعلمت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جزت الى الاندلس فى السنة المذكورة وقد نصر الله جيش المسلمين فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص اه

فتحاً مبيناً ونوفى الامير يعقوب بمدينة سلا وقيل بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة

١٠٣ ٤٨٩ وعمره احدى واربعون سنة قال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب المذكور ثم

٥٩١ حكى لى جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التى من اعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحى متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اه قال فى نفح الطيب توفى السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب حكاية يليق ان تذكر ههنا وهى ان الامير ابا محمد عبد الواحد بن ابى حفص عمر الهنتانى كان قد تزوج اخت الامير يعقوب المذكور واقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيها يعقوب المذكور واقامت عنده فسير الامير عبد الواحد فى طلبها فامتنعت فشكا الامير عبد الواحد الى القاضى الجماعة بمراكش وهو ابو عبد الله محمد ابن على بن مروان فاجتمع القاضى المذكور بالامير يعقوب وقال

له ان يا محمد عبدالواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان الامير عبدالواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب وقال له انت قاضي المسلمين وقد طلبت اهلي فما جاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا امير المؤمنين ان الشيخ عبدالواحد قد طلب اهله وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير عبدالواحد القاضي بالقصر المذكور وقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا اطلب اهلي وقد منعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان الشيخ عبدالواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه اهله والا فاعزلني من القضاء فقال له يا اباعبدالله ما هذا الا بدكبير ثم استدعى حاشا وقال له في السر تحمل اهل الشيخ عبدالواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيأ يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره قال ابن خلكان وهذه حسنة تعدله وللقاضي ايضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

﴿ ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

وماجرى في مدته من الغزو لما توفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بايع شيوخ الموحدين ابنه محمدا ولقبوه الناصر وكان النصارى بالاندلس لما سمعوا بموت يعقوب اخذوا يتغلبون على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن عمره نحو تسع عشرة سنة فاستضعف كثير من وزراء ابيه ورجال دولته وبكثير من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى انه قتل بعض رجال دولته وشنق بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات ولقوة الشكيمة للافرنج فلما بلغه قوة شكيمتهم وطمعهم في التغلب على بعض الحصون بل اخذوا بعضها بالفعل شرع في التجهز للمسير لقتالهم فتجهز في ستمائة الف مقاتل ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش واستعد له العدو بجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا في شهر صفر سنة تسع وستمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من الستمائة الف الذين مع محمد بن يعقوب غير عدد يسير لم يبلغوا الالف فكانت هذه الوقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على المغرب كله وماذاك الا لسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على امره واستولى العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الوقعة بوقعة العقاب ثم كثر الثائرون والخارجون ايضا في المغرب وتوفي محمد بن يعقوب المذكور سنة ست عشرة وستمائة ثم تفرقت كلمة بني عبد المؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع بعضهم وانتشرت فتن كثيرة بينهم فكانوا كلما بويع لواحد منهم خلعوه وخرجوا عليه الى ان انقضت دولتهم وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر في الخطبة ويسترجعون عليه ويكتبون اسمه على سكة الدراهم والدنانير الا العاشر من خلفائهم وهو ابو العلا ادريس الملقب بالمأمون ابن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة والخطبة والف في ذلك رسالة طويلة افصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله وصار يلعنه وكان ادريس المأمون عالما فصيحا متمكنا في علم الاصول والفروع ناظما

ثائرا وكان سفاكا للدماء وكانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين وسفك دماء كثيرة من دماء الخارجين الثائرين عليهم وقتل فى يوم واحد اربعة آلاف ونصب رؤسهم على اسوار مدينة مراكش مات سنة ثلاثين وستمائة وكان تمام انقضاء دولتهم سنة ثمان وستين وستمائة فكانت مدة دولتهم مع مهديهم مائة واثنتين وخمسين سنة وجملة من تولى منهم مع مهديهم ستة عشر شخصا فسبحان الملك الباقى الذى لا يعترى ملكه الزوال والنقصان وتفصيل ملوكهم مع الفتن التى وقعت بينهم ذكرته فى تاريخ جمعته فى اخبار الاندلس وكان المنتزع الملك بنى عبد المؤمن جماعة من بنى مرين وسنذكرهم انشاء الله تعالى ونذكر ما كان منهم من الغزو لكفار الاندلس لكن ينبغى قبل ذكرهم ان نذكر الملثمين ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن تومرت المهدى على زعمهم والحفصيون ملوك تونس هم اولاد ابى حفص عمر الهنتاتى وهو الوزير الثانى لمحمد بن تومرت لانه اول قيامه بدعواه كان الملازمون القائمون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن على وعبد الله الونشريسى وابو حفص عمر الهنتاتى اما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده الذين ورثوا الملك منه الى ان ذهب ملكهم واما عبد الله الونشريسى فقتل فى بعض الحروب التى كانت اول ظهور محمد بن تومرت واما ابو حفص عمر الهنتاتى فكان وزيرا لعبد المؤمن وكان ولى العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن فى مدة ملكه اتخذ اباحفص عمر الهنتاتى وزيرا وخليلا يقربه ويدنيه ويستشيره فى اموره كلها ثم صار ابناء عبد المؤمن يقربون ابناء ابى حفص ويدنونهم ويتخذون منهم وزراء وامراء وفى سنة ستمائة وثلاثة فى مدة ملك محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن ابى بكر بن ابى حفص عمر الهنتاتى وتوارثها بنو عبد الواحد المذكور وبقى ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان فكانت مدة ملك تونس لبنى حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم ايضا من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت وكان لهم ملك ضخم وجرى منهم غزوات وفتوحات سيأتى كثير منها بعد اتمام الكلام على دولة بنى مرين المنتزعين ملك بنى عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من الغزوات والفتوحات بالاندلس

﴿ ذكر دولة بنى مرين وغزواتهم بالاندلس ﴾

اعلم ان بنى مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء والقفار وكانت اهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء والقفار وتفرقوا فى جهات المدن والامصار واوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت لهم رياسة وقوة شوكة فخلعوا طاعة بنى عبد المؤمن بعد ان كانوا تحت طاعتهم فصار كثير من رعايا بنى عبد المؤمن يحتمون ببنى مرين ويلتجئون اليهم لاسيما اذا وقعت عليهم مظلمة من بنى عبد المؤمن فتمسك كثير من الناس بمعتصمات بنى مرين واظلم الجو بينهم وبين بنى عبد المؤمن وثار من ذلك فتن كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم

محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو مرين يقوى امرهم كلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن الى ان استلبوهم الملك وانتزعوه منهم واستولوا عليه واول ماظهرت الرياسة فى بنى مرين بعد الخمسين والخمسمائة من الهجرة واول من ظهرت عليه الرياسة منهم محيو بن ابى بكر بن حمامة فقدموه رئيسا عليهم الى ان توفى سنة احدى وتسعين وخمسمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عبد الحق بن محيو الى ان توفى سنة اربع عشرة وستمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عثمان بن عبد الحق الى ان توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم بعده اخوه محمد بن عبد الحق الى ان توفى سنة اثنتين واربعين وستمائة ثم اخوه ابو يحيى بن عبد الحق الى ان توفى سنة ست وخمسين وستمائة فقام بالرياسة بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق وفى هذه المدة السابقة كانت محاربات كثيرة بينهم وبين بنى عبد المؤمن فقوى امرهم وانتشر صيتهم واستولوا على مدائن وقرى منها مكناسة وفاس وتلمسان وطنجة وسبتة وغير ذلك الا تونس واعمالها فان ملكها كان بيد الحفصيين ابناء أبى حفص عمر الهنتاتى احد اصحاب المهدى محمد بن تومرت وقد تقدم ذكر ذلك وكان ممالك بنى مرين فاس سنة ست واربعين وستمائة وآخر الامر ملكوا مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وقتلوا ابا دبوس الملقب بالواثق وهو آخر ملوك بنى عبد المؤمن واستقر الملك لبنى مرين على يد يعقوب بن عبد الحق فهو الذى ينبغى ان يكون اولهم ولما استقرت دولته بمدينة مراكش جائته البيعة من اهل الاندلس وجاءه جماعة منهم يستنصرون به على النصارى المتغلبين على اكثر الاندلس وسيأتى ذكر تجهيزه لغزو العدو بالاندلس انشاء الله تعالى

﴿ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف دولة بنى عبد المؤمن ﴾

كان بالاندلس عمال لبنى عبد المؤمن متفرقون فى اقطارها ومدائنها فلما حصل الضعف لدولتهم وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بنى مرين واشتغلوا بقتالهم اغتنم العدو الفرصة وصار يقتلع كثيرا من المدائن والمعاقل والحصون ويستولى عليها ولم يوجد بالاندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاتله وفد كثر ما استولى عليه الطاغية فى هذه المدة التى ضعف فيها ملك بنى عبد المؤمن وبعض المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف فى دولتهم فمن ذلك مدينة تطيلة واختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة اربع وعشرين وخمسمائة وكان ذلك فى اول دولة بنى عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل ذلك على طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن تاشفين لما عبر الاندلس وكانت وقعة الزلاقة عجز عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى الطاغية على مدينة سرقسطة سنة سبع وخمسين واربعمائة ثم استرجعت ثم استولى عليها ثانيا سنة خمسمائة واثنى عشر واستولى على بلنسية سنة اربعمائة وسبع وخمسين ثم ارتجعها المسلمون ثم تكرر استيلاؤهم عليها واسترجاعها كما تقدم ثم تغلب العدو عليها وأخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وستمائة واستولى على حصن روطة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان من امنع الحصون سلمه ابن هود لصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومته واستولى العدو على مدينة المرية سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون المرية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة و بقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو خذله الله مرة أخرى واستولى على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى ميروقة سنة سبع وثلاثين وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة سنة ست وثلاثين وستمائة وعلى شرق الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس واربعين وستمائة واستولوا سنة اربع واربعين وخمسمائة على مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة وعلى مرسية صلحا في العام المذكور وحصروا اشبيلية سنة خمس واربعين وستمائة وملكوها في العام المقابل و بيان وقائع اخذ الطاغية لهذه المدائن يطول الكلام بذكره وذلك مشتمل على ما تتقرح له الاكباد وتنسجم له العيون ولما اخذت قواعد المدائن وامهاتها بالاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز اهل الاسلام الى قطعة من شرق الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف بن هود الجذامي كان آباؤه لهم ملك بالاندلس من جملة ملوك الطوائف فكان محمد بن يوسف المذكور بمرسية من شرق الاندلس وكان هناك عمال ابني عبد المؤمن فتغلب عليهم واخرجهم واستعان على ذلك ببعض اهل الاندلس وعلمائهم واعيانهم وصار الملك له وخطب لبني العباس وأقام الدعوة لهم ثم كثر المنازعون له والثائرون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطمعوا فيه فاضطربت عليه الامور وكان ممن نازعه من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينسبون الى سعد بن عبادة رضي الله عنه الانصاري سيد الخزرج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان تحت ايديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانتزعوا ما كان تحت يد محمد بن يوسف بن هود وضموه الى ما كان تحت ايديهم وكان اول من قام من بني الاحمر محمد بن نصر وكان ابوه نصر في دولة بني عبد المؤمن من امراء الاجناد وكان محمد ابن نصر يقال له محمد الشيخ وبويع سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب لأبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتاتي وكان ابو زكريا المذكور اذذاك صاحب تونس وكان قد استفحل ملكه بتونس وافريقية فخلع طاعة بني عبد المؤمن ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين فبايع ابن الاحمر الناس له ليفسد على ابن هود بيعته ابني العباس ودخل مع ابن الاحمر في تلك البيعة اهل جيان وشريش وكان الطاغية في ذلك الوقت محاصرا بلنسية وذلك سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ارسل ابن الاحمر جماعة من اعيان اهل الاندلس لأبي زكريا الحفصي بتونس فقدموا عليه وعقدوا له بيعة اهل الاندلس واستصرخوا به يريدون منه النجدة في قتال النصارى فاجابهم الى مطلبهم وعقد ابو زكريا لتلك البيعة يوما مشهوداً بتونس وانشد شاعر اهل الاندلس القصيدة المشهورة التي اولها

* أنجد بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا *
* وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا *

وهي قصيدة طويلة بليغة مذكورة في نفح الطيب فاجاب ابو زكريا بيعتهم ولبى دعوتهم وجهز لهم اساطيل فيها المال والرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا الطاغية المحاصر بلنسية قد ملكها ثم ملك مرسية ايضا صلحا وكان ممن قام بالاندلس ايضا ابو محمد اشقيلولة

واستولى على قارش ووادى آش وكان بينه وبين ابن الاحمر مصاهرة وقرابة مع معاقدة باطنية فاستعان به ابن الاحمر على ابن هود وكان ابن هود قبل ان يتغلبوا عليه قد جاءه خطاب وتقليد من الخليفة العباسى المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر فقوى ابن هود لما جاءه التقليد فبايعه ابن الاحمر وترك الخطبة لابى زكريا الحفصى صاحب تونس وافريقية ثم قام باشبيلية ابو مروان الباجى فداخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فاطاعه ابو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيليه ثم قتل ابن مروان فقتله ثم ان اهل اشبيلية بعد شهر كاتبوا ابن هود ودخلوا فى طاعته واخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب ابن الاحمر على غرناطة سنة خمس وثلاثين وستمائة بمواطاة من اهلها فجاءته بيعتهم وهو بجيان فجاء الى غرناطة فدخلها وجعلها كرسى مملكته ثم تغلب على مالقة وفى هذه المدة التى وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوى امر النصارى وطمعوا فيما بايدى المسلمين وتنقفوا كثيرا من مدائن الاندلس وحصونها وداخلهم ابن هود وهادنهم بالصلح ليدفعوا عنه ابن الاحمر واعطاهم كثيرا من المعاقل والحصون قيل انه اعطاهم ثلاثين حصنا وجعل على نفسه ضريبة لهم كل سنة اربعمائة الف دينار ثم ثار على ابن هود وزيره ابن الرميمى فقتله واستولى على مابيده ثم استولى ابن الاحمر على مابيد الرميمى سنة ثلاث واربعين وستمائة ثم بايع ابن الاحمر اهل ميرقة سنة ثلاث وستين وستمائة وحصل لاعقاب ابن هود فى هذه الفتن حطوب كثيرة وحروب بينهم وبين ابن الاحمر ثم دخلوا فى طاعته فبعث ابن الاحمر ابن اشقيلولة فتسلم منهم مرسية وخطب لابن الاحمر وخلصهم عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان وستين وستمائة ثم انقرضت دولة بنى هود بالكلية وكان ابن الاحمر فى اول امره يداخل النصارى ويستعين بهم على ابن هود فلما داخل النصارى ابن هود واعطاهم الحصون المتقدم ذكرها وجعل لهم الضريبة على نفسه فزع اليهم ابن الاحمر لانهم كفوا عن معاضدته التى كانت منهم له قبل ذلك وصاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاحمر امر النصارى يقوى ورآهم تغلبوا على قرطبة وغيرها خاف ان يستولوا على مابيده فسخطهم ونبذ عهدهم وصار محترسا منهم وحاز فى تملكه مدائن بغرب الاندلس وبالتوسطة من الاندلس من ذلك غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وتوفى ابن الاحمر محمد الشيخ بن يوسف بن نصر سنة سبعمائة واحدى وسبعين فبويع بعده ابنه محمد الفقيه بن محمد الشيخ وكان ممن بقى من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة وكانوا نظراء لابن الاحمر فى الرياسة وبينهم وبينه مصاهرة ومناسبة وكان الرئيس فيهم ابا محمد صاحب مالقة واخاه ابا اسحاق صاحب وادى آش وقارش ثم ان ابن الاحمر محمد الفقيه فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة بعث جماعة من المسلمين الى بنى مرين يستصرخون بهم ويسألونهم النصرة والاعانة على قتال النصارى وكان فى ذلك الوقت قد تمكن الملك فى مراكش والمغرب الاقصى لبنى مرين وكان الملك فى ذلك الوقت من بنى مرين يعقوب بن عبد الحق

﴿ ذكر اول تجهيز من بنى مرين لغزو النصارى بالاندلس ﴾

لما جاء الصريخ من اهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الاحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبد الحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس ومراكش فاجتازت الى الاندلس مع بعض اولاد السلطان يعقوب والتقوا مع النصارى وقاتلوهم أشد

القتال وهزموهم شر هزيمة وملؤا ايديهم من غنائمهم واسلابهم وتحصن النصارى فى حصونهم ومعاقلهم وفى المدائن التى ملكوها ورجع بنو مرين سالمين منصورين ولم يخلصوا فى هذه الغزوة شيأ من المدائن التى ملكها العدو

﴿ غزوة أخرى لبنى مرين الى الاندلس ﴾

فى سنة اربع وسبعين وستمائة جمع امير المسلمين السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى جموعا كثيفة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طريف لقيه ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة فاكرمهما وفاوضهما فى أمر الجهاد ثم امرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الاحمر مغاضبا لكلمات صدرت من ابن اشقيلولة اغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب ان زعيم النصارى جمع جموعا كثيرة يضيق منها الفضاء فرتب السلطان جيوشه للقائه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد ان هزموا يوم العقاب الذى كان فى دولة الموحدين فى مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ما نصروا حتى دخل السلطان يعقوب ابن عبد الحق المرينى الاندلس وفتك بهم وقتل الله زعيم النصارى فى هذه الوقعة وكان اسمه ذنة وقتل من جيشه اكثر من اربعين الفا وهزم الباقون شر هزيمة وملك السلطان من الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك واعز الله به الدين بعد تمرد النصارى ولما قتل ذنة زعيم النصارى فى القتال المذكور بعث السلطان يعقوب رأس ذنة الى ابن الاحمر فقيل ان ابن الاحمر طيبه واكرمه ورده الى النصارى وجعل ذلك صنيعا عندهم وكرامة لهم وولاية اخلصها لهم وكان ذلك منه انحرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهده عليه بعد حين ورجع امير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصف ربيع الاول من سنته فقسم الغنائم فى المجاهدين وما اخذوه من اموال عدوهم وسباياهم واسراهم بعد اخراج الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف فى مصارفه وكان مبلغ الغنائم فى هذه الغزوة مائة الف من البقر واربعة وعشرين الفا من الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين اسيرا ومن الكراع اربعة عشر الفا واما الغنم فشئ كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح واقام امير المسلمين بالجزيرة اياما

﴿ غزوة اخرى ﴾

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته اياما خرج غازيا من الجزيرة الى اشبيلية فجاس خلال ديارها وتتبع اقطارها ونواحيها واقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعمرانها ثم ارتحل الى شريش فاذاقها ويال العيث والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة المذكورة بعد ان رتب فى الاندلس جيشا يقيم هناك ليدوم الغزو والجهاد للكفار

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين للاندلس ﴾

فى سنة ست وسبعين وستمائة تجهز السلطان يعقوب بن عبد الحق وسار بجموعه ونزل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيسان ابو محمدا بن اشقيلولة صاحب مالقة واخوه ابو اسحاق صاحب قارش يريدان الغزو معه ولم يأته ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة

فارتحل السلطان ومن معه الى منازلة اشبيلية وكان باشبيلية اذذاك ملك الجلالقة ابن اذفونش فحار وجبن عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن اهله فرتب امير المسلمين جيوشه وجعل ابنه يوسف فى المقدمة وزحف فى التعبية فانحجز العدو الى البلد واقتحموا أثرهم فى الوادى واثخنوا فيهم الى ان جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد اضرموا النيران بساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا السرايا والغزوات فى سائر النواحى حتى أبادوا عمرانها وملكوا حصن قطيانة عنوة وكذا حصن جليانة وحصن القلبعة واثخنوا فى القتل والسبى ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة الخضراء بالغنائم فارتحلوا وقسم الغنائم فى المجاهدين

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى منتصف ربيع الثانى من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة الخضراء غازيا الى شريش فاذاقها نكال الحرب واقفر نواحيها وقطع اشجارها وحرق كثيرا من ديارها وعمالها ونواحيها واثخن فيها بالقتل والاسر وتحصن العدو بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فاراد السلطان اخذ الاطراف ليسهل حصار البلد وبعث ابنه يوسف فى سرية للاغارة على اشبيلية وحصون الوادى فبالغ فى الكاية واكتسح حصن روطة وسلوقة وعليانة والقناطر ثم صبح اشبيلية وانكف الى امير المسلمين فحملوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فاراحوا وقسموا الغنائم فى المجاهدين

﴿ غزوة اخرى ﴾

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسير على صوب قرطبة ورعبهم فى عمرانها وثروة مساكنها وخصب بلادها فانطلقوا الى جانبه وارسل لابن الاحمر يستنهضه ودارت بينهما مكاتبات فيها عتاب زال به ما كان فى نفس ابن الاحمر وعزم على لقاء السلطان وخرج امير المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول حادى وافاهم ابن الاحمر بناحية ارشدونة فاكرم وصوله فنازلوا جميعا حصن بنى بشر وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا الاموال وخربوا الحصن ثم بثوا السرايا والغارات فى الدسم فاكتسحها وامتلأت الايدى وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران فى طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة وانحجزت حامية العدو من وراء الاسوار وابثت جموع المسلمين وسراياهم فى نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وجبن العدو عن اللقاء وأيقن بخراب العمران فلجح الى السلم وارسل لامير المسلمين يطلب السلم فدفعه الى ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم ابن الاحمر الى الصلح بعد عرضه على امير المسلمين واذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل امير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر احتفالا به وخرج له امير المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وقال له السلطان يعقوب يكون حظ بنى مرين من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين مع اهل الاندلس يوم الذلاقة ودخل امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء فى اول رجب من العام المذكور فأراهم ونظر فى ترتيب المصالح على الثغور وكان بنو اشقيلولة مع امير المسلمين فى هذا الغزو وفارقوه بعد فراغ

الغزو ولما فعلوا اعتل ابو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل للسلطان عن مالقة ودعاه الى احتيازها لانه رأى ابن الاحمر يطمع فى انتزاعها منه ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن الاحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها امير المسلمين لابنه ابى زيان مندبل ثم سار امير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال وبرز اليه اهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال ايام الزينة سرورا بقدومه ودخولهم فى ايالته واقام فيها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى وكان من صنائع دولتهم وانزل معه المسالح وزيان ابنه ابى عباد بن عبد الحق فى طائفة من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد ابن اشقيلولة ولما علم ابن الاحمر ان امير المسلمين تملكها شق عليه ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب بما اعطاه الله من نصر المسلمين لكن نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه الامر فتظاهر بطاغية النصارى واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعد هذه المرة ان اراد ذلك فاغتنم الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكث عهد امير المؤمنين واغزى اساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على عامل مالقة فأخذها منه وراسلوا بعض المتأثرين على السلطان بالمغرب وحثوهم على افساد الثغور واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش وبلغه ان المسلمين فى الجزيرة الخضراء فى شدة من ضيق الحصار فعقد لانه على الغزو واغزى الاساطيل فى البحر الى جهاد العدو

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين بالاندلس ﴾

لما بلغ امير المسلمين ما تقدم من نكث الطاغية العهد ومظاهرة ابن الاحمر فعقد السلطان لانه هو صل الى طنجة فى شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وغزا الى بلاد البحيرة لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم الاعطيات واستعد الناس فتوفرت هممهم على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما رأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة الخضراء من حصار الطاغية لها واشرافه على اخذها اخذته الحمية الاسلامية واعد اساطيله وكانت اثنى عشر وبعثها مددا للمسلمين واغاثة لهم وكانت اساطيل امير المسلمين تناهز السبعين وقيل اثنين وسبعين وبعث الامير صاحب سبتة خمسة واربعين اسطولا واساطيل الطاغية تناهز اربعمائة وتلاقوا مع العدو واخلصوا لله عزائمهم وصدقوا فى نياتهم ووعظهم خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نفحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى البحر فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون اساطيلهم ودخلوا مرفا الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته فغنموا كثيرا من الحنطة والادام والفواكه حتى ملؤا اسواق البلد من ذلك اياما واجار الامير يوسف من حينه الى الاندلس وارهب العدو فى كل ناحية ثم صده عن التوسع شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى ان يعقد مع الطاغية صلحا ويصل به يدا ليزل غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه ووجدة

على ابن الاحمر فى اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر الطاغية بالعداوة لابن الاحمر و دعت الطاغية اساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير يوسف الى ابيه امير المسلمين فغضب لذلك وأنكر على ابنه ولم يرض بما اراده ابنه وزوى عنه وجه رضاه وارجعهم الى طاغيتهم محققى السعى وجاء اهل الجزيرة الخضراء الى امير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه ابا زيال منديل فنزل بالجزيرة واتم الصلح مع الطاغية ونازل المرية برا و بحرا وكانت لابن الاحمر فامتنع اخذها عليه وانضوى اليه اهل الحصون القريبة بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فراجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين و بعث لابى زيال ابن السلطان فى طلب الصلح فأبى الامر الى ابيه فأشفق السلطان على المسلمين و على ما نال ابن الاحمر من منازلة الطاغية فراسله السلطان الى ان تم الصلح بينه و بين ابن الاحمر وارتحل الطاغية من غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مالقة للسلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببنى مرين ان اوقع الخلف بين الطاغية ابن ادفونش وابنه شانجة حتى سلب اباه ملكه وتغلب عليه فوفد على السلطان بطارقة الطاغية وزعماء دولته مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج على ابيه فى طائفة من النصارى فغلبوه على امره فجاؤا يطلبون النصرة من امير المسلمين ليرجع للطاغية ملكه و ينتزعه من ابنه ففرح امير المسلمين بافتراقهم وأحب الدخول الى الاندلس ليقضى مأربه من جهاد الكفار فأجاب امير المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه و ينتزعه من ابنه الغاصب له فأوعز الى الناس بالجهاد وامرهم بالنفير وجهز الجيوش واجاز الى الجزيرة الخضراء فاحتل بها فى ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه الطاغية بنفسه ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فاكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذ الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنج والتمس الطاغية من السلطان ان يمده بشئ من المال يستعين به فأمده لنفقاته مائة الف من مال المسلمين استرعن فيها الطاغية تاجه وبقى بيد المسلمين فخر اللاعقاب ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها شانجة ابن الطاغية الخارج على ابيه السالب لملكه فقاتلها اياما ثم تنقل فى جهاتها و نواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث فى جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى الثغر فامتلأت ايدى المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منها ورجع السلطان الى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من السنة ولما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشى ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج على ابيه ووصل يده بيده واكد له العقد واضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم يغن ذلك شانجة شيأ فلم يزل السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان كان اشترط على ابن الاحمر ارجاع مالقة فلم يفعل فنهض السلطان الى مالقة ونازلها فاقتحم ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مالقة فضاق النطاق على ابن الاحمر فالتجأ الى

الامير يوسف ابن السلطان وخاطبه مستصرخا لرفع هذا الخرق وجمع كلمة الاسلام فأجابه وأجاز لشهر صفر فوافى السلطان امير المسلمين بمسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافى عن مالقة فاسعف رغبته لما يؤمل فى ذلك من رضاء الله فى جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط امل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا فى دار الحرب فأوغلوا واثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى من سنة ثنتين وثمانين وستمائة حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة فى شهر رجب وقسم الغنائم ثم رجع الى المغرب وفى فاتح سنة ثلاث وثمانين بلغه مهلك الطاغية ابن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على ابيه فتحركت الى الجهاد عزائم السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس بجمع الجيوش ونهض من مراكش فى شهر جمادى الآخرة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى صومه ثم شرع فى ارسال الجنود الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة اربع وثمانين ولما انتهى الى الجزيرة سرح الجنود فى بلاد العدو وبث السرايا والغارات فى جميع النواحى فأثخنوا القتل والتخريب والسبى للنساء والذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات وجرى فى هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتعداد الجهات والحصون التى اخربوها وسلبوا مافيها وبقى النصارى متحصنين فى حصونهم المنيعة لا يقدرون على المبارزة للقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة واهل ملته ان بلادهم قد فنيت وارضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فنهضوا الى السلم وضرعوا الى امير المسلمين فى كف عاديته عنهم واجتمع النصارى الى طاغيتهم شانجة حاشمة ابصارهم وسألوه ان يبعث الى امير المسلمين الملأ من كبار النصارى يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى ماد عوه اليه فأوفد الى امير المسلمين وفدا من بطارقتهم وكبار دولتهم فردهم امير المسلمين اعتزازا عليهم فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان يشرط امير المسلمين ماشاء من عزديته وقومه فأسعفهم امير المسلمين لما تيقن عن ذلهم لعز الاسلام ولانه اراد الرجوع الى المغرب لاصلاح مافسد من الرعايا بقيام بعض الثوار الخارجين عن طاعته فعقد الصلح مع طاغية النصارى واشترط عليهم ما اراد من ذلك انهم يقفون عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك اوعداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة

﴿ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ﴾

لما رجعت رسل الطاغية اليه بعد عقد الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر ليعقد السلم معه دون امير المسلمين وان تكون يده ويده واحدة على السلطان فأخبرهم بما عقده مع امير المسلمين ثم قال هذا امير المسلمين ولست اطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم اشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على امير المسلمين لتمكن الالفة فقبل اشارتهم والتقى قبل ذلك بولى عهد امير

المسلمين وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقيه وبات فى معسكر المسلمين ثم ارتحل من الغد للقاء امير المسلمين فامر المسلمين بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وابهته فاحتفلوا واظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية فلقيه امير المسلمين باحسن مبرة واتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم هدية سنية لامير المسلمين وابنه فقبلاها منه وقابلاه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد الصلح وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام وانقلب الى قومه وسأله السلطان ان يبعث له من كتب المسلمين التى استولى عليها النصارى فلما رجع بعث اليه ستة عشر حملا وقفل امير المسلمين الى الجزيرة فى آخر شعبان وصام بها رمضان ثم أعمل نظره فى الثغور وترتيب المسالح ثم اعتل وهو بالجزيرة واستمر به المرض الى ان توفى لآخر المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولى عهده فى اقصى المغرب بعثه ابوه لتفقد الاحوال وهو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فأخذ البيعة له وزراء ابيه وعظماء قومه وحضر بنفسه فى شهر صفر فأخذوا البيعة على الخاصة والعامة وكان اول شئ احدث من امره ان بعث الى ابن الاحمر وضرب موعد اللقائه فبدر اليه ولقيه بظاهر مريالة لاول ربيع فلقيه هو بعزة وتكريم وتجاوز له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكة والده السلطان يعقوب ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا على اكمل حالات المصافات والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فوافاه بها الطاغية شانجة فجددوا عقد السلم الذى عقده امير المسلمين يعقوب رحمه الله فأجابه

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة سبع وثمانين نما الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بان الطاغية انتقض العهد وتجاوز التخوم واغار على الثغور فارسل السلطان الى قائد المسالح بالاندلس ان يدخل الى دار الحرب وينازل شريش ويشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلالها وتوغل فى اقطارها وابلغ فى الذكاية وفصل السلطان فى ربيع الآخر سنة تسعين من تازى غازيا واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله فالتقوا مع اساطيل السلطان فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم واستشهد كثير منهم محصهم الله تعالى ثم اغزا له ثانيا فجبنت اساطيل الطاغية عن اللقاء ثم ملكتها اساطيل السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

ثم أجاز السلطان بنفسه فى اواخر رمضان سنة احدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصنا منيعا ثلاثة اشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى ارض العدو ورد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى ان بلغ الغاية فى النكاية للعدو والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فافزع عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح سنة اثنتين وتسعين

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة اثنتين وتسعين تظاهر ابن الاحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان ان اراد المجئ

بعد المرة السابقة وسبب ذلك انه لما أجاز السلطان الى الاندلس سنة احدى وتسعين وبلغ من نكاية العدو اهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته وحدر بن الاحمر ايضا غائلة السلطان ورأى ان معبة حاله الاشتيلاء على الاندلس وان يغلبه على امره ويستلبه ملكه ففاوض الطاغية وتحدثوا ان استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حواليه فان ذلك يسهل عبور شواتيهم وسفنهم وان ام تلك الثغور طريف وانهم اذا استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون اساطيلهم بمرفاها بمرصد أساطيل المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف ليتملكها وزعم له ابن الاحمر مظاهرته على ذلك ووعده بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها ووعده الطاغية انها تكون لابن الاحمر ان خلصت من ايديهم فأناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات واحتلت اساطيله بحر الزقاق فحالوا بين صريخ المسلمين ووصوله الى السلطان وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهيأها قريبا منه وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال اربعة اشهر حتى اصاب اهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد فصالحهم واستنزلهم ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر ان الطاغية يسلمه طريف حسبما كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان ابن الاحمر نزل للطاغية عن ستة من الحصون عوضا عنها ففسدت بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التملك بالسلطان ليستعين به على الطاغية فأوفد ابن عمه اباسعيد ووزيره اباسلطان الداني في وفد من رجال دولته على السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافوا السلطان فقبلهم وقبل ما اعتذروا به وأحكموا الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسعاف غرضه من المواخاة وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان جيش لبني مرين مقيما بالاندلس دائما للغزو فقدر الله ان في خلال ذلك توفي قائد الجيش الذي بالاندلس لبني مرين فعقد السلطان لابنه ولي عهده ابي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته مع النظر في امر الجيش الذي بالاندلس وانفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هناك وقدم له هدية وللسلطان هدية ايضا فتلقاه الامير ابو عامر واحتفل في مبرته ثم قدم ابن الاحمر على السلطان فوافاه بطنجة فبالغ في تكرمته وبسط له ابن الاحمر العذر في شأن طريف فقبل عذره ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والفريبة وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك لسلطان المغرب وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين محبوا مجبورا وأجارت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر الخرياش فنازلها مدة فامتنع عليه اخذها فافرج عنها وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة واجتمع النصارى على ابنه اذفونش هرانده وحصل قيام ثائرين من المسلمين بتلمسان خرجوا عن طاعة السلطان فاعتزم السلطان على التجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يطول الكلام بذكرها فسار السلطان بجيوشه اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات ابن الاحمر في هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع بن محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وبعث ولده للسلطان بتلمسان فأحكموا الامر والعهد بينهما وكتب

السلطان الى رجاله المقيمين بثغور الاندلس فى اعانتهم وامدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت لهم نكاية فى العدو ثم بدا لابن الاحمر محمد المعروف بالمخلوع ان يصل يده بالطاغية هرامدة بن شانجة فكاتبه واحكم عقد السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر تلمسان فسخطه واستغره الصريخ فبعث ابنه اباسالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر واستعد ابن الاحمر لمدافعة ابن السلطان فداخل اهل سبتة فى خلع السلطان والقبض على عامله فتم له ذلك فسار ابو سالم ابن السلطان بعساكره الى سبتة وحاصرها مرة ثم بيتوه ليلة فاختل معسكره وأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا انه قد اشرف على فتح تلمسان فلم يكنه النهوض بنفسه وكانت هذه السنة متسلا بعضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة ست وسبعمائة فقدر الله بهلك السلطان يوسف وهو محاصر تلمسان طعنه خصى من عبيده وهو على عملة بواطاة وزير من وزراء السلطان ثم صار الاختلاف الكثير بين اولاده واختلف بنو مرين فيمن يختارونه للملك منهم وبايعوا بعضهم ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من اخوته والكلام على ذلك طويل لاحاجة بنا الى ذكره ووقعت بينهم مع بعضهم فتنة هائلة واستمر الامر بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاخى السلطان يوسف المطعون واخوه الذى استقر الامر له هو ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفى خلال هذه الفتن قتل بالاندلس ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه اخاه محمدا المخلوع بن محمد الفقيه بن الاحمر وذلك سنة ثمان فثار عليه ابن عمه ابو الوليد اسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر وانقطع الملك عن اولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار فى اولاد ابن سعيد فرج الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ثار ابو الوليد على ابى الجيوش صاحبه ابو الجيوش سنة سبع عشرة وسبعمائة على الخروج الى وادى آش فلحق بها وجدد له بها ملكا الى ان مات سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل ابو الوليد غرناطة فاتصل لنفسه وبنيه ملكا وفى هذه المدة التى كانت فيها هذه الفتن اغتنم الطاغية الفرصة ونازل الجزيرة الخضراء ثم اقلع عنها على صلح بعد ان اذاقها من الحصار شدة وبعده نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو اول من فتح الاندلس وتسميه العامة الآن جبل الطار فتغلب عليه الطاغية وتملكه وذلك سنة تسع وسبعمائة وتراسل هرامدة ابن اذفونش مع صاحب برشلونة وامره ان يشغل اهل الاندلس من ورائهم فنازل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر العدو تحت الارض سربا مقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون لذلك فاحتفروا قبالتهم مثله الى ان نفذ بعضهم الى بعض فاقتتلوا من تحت الارض وبعث ابن الاحمر عسكرا مددا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فلقيهم جمع للنصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عسكر ابن الاحمر واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية واقامت عسكر الطاغية على سمانة واسطبونة وزحفت عسكر بنى مرين المقيمون بالاندلس للجهاد على عسكر اسطبونة وقتلوا قائده الفنش وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض عسكر المسلمين برجين فحاصرهم جموع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانفض الحصار وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد للمسلمين فخالف اهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وصار للمسلمين الكرة وامتلأت ايديهم من غنائمهم وأسراهم ثم هلك

الطاغية اثناء هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وسبعمائة وهو هرانذة ابن شانجة وولي بعده ابنه الهشة وكان طفلا صغيرا جعلوه تحت نظر عمه دون بطرة ابن شانجة مع زعيم للنصارى اسمه جوان فكفلاه واستقام امرهم على ذلك وشغل السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب بشأن ابنه على فانه خرج على ابيه وكان بينهما مايطول ذكره فاغتنم النصارى الفرصة وقوى امرهم بالاندلس فزحفوا على غرناطة كرسي سلطنة ابن الاحمر سنة ثمانية عشرة وسبعمائة واناخوا عليها بعسكرهم وأممهم فبعث اهل الاندلس صريخهم الى السلطان ابي سعيد وهو في شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش لبني مرين جعلوه مقيما دائما بالاندلس لقصد الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على اولئك المجاهدين عثمان بن ابي العلا ادريس ابن عبد الله بن عبد الحق المريني فلما جاء صريخ اهل الاندلس للسلطان ابي سعيد اعتذر اليهم السلطان بسبب ماهو مشغول به من امر ابنه واعتذر اليهم ايضا بوجود عثمان بن ابي العلا رئيس الجيوش بالاندلس وكان له قوة ورياسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على السلطنة فتفترق كلمة بني مرين فشرط عليهم ان يقبضوا على عثمان ابن ابي العلا ويدفعوه اليه برمته فيبقى عنده ويبعث اليهم من يقوم بتدبير جيوش بني مرين بالاندلس مع مايمكنه من ارسال العساكر ثم اذا تم الجهاد يعيد ابن ابي العلا اليهم احتياطا على المسلمين لئلا تفترق الكلمة فلم يمكنهم ذلك لقوة رياسة عثمان بن ابي العلا بعصابته من قومه فأخفق سعي هؤلاء المستصرخين بالسلطان ولم تحصل لهم نجدة منه واطالت امم النصرانية الحصار على غرناطة واكثروا الجيوش وطمعوا في تملكها ثم ان الله تعالى نفس محنتهم ودافع ببدقدرته كما ستراه مذكورا حالا في هذه الغزوة العظمى

﴿ غزوة عظمى ﴾

لما اراد الله حصول النصر والفرج للمسلمين الذين حاصرهم العدو بغرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وفق الله شيخ الغزاة من بني مرين المقيمين بالاندلس للجهاد وهو عثمان بن ابي العلا المتقدم ذكره حتى كان النصر بسببه واعانته فكانت هذه من الغرائب والعجائب بل هي من اعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة الله لامته والقصة طويلة ولخصها ان النصارى عزموا في ذلك العام على استيصال المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لايبقى شيء من الاندلس تحت يد المسلمين فتجهزوا لغزو غرناطة التي فيها ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر وأتاها الطاغية دون بطرة في جيش لايحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا من ملوك الفرنج وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا الى من يرجعون اليه في دينهم وهو البابا صاحب رومة فدخل ملكهم دون بطرة صاحب طليطلة على البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استيصال من بقي من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالسلطان ابي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب فاس ومراكش وأنفذوا اليه رسلا فاعتذر منهم كما تقدم بيانه فرجعوا الى اعظم الادوية وهو الالتجاء الى الله تعالى واخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار واقبل الافرنج في جموع لا تحصى فقضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان سلطان الاندلس اذ ذاك الغالب بالله ابو

الوليد اسماعيل ابن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من بنى مرين الشيخ العالم ابو سعيد عثمان بن ابى العلا ادريس بن عبد الله بن عبد الحق المرينى فاجتهد ابن الاحمر فى تحصين البلاد واشغورها فلما بلغ النصارى ذلك التحصين عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك عزموا على استيصال المسلمين وتوجهوا الى طليطلة ليكملوا التأهب بذلك فأعدوا غايه الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات والمراكب ووصل العدو الى غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر وامتلأت الارض بهم فتقدم ابن الاحمر الى شيخ الغزاة ابى سعيد عثمان ابن ابى العلا وسأله الخروج للجهاد واتجاد المسلمين بمن معه من الغزاة والشجعان فخرج اليهم يوم الخميس المرقى عشرين من ربيع الاول سنة تسع عشرة وسبعمائة ولما كانت ليلة الاحد اغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرج اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية امامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب شيخ الغزاة لقتال العدو فى خمسة آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بخيلهم وحملوا عليهم فقاتلهم المسلمون اشد القتال وهزم الله الفرنج اقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة ايام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتل الملوك لخمسة والعشرين الذين كانوا معه بجيوشهم وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا على اموال عظيمة منها من اذهب ثلاثة وار بعون قنطارا ومن الفضة مائة وار بعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف وكان من جملة السبى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى فى هذه الغزوة على خمسين الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطرق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستمر البيع فى الاسرى والاسباب والدواب ستة اشهر ووردت البشائر بهذا النصر الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة انفس وكان عسكر المسلمين خمسة آلاف وخمسمائة منهم الف وخمسمائة فارس واربعة آلاف رجالة وكانت النعم تفوق الوصف وسلح الطاغية دون بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات وطلب النصارى الهدنة فعقدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت وفاة شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلا سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى فى المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غرة رحمه الله تعالى ورضى عنه وكتبوا على قبره ترجمة طويلة تدل على علو شانه فى العلم والعمل والاخلاص فى الجهاد وكانت وفاة ابن الاحمر سنة سبع وعشرين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الجاح يوسف وتوفى السلطان عثمان المرينى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى

﴿ ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى ﴾

قد تقدم ان الطاغية تملك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من احسن الثغور وكان شجا في حلق العدو وهو فاصل بين افريقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الاحمر قدم على السلطان في سنة اثنتين وثلاثين فأكبر مقدمه واركب المسلمين للقائه وبالغ في اكرامه فتذاكر معه في شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه وأمر السلطان ابو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الامير ابي مالك على جيش من بني مرين وانفذه مع ابن الاحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وارسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس يجمعون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلوا اليه واجتمع معسكرهم جيشا بساحة جبل الفتح وأبلوا في حربه ومنازلته بلاء حسنا الى ان تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصرانية وغنموا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه امم كثيرة مددا لقومه بعد مضي ثلاثة ايام من الفتح وقد شحنه المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية اناخ بجيوشه عليه وبرز ابو مالك بعساكره فنزل بحذائه ونزل ايضا عسكر الاندلس بحذاء الطاغية وتحصن العدو في محلتهم فبادر ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه وتلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له فسأله ابن الاحمر الافراج عن هذا المعقل فرأى الطاغية ان تملكه الجبل وانتزاعه من المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ما سأل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل لفوره واخذ الامير ابو مالك في تشقيف اطراف الثغر وسد فرجه وانزل الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتحا طوق دولة السلطان ابي الحسن قلادة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى ان ملكوه ستة اشهر ثم اراد السلطان ابو الحسن ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به مزجج جهاته حتى لا يطمع العدو في منازلته ولا يجد طريقا للتضييق عليه عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق السلطان كثيرا من الاموال وارضى العمال حتى بنى سورا احاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ثم زاد في التحصين بعده ابنه ابو عنان

﴿ ذكر غزوة للسلطان ابي الحسن الى الاندلس ﴾

كان السلطان ابو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتال جماعة ثائرين عليه بتلمسان واستمر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصارى بالاندلس فقصد اولا ولاية ابنه ابي مالك على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال اهل تلمسان قد اعتز على المسلمين ونازل السلطان ابا الوليد ابن الاحمر بغرناطة مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها لعدم قدرته على دفاعه واقبل الطاغية على انتهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان ابو الحسن من شأن اهل تلمسان دعته نفسه الى الجهاد فأوغر الى ابنه الامير ابي مالك امير الثغور سنة اربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل في بلاد الطاغية واكتسحها واكثر القتل والسبي وغنم عساكره غنائم كثيرة فلما شرع

فى الرجوع عن ارضهم اتصل به الخبر بان النصارى جموا له وأجدوا السير فى اتباعه فشار عليه وزراؤه بالخروج من ارضهم وان يصير الى مدن المسلمين ويتحصن بها فامتنع من الرجوع وكان قرمانيا ثابتا الا انه غير بصير بالحروب لصغر سنه فصبحهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل ان يركبوا وادركوا الامير ابا مالك قبل ان يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله له الشهادة وقتلوا كثيرا من قومه واحتووا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على اعقابهم واتصل الخبر بالسلطان ابى الحسن فعجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحم له واحتسب عند الله اجره وشرع فى اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجند وأزاح علتهم واستفراهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد فتسامعت بهم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية اسطوله الى الموضع المعروف عنده بالزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى العدو وبعث الى ملوك بنى حفص بافريقية بتجهيز اسطولهم اليه فبعثوا اليه عشرين اسطولا مشحونة بالعساكر وتوافت اساطيل المسلمين بسبتة تناهز المائة فناجزوا اسطول النصارى التى بالزقاق وزحفوا عليهم وتوانعوا ملياثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الا قليل حتى هبت ريح النصر واطفر الله المسلمين بعدوهم وحالطوهم فى اساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح والقوا اشلاءهم باليم وقتلوا قائدهم واستاقوا اساطيلهم الى مرسى سبتة واستولى المسلمون عليها فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو فى جوانب البلد ونظمت اصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان ابو الحسن للتهنئة وانشدت الشعراء القصائد بين يديه وكان يوما من اعز الايام ولله الحمد والمنة ثم شرع السلطان فى اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة والمرتزقة ولما استكمل اجازة العساكر اجاز هو فى اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة اربعين ونزل بساحة طريف واناخ بعساكره عليها وهى بيد النصارى واحاط عسكره بفنائها ووافاه سلطان الاندلس ابن الاحمر بعسكر الاندلس واحاط الجميع بطريف زقاقا واحدا ونسبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم للبلد ففنيت ازودتهم وافتقدوا العلوفات واختلت احوال العسكر واحتشد الطاغية امم النصرانية واعانه البرتقال صاحب اشبونة وعرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف على المسلمين لستة اشهر من نزلتهم ولما قرب معسكرهم ارسلوا قطعة من جيش النصارى الى طريف فدخلوها ليلا على غفلة من الحرس واحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وادركوا اعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان وقالوا له لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد فى جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب القتال كان للعدو جيش كمين فبرز وحالفوهم الى معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعه عنهم من كان عند الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوهم وكان مع السلطان فى هذه الغزوة بعض نسائه فوصل هؤلاء المهاجمون الى النساء فدافع النساء عن انفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه ابى يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت سلطان افريقية ابى يحيى الحفصى وغيرهن من حظاياه فقتلوهن عن آخرهن واستلبوهم وانتهبوا اثاث الفسطاط وأضرموا

المعسكر نارا وأحس المسلمون الذين يقاتلون الكفار بجاورا تهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على اعقابهم بعداں كان ابن السلطان هجم فى طائفة من قومه حتى حالط الكفار فى صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية بنفسه الى فسطاط السلطان ابى الحسن وانكر على قومه قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى اثره ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة كرسى ملكه وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب الى سبتة ومحص الله المسلمين واجزل ثوابهم ولما رجع الطاغية من طريف استأسد اى صار كالأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والايدى على حصارها واشتد محنتها واصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وانصرف الى بلده واما السلطان ابو الحسن فانه لما اجاز الى سبتة ألزم نفسه بالعود الى الجهاد وذهب الى فاس وبعث فى الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل منها عدة وافرة ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره وبعث الى الجزيرة بعض اقارب الوزير وبعث اليهم مددا وبلغ الطاغية الخبر فجهز اسطوله واجراه الى بحر الرقاق للمدافعة وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم اعداد وتغلب اسطول الطاغية على بحر الرقاق وملكوا دور المسلمين واقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى اناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ اساطيل المسلمين وأمن ان يعلمها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع بالآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ اهل العسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان ابو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على سبيل الممانعة واقام السلطان ابو الحسن بمكانه من سبتة ليبعث المدد من الفرسان والمال والميرة فلم يغنهم ذلك شيأ واشتد الحصار عليهم واصابهم الجهد واجاز اليه السلطان ابن الاحمر ليعاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الجواز مكرابه وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فسدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاقت احوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على ان ينزلوا عن البلد فبذل الامان لهم وخرجوا فوفى لهم واجازوا الى المغرب وذلك سنة ثلاث واربعين ونزلهم السلطان ابو الحسن بلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما اعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم واجازهم بجوائز سنية لا يزال الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور امر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم ثار على ابى الحسن ثائرون بالمغرب وتوالت فتن كثيرة الى ان توفى سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة وولى بعد ابنه ابو عنان وثار بينه وبين اخوته فتن كثيرة واما سلطان الاندلس ابو الحجاج ابن الاحمر فقتل فى الصلاة يوم عيد الفطر طعنه اسود مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغنى بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم خلع سنة ستين ثم اعيد سنة ثلاث وستين والكلام على ذلك طويل لا حاجة لنا بذكره واستمر فى ملكه الى ان توفى سنة ثلاث

وتسعين وسبعمائة وكان قد قوى ملكه وسلطانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى صار ملك المغرب وسلطان بني مرين تحت أمره ووقع في هذه السنين فتن بالاندلس بين النصارى مع بعضهم وذلك ان الهنش ملك النصارى هلك سنة احدى وخمسين وسبعمائة وولى بعده ابنه بطرة وثارت فتن وحروب بينه وبين اخوته واتهز الفرصة ابن الاحمر وجمع جيوش المسلمين للجهاد ودخل بعساكر المسلمين فأثخن في ارض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين وسبعمائة ثم تشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء الى المسلمين فتراسل ابن الاحمر مع ملك مراكش وفاس وكان السلطان حينئذ السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن واتفقا على ان ابن الاحمر يزحف بعساكره وملك المغرب يمده بالمال والاساطيل لعزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوعز صاحب المغرب الى اساطيله فسمرت وسارت وبعث بمال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر بعساكره واستعد الآلات للحصار فنازلها اياما قلائل فأيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم فاجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزلوا عن البلد واقيمت فيه شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك في سنة سبعين وولى عليها ابن الاحمر من قبله ولم تزل تحت نظره الى ان تمحض له النظر في هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت سنة ثمانين وسبعمائة واصبحت حاوية كان لم تغن بالامس والبقاء لله وحده وتوفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وولى ابنه يوسف وتوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج البرتغال مدينة سبتة سنة اربع عشرة وثمانمائة في مراكب كثيرة فقاتلهم اهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فملكوها وبقيت معهم نحو مائتين وخمسين سنة ثم انتزعها الاسبانيول منهم ثم توالت فتن بين بني الاحمر مع بعضهم في الاندلس وجرت امور يطول الكلام بشرحها وآل الامر فيها الى خروج ملك الاندلس عن ايدي المسلمين فأخذ العدو مالقة سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة واخذوا عرناطة سنة سبع وتسعين وثمانمائة وانقرض ملك بني مرين سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزرائهم بني وطاس ثم منهم للاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة أصاب المسلمون وقت حصار العدو لهم بها شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكاتبوا العدو في الصلح واشترطوا شروطا وعقدوا وثايق ومكنوا العدو من غرناطة وكانت الشروط سبعا وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ومنها ابقاء الناس واماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على احد منهم الا بشريعتهم ومنها ان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى دار مسلم وان لا يغصبوا احدا وان لا يتولى على المسلمين في الاحكام نصراني ولا يهودي وان يفك من كان اسيرا منهم ومنها أن من اراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤاخذ من قتل احدا من النصارى ايام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصارى نقضوا تلك الشروط شيأ فشيأ ونكثوها عروة عروة الى ان آل الامر الى حملهم المسلمين على التنصر حتى صاروا يقولون لبعض المسلمين ان جدك كان نصرانيا فأسلم في زمن كذا فلا بد ان ترجع نصرانيا كما

كان اجدادك السابقون فلما فتش هذا الامر قام جماعة من المسلمين كانوا بموضع يقال له البيازين فقتلوا النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلمين الا من تنصر فانه ينجو من القتل فتنصر خلق كثير في البادية والحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى واجتمعوا في بعض القرى متحصنين بها فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا وبقي جماعة من المسلمين صعدوا جبلا واحتموا فيه وقاتلهم العدو فقتلوا من العدو خلقا كثيرا فأخر حوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من اموالهم ثم بعد هذا كله كان من اظهر التنصر من المسلمين ولم يكن متنصرا في الباطن يعبد الله في خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكينة الصغيرة فضلا من غيرها من الحديد وقام المسلمون الذين تحصنوا في بعض الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يقيض الله لهم ناصرا الى ان كان آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة الف وعشر فخرج الوف من المسلمين الى فاس والوف الى تلمسان ووهران وجهورهم خرج الى تونس وتسلط على كثير منهم الاعراب ومن لا يخشى الله ونهبوا اموالهم في الوادي والطرقات واكثر النهب والاخذ وقع على الذين ذهبوا الى تلمسان وفاس واما الذين ذهبوا الى تونس فانزلهم سلم من ذلك وقد تمر هؤلاء الخارجون من الاندلس كثيرا من القرى الخالية في تلك المواضع التي ذهبوا اليها ومنهم جماعة بسلا وتطاون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكر اجرار اووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها لانهم كانوا عددا كثيرا لا يحصيهم الا الله تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال في نفح الطيب والسلطان الذي أخذت منه غرناطة آخر سلاطين بني الاحمر الذي انقرضت بانقراض دولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي الحسن بن السلطان سعد ابي الامير علي بن السلطان يوسف بن السلطان الغني بالله محمد واسطة عقدهم والمشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة ابن السلطان ابي الجاح يوسف بن السلطان اسماعيل بن الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله جميعا وانتهى السلطان المذكور الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما أسلمه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس قصورا قال في نفح الطيب وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين والف يأخذون من اموال الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا خلاصة ما كان بالاندلس بغاية الاختصار ولنرجع الى اتمام الكلام على ما كان بالديار الشامية وغيرها ولكن الابتداء بذكر حرب الصليب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم الجزء الاول من الفتوحات الاسلامية ﴾

ويليه الجزء الثاني اوله ذكر ابتداء الحروب الصليبية